

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

نموذج رقم (٨)

كلية التربية - بجامعة المكرمة

قسم التربية الإسلامية والمقارنة

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم: سعيد بن موسى بن عيدان العمري الكلية: التربية

التخصص: التربية الإسلامية

الأطروحة مقدمة لنيل درجة الماجستير

عنوان الأطروحة: التوجيهات التربوية المتضمنة في سورة المحادلة

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد
بناء على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة عاليه والتي تمت مناقشتها بتاريخ
١٤٢٣/١١/٥هـ بقبول الأطروحة بعد إجراء التعديلات المطلوبة وحيث تم عمل اللازم. فإن
اللجنة توصي بإجازة الأطروحة في صيغتها النهائية المرفقة كمطلوب تكميلي للدرجة العلمية
المذكورة أعلاه...

والله الموفق ،،،،

أعضاء اللجنة

المناقش الخارجي

أ.د / حامد بن سالم الحربي

التوقيع : 

المناقش الداخلي

د/ عبدالناصر بن سعيد عطايا

التوقيع : 

المشرف

أ.د / محمود بن محمد كنساوي

التوقيع :

يعتمد

رئيس قسم التربية الإسلامية والمقارنة

د/ نايف بن حامد الشريف



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية التربية

قسم التربية الإسلامية و المقارنة



٠٠٥٠٠٩٠

٣٠١٠٢٠٠٠٤٤٢١

التجيئات التربوية المُتضمّنة في سورة المجادلة

إعداد الطالب / سعيد بن موسى بن عيدان العُمري

إشراف الأستاذ الدكتور

محمود بن محمد بن عبدالله كنساوي

عميد كلية التربية بجامعة أم القرى

وعضو هيئة التدريس بقسم التربية الإسلامية و المقارنة

بحث مكمل لنيل درجة الماجستير من قسم التربية الإسلامية و المقارنة

الفصل الدراسي الأول

١٤٢٣ - ١٤٢٤هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ كَتَبَ أَنَزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَرَّكٌ لِيَدَبَرُوا أَءَايَاتِهِ ﴾

وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابُ ﴾ [سورة ص : آية ٢٩]

الإهداء

إلى والدي اللذين أدعوا لهم الله أن يجزيهما عنى
من الخير أجزله ، ومن الشواب أعظمه جزاء ما
أولياني إياه من حسن رعاية من غير سابق
فضل مني ومن غير كلل ولا ملل فلهمما مني
الدعاء أن يحفظهما ويتعال بحياتهما ، و يجعل الجنة
ثوابهما وسائل المسلمين .

شكر وتقدير

الشكر لله أولاً وآخرأ وظاهراً وباطناً ، ثم لا يفوتي أن أتقدم بالشكر الجزييل لسعادة الأستاذ الدكتور / محمود محمد كنساوي عميد كلية التربية بجامعة أم القرى مشرفي على هذه الرسالة الذي لم يدخل وسعاً في تقديم النصح والتوجيه والإرشاد - رغم كثرة أعماله وضيق وقته - حتى كانت الرسالة على هذا الوجه ، فقد وجدت في غزارة علمه وسعة اطلاعه ورحابة صدره وطيب معاملته أكبر مشجع لي على إتمام هذه الدراسة فله مني جزيل الشكر وخاص الدعاء .

كماأشكر سعادة الدكتور / عبداللطيف بن محمد بالطو الذي تولى الإشراف على في بداية كتابة خطة هذه الدراسة والذي لم يدخل وسعاً في توجيهي وإرشادي أثناء تلك الفترة فله مني عظيم التقدير وخاص الدعاء .

كماأشكر كل من سعادة الأستاذ الدكتور / حامد بن سالم الحري وسعادة الدكتور / عثمان نوري اللذين تفضلوا بتحكيم خطة هذه الدراسة وكان للاحظاهما وتوجيهاهما أعظم الأثر .

وكذلكأشكر جميع أساتذتي في قسم التربية الإسلامية والمقارنة الذين فتحوا لي ولزملائي طلبة القسم بباب البحث العلمي وأبانوا طريقه فلهم مني خالص الدعاء . كما لا أنسى أن أخص بالشكر والتقدير رئيس قسم التربية الإسلامية والمقارنة سعادة الدكتور / نايف بن همام الشريف ، وكذلك المرشد الأكاديمي بالقسم سعادة الدكتور / خليل الحدربي على ما يبذلانه من توجيه وإرشاد وتسهيل لأمور الدراسة لطلبة القسم فلهم مني خالص الدعاء بالتوفيق والسداد .

ثم لا يفوتي أن أخص بالشكر جميع أفراد أسرتي الذين كان لمساندهم أعظم الأثر في الدأب والثابرة وتحمل مشاق الدراسة والبحث .

كما أسجل شكري وامتناني لكل من ساهم في تقديم عون أو إسداء نصيحة أو تشجيع أو توجيه من أساتذتي وأصدقائي وزملائي والذين لا أكاد أحصيهم من ذكرت أو لم أذكر فجزى الله الجميع خير الجزاء .

والشكر مقدم سلفاً لكل من سعادة الأستاذ الدكتور / حامد بن سالم الحربي ، وسعادة الدكتور / عبدالناصر بن سعيد عطايا اللذين تفضلوا بقبول مناقشة هذه الدراسة فلهم مني جزيل الشكر وعظيم الامتنان .

وختام شكري وحالصه من قبل ومن بعد الله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

ملخص الدراسة

عنوان الدراسة : التوجيهات التربوية المُتضمنة في سورة الحادلة .

كان القرآن الكريم وما زال ولن يزال المدرسة التربوية الجامعية التي تفتح أبوابها أمام كل مربٍ ليتهل من معين التربية الربانية . ومن هذا المنطلق تناول الباحث دراسة " التوجيهات التربوية المُتضمنة في سورة الحادلة " مستخدماً المنهج الاستباطي في استخراج التوجيهات حيث عرض في الفصل الأول : إلى مخطط الدراسة من مقدمة الدراسة، وموضوعها، وأسئلتها، وأهدافها، وأهميتها، والمنهج المستخدم فيها، وحدود الدراسة ، والدراسات السابقة. وعرض في الفصل الثاني : إلى التعريف بالسورة ومكانتها التربوية. وعرض في الفصل الثالث : إلى التوجيهات التربوية المُتضمنة في الجانب العقدي وتطبيقاتها التربوية. وعرض في الفصل الرابع : إلى التوجيهات التربوية المُتضمنة في الجانب الاجتماعي وتطبيقاتها التربوية. وعرض في الفصل الخامس : إلى التوجيهات التربوية المُتضمنة في الجانب الفكري وتطبيقاتها التربوية . وأخيراً الخاتمة والنتائج والتوصيات وكان من أبرز النتائج ما يلي :

- ١— إن توجيهات سورة الحادلة اتصفـت بالـتعدد والـشمول لـجوانـب كـثيرة عـقديـة وـتعـبدـيـة وـاجـتمـاعـيـة وـفـكـرـيـة مـا يـدلـ علىـ عـظـمـة هـذـا الـكتـاب الـفـرـيد وـبـرـكـه الـعـمـيمـة ، فـهـو مـنـهـج تـرـبـويـ كـامـلـ .
- ٢— إن استشعار المعية الإلهية له آثاره التربوية التي من أهمها : تحقيق مراقبة الله ، وتحقيق كمال الإيمان ، وتحقيق الإطمئنان النفسي للعبد ، وتفوية سلطان الوازع الديني ، والقيام بأمانة التكليف .
- ٣— رفعة مكانة الموالاة والمعادة في الله حيث تعتبر أوثـق عـرـى الإيمـان .
- ٤— تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم يقوم على تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله ، وما تقتضيه من الطاعة والتصديق والحبة ، وهذه الأمور ترتكز على محور الاتباع والتأسي .
- ٥— إن الكفارات الشرعية تقوم على تقويم الغرائز والردع والرجر والجبر من أجل تزكية النفوس لا كما يصورها أعداء الدين من أنها تقوم على الانتقام والتنكيل بالجاني .
- ٦— إن التربية على الآداب الإسلامية من أهم أسباب تقوية عرى الأخوة الإنسانية ، وسبب مهم في نشر الأمن والطمأنينة بين أفراد المجتمع .
- ٧— إن الحوار وسيلة تربوية لها بالغ الأهمية فعن طريقه يمكن علاج كثير من الأخطاء السلوكية ، والانحرافات الخلقية وعن طريقه أيضاً يتم تعزيز السلوكيات الصحيحة .
- ٨— إن من مميزات الإسلام وخصائص تربيـةـهـ الفـريـدةـ دـعـوـتـهـ إـلـىـ الـعـلـمـ بـعـهـوـمـ الـوـاسـعـ الشـامـلـ . وأوصى الباحث بالعناية بتربية الناشئة على منهاج الكتاب والستة ، وتكثيف البحوث والدراسات التربوية في هذا الجانب ، مع العناية بترجمة التوجيهات التربوية إلى حياة ومعاملة وسلوك يظهر أثرها على أرض الواقع .

Synopsis of the study

Title of the study: The pedagogical directions included in Al-Mojadilah Chapter
The Holy Quran is the comprehensive pedagogical school which opens its doors to every educator to take up from the Divine pedagogical rich spring. Out of this the researcher dealt with studying “the pedagogical directions included in Al-Mojadilah Chapter, using the deductive method to extract the directions. In Chapter 1 he dealt with the plan of the study .. the introduction, the subject , the questions, the aims, the importance, the method used, and the limits as well as the previous studies. Chapter 2 dealt with a definition of the chapter and its position in pedagogy . Chapter 3 dealt with the pedagogical directions included from the point of faith and its pedagogical applications. Chapter 4 handled with the pedagogical directions included from the point of worship and its pedagogical applications. Chapter five dealt with the pedagogical directions included from the social point of view and its pedagogical applications. Chapter six dealt with the pedagogical directions included from the intellectual point of view and its pedagogical applications. Lastly the conclusion, results and recommendations. The most important results were:

- 1- The directions of Al-Mojadilah Chapter were multiple and inclusive of many aspects related to faith, worship as well as the social and intellectual aspects ,which in turn prove the greatness of this unique book and its blessings. It is a full pedagogical curriculum.
- 2- Feeling the company of Allah has its e pedagogical effects, the most important among which are: feeling that Allah monitor us, achieving full faith, achieving psychological peace of mind to man, enhancing the power of the religious sense, performing the duties.
- 3- Raising the position of backing and hostility for the sake of Allah as the most reliable bond of belief.
- 4- Glorifying the prophet , PBUH, relying upon confirming the testimony that Mohammed is the Messenger of Allah, with the obedience , belief and love it implies which concentrate on the aspect of obedience and follow up of the traditions.
- 5- The legislative atonement depending upon reforming the instincts , blaming and enforcement is for the sake of reforming the soul , not as religion enemies' depict it as depending upon revenge and torturing the criminal.
- 6- Bringing up children upon the Islamic teachings is one of the most important reasons of strengthening the bonds of faithful brotherhood, and is an important reason in dispersing security and peace among individuals of the society.
- 7- Dialogue is a very important means of pedagogy , as through it many behavioral mistakes and moral deviations can be treated and also the correct behaviors can be enhanced.
- 8- Among the characteristics of Islam and its unique pedagogy is its call for science in its broad and full concept.

The researcher recommended to be careful with bringing up children upon the principles of Quran and tradition, and to intensify the researches and pedagogical studies in this respect, with the careful translation of the pedagogical directions into life , treatment and behavior , to show their effect on the real life.

قائمة المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ	العنوان
ب	الاستفتاح
ج	الإهداء
د	شكر وتقدير
و	ملخص الدراسة ((عربي))
ز	ملخص الدراسة ((الإنجليزي))
ح	قائمة المحتويات
١	الفصل الأول ((الإطار العام للدراسة))
٢	مقدمة
٤	موضوع الدراسة
٥	أسئلة الدراسة
٦	أهداف الدراسة
٦	أهمية الدراسة
٧	منهج الدراسة
٧	حدود الدراسة
٨	مصطلحات الدراسة
٩	الدراسات السابقة

الصفحة	الموضوع
١٢	الفصل الثاني ((التعريف بالسورة))
١٣	عرض السورة الكريمة
١٥	سبب الترول
١٨	نروها
١٨	تسميتها
٢٠	موضوعاتها
٢٤	مقاصدتها
٢٥	عدد حروفها و كلمتها و آياتها و فوائلها
٢٦	ترتيبها في المصحف
٢٦	المناسبتها لما قبلها مدنيتها
٢٨	صلتها بما بعدها
٢٩	مدنيتها
٣٠	فضلها
٣١	الناسخ والمنسوخ فيها
٣١	مكانتها التربوية
٣٤	الفصل الثالث ((التوجيهات التربوية المُتضمّنة في الجانب العقدي))
٣٦	المحور الأول : معية الله لعباده
٥٢	المحور الثاني : الموالاة والمعاداة

الصفحة	الموضوع
٧١	الفصل الرابع ((التوجيهات التربوية المُتضمنة في الجانب التعبدى))
٧٤	المحور الأول : مكانة النبي صلى الله عليه وسلم
٩٤	المحور الثاني : الكفارات في الشريعة
١١٢	الفصل الخامس ((التوجيهات التربوية المُتضمنة في الجانب الاجتماعي))
١١٤	المحور الأول : آداب النجوى
١٢٣	المحور الثاني : آداب التحية
١٣٤	المحور الثالث : آداب المجالس
١٤٤	الفصل السادس ((التوجيهات التربوية المُتضمنة في الجانب الفكري))
١٤٦	المحور الأول : الحوار
١٦٦	المحور الثاني : العلم وفضله ومتزلة أهله
١٨٢	الخاتمة
١٨٢	النتائج
١٨٤	الوصيات
١٨٦	قائمة المصادر والرجوع

الفصل الأول

((الإطار العام للدراسة))

مخطط الفصل :

- مقدمة .
- موضوع الدراسة .
- أسئلة الدراسة .
- أهداف الدراسة .
- أهمية الدراسة .
- منهج الدراسة .
- حدود الدراسة .
- مصطلحات الدراسة .
- الدراسات السابقة .

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على البشير النذير الذي أرسله
الله رحمة للعالمين ، وأنزل عليه الكتاب المبين ، من اعتصم به فقد هُدِي
إلى صراط مستقيم . أمَّا بعد ..

فإن الناظر في تاريخ الأمة يجد أن حاتها قبل الإسلام ونزول القرآن على سيد الأنام محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام كان حالاً مريضاً؛ حيث كانت تعيش في تحفظ وتيه، وتأخر وتخلف في كثير من مناح الحياة، قبائلها "متشتتة" ، لا صلة دينية توحد صفوفهم، ولا مصلحة اقتصادية تضمهم ، ولا رابطة سياسية تربطهم ، ولا سلام يسود بينهم ديدنهم توارث العداوات والأحقاد ، وشغلهم الحروب والغارات ، وذهبهم السلب والنهب ، ومعبدهم الأصنام والأوثان " ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا الْكِتَابُ الْعَظِيمُ هَدِيَّاً وَنُورًاٌ ۝ كَيْتَبَ أَنَّرَنَّهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سورة إبراهيم: آية ١٠] فنقل الله به الناس من الشرك والجهل إلى التوحيد والهدى ، وتحولت تلك الأمة المتأخرة المتخلفة إلى أمة رائدة قائدة تأخذ بزمام البشرية فتقودها إلى سعادة الدارين .

" فالقرآن الذي حل في القلوب ، وانعكس في الأعمال والأخلاق أصبح أولئك الذين كانوا بالأمس مشتتين لا تجمعهم رابطة سياسية ولا دينية ، أمّة موحّدة قويّة ، تنشر الحضارة في أرجاء العالم المضطرب " (٢) "

نعم سطّرت أمّة القرآن أعظم حضارة في تاريخ البشرية ، واستمرت على ذلك قرونًا ، ولكن أعداء الإسلام — ومنذ نزول القرآن — أدركوا أن سر قوّة المسلمين تكمن في تمسّكهم بهذا الكتاب ، لذلك لم يكن أمامهم إلا محاربته وذلك بمحاولة إبعاد تأثيره على قلوب المسلمين ، وبصدّهم عنه ، يقول سبحانه

^١ سالرومي ، فهد بن عبدالرحمن بن سليمان : خصائص القرآن الكريم ، مكتبة العيكان ، ط٩ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٤١٧ـ) ، ص ص ٥ - ٦ .

^٢—أبو خليل ، شوقي : من ضيغ القرآن ، دار الفكر المعاصر ، ط٣ ، لبنان ، بيروت ، (١٤١٨هـ) ، ص ١٠ .

وتعالى : « وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعْلَكُمْ تَغْلِبُونَ » [سورة فصلت : آية ٢٦] ، ومنذ ذلك الحين إلى يومنا هذا وأعداء الدين يبذلون ما يستطيعون لصد الناس عن القرآن الكريم سالكين في ذلك كل سبيل ، يقول غلادستون : " ما دام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق ، ولا أن تكون هي نفسها في أمان " ^(١) ، ويقول المبشر ثاكلبي : " يجب أن نستخدم القرآن وهو أمضى سلاح في الإسلام ضد الإسلام نفسه حتى نقضي عليه تماماً ، يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديداً ، وأن الجديد ليس صحيحاً " ^(٢)

فكان من نتيجة هذا الكيد المستمر من أعداء الإسلام بالإضافة إلى غلبة الهوى ، وفتنة الدنيا ولذاتها ، أن انغمس كثير من المسلمين في شهوتهم حتى استحوذت عليهم ، وامتلأت أوقاتهم بتوافه الأمور ، فشغلوها عن كتاب ربهم فلا تلاوة له ولا تدبر ، فضلاً عن العمل به حتى تحقق فيهم قوله سبحانه : « وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي أَنْجَدُوا هَذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُورًا » [سورة الفرقان : آية ٣٠]

وبهذا السبب - أي هجر كتاب الله - أصاب الأمة الإسلامية ما أصابها من ضعف وهزيمة وفقد وسائل على مستوى الأفراد والمجتمعات ، " وأصبح العالم الإسلامي يعيش تخلفاً مزرياً في كل جوانب الحياة السياسية والخربية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والمادية والفكرية والخلقية " ^(٣) ، ولكن ما دام الداء قد عُرف ، والمرض قد شُخص فلا يبقى أمام من ينشد النجاة إلا مباشرة العلاج وذلك بالاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فقد قال صلى الله عليه وسلم : " تركت فيكم ما إن اعتصتم به فلن تضلوا أبداً : كتاب الله وسنة نبيه " ^(٤) .

١- العلي ، عبد الكريم عبد الله : حاتنا مع القرآن ، دار الوطن للنشر ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢٠هـ) ، ص ٥٠ .

٢- المرجع السابق : ص ٥٠ .

٣- قطب ، محمد : رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر ، دار الوطن للنشر ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١١هـ) . ص ١٨٧ .

٤- النيسابوري ، محمد بن عبد الله الحكم : المستدرك على الصحيحين ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، لبنان ، بيروت ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، (١٤١١هـ) ، ج ١ ، ح ٣١٨ ، ص ١٧١ .

فبالتمسك بكتاب رب العالمين ، وسنة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم نستلهم منها الأهداف والمبادئ والقيم ، ونطبق ذلك في حياتنا ، ونبينا عليه نشأنا كما فعل أسلافنا من الجيل الأول ، بذلك سوف يعود لأمتنا عزها ، وتعود لها مكانتها بين الأمم ، فتعود قائدةً رائدةً كما كانت ، وكما يجب أن تكون ، هدىً ومناراً للعالمين ، وبشائر هذه العودة بدأت تظهر في كثير من المجالات — والحمد لله — ومن ذلك في الجانب العلمي في الجامعات إذ أصبح كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم محوراً لكثير من الدراسات والبحوث العلمية ، سواءً كان ذلك في التخصصات الشرعية أو في غيرها من التخصصات ومنها التخصصات التربوية التي ترتكز على استبطاط المبادئ والقيم والتوجيهات والدلائل التربوية وتطبيقاتها من القرآن والسنة النبوية ، وهذه الدراسة مشاركة في هذا الجانب العظيم خدمة لكتابه الكريم ، نسأل الله التوفيق والسداد.

موضوع الدراسة

إن أكبر نعمة أكرم الله بها هذه الأمة هي بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنزال القرآن الكريم عليه هداية الناس أجمعين وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، ولقد تصافرت النصوص على الحث على تدبر آياته ، ومن ذلك قوله تعالى : «**كِتَابٌ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ مُبَرَّكٌ لِيَدَبَرُوا ءَايَاتِنَا وَلَيَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**» [سورة س : آية ٢٩] ، وقوله تعالى : «**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْقَالُهَا**» [سورة محمد : آية ٢٤] ، وغير ذلك من الآيات ، فبتدبر القرآن تُستخرج كنوزه ، وكلما ازداد المرء تدبراً لكتاب ربه ازداد علماً وعملاً وبصيرةً ، حيث إن "القرآن الكريم منبع هداية وإرشاد ، ويحتوي على آيات تهدي للحق ، وعلى تعاليم تعمق الوعي الأخلاقي ، وتدعم القيم والمسؤولية الاجتماعية ، وتزكي النفوس ، وتحقق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة"^(١) ، يقول

١— متولي ، مصطفى محمد ، وآخرون : أصول التربية الإسلامية ، دار الخريجي للنشر والتوزيع ، ط١ ، الملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٥هـ) ، ص ص ٦٩ – ٧٠ .

تعالى : « إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلّّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا » [سورة الإسراء : آية ٩٤] .

ولقد تميز القرآن بمنهجه في تربية الفرد وإصلاح المجتمع ، " ولو طبق منهج التربية القرآنية تطبيقاً سليماً خرج للمجتمع الإسلامي الإنسان المتكامل السوي الذي يستطيع أن يحقق هدف الإسلام من التربية ^(١) ، ولا دليل على ذلك أكبر مما تحقق في عصور الرسالة الأولى ، فلا خير ولا سعادة ولا طمأنينة إلا بالإيمان بالقرآن الكريم ، والعمل به ، يقول تعالى : « وَلَوْأَنَّ أَهْلَ الْقُرْآنَ آمَنُوا وَأَتَقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلِكُنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » [سورة الأعراف : آية ٩٦] .

ومن هنا رأى الباحث أن يكون موضوع دراسته إحدى سور القرآن الكريم ، لينهل من معين تربيته الفريدة ، فجعل موضوع دراسته ((التوجيهات التربوية المتضمنة في سورة المجادلة)) موضحاً في ذلك بعض التطبيقات التربوية لتلك التوجيهات .

أسئلة الدراسة

السؤال الرئيسي :

ما التوجيهات التربوية المتضمنة في سورة المجادلة ؟

ويتفرع من السؤال الرئيسي الأسئلة الفرعية التالية :

١— ما موضوع ومقاصد سورة المجادلة ؟

٢— ما التوجيهات التربوية المتضمنة في سورة المجادلة في الجانب العقدي ؟

٣— ما التوجيهات التربوية المتضمنة في سورة المجادلة في الجانب التعبدية ؟

٤— ما التوجيهات التربوية المتضمنة في سورة المجادلة في الجانب الاجتماعي ؟

٥— ما التوجيهات التربوية المتضمنة في سورة المجادلة في الجانب الفكري ؟

٦— ما التطبيقات التربوية لهذه التوجيهات ؟

١— القاضي ، علي : أصوات على التربية الإسلامية ، دار النصار ، ط١ ، مصر ، القاهرة ، (١٤٠٠ هـ) ، ص ٢٩ .

أهداف الدراسة

هدف هذه الدراسة بشكل عام إلى :

بيان التوجيهات التربوية المتضمنة في سورة المجادلة .

ويمكن تحديد أهداف الدراسة في النقاط التالية :

- ١— بيان موضوع سورة المجادلة ، و مقاصدها .
- ٢— بيان التوجيهات التربوية المتضمنة في سورة المجادلة في الجانب العقدي .
- ٣— بيان التوجيهات التربوية المتضمنة في سورة المجادلة في الجانب التعبدى .
- ٤— بيان التوجيهات التربوية المتضمنة في سورة المجادلة في الجانب الاجتماعي .
- ٥— بيان التوجيهات التربوية المتضمنة في سورة المجادلة في الجانب الفكري .
- ٦— بيان بعض التطبيقات التربوية لهذه التوجيهات .

أهمية الدراسة

تتجلى أهمية الدراسة في الجوانب التالية :

- ١— تعلقها بالقرآن الكريم المصدر الأول للتشريع الإسلامي.
- ٢— تحاول الدراسة المساهمة في توجيه الفكر التربوي المعاصر ، بالتمسك بمصادر تربيتنا الأصيلة ، والأخذ بما جاء فيها من مبادئ وقيم وتوجيهات لإصلاح الفرد والمجتمع .
- ٣— أن السورة الكريمة لم تفرد — في حدود علم الباحث — بدراسة تربوية متخصصة .
- ٤— أهمية ما اشتملت عليه السورة من مواضيع وتفصيل لبعض التشريعات وتنظيم بعض العلاقات المختلفة في الأسرة والمجتمع بل ومع غير المجتمع المسلم من يهود ونصارى وغيرهم ، المجتمع بأمس الحاجة إلى فقهها التربوي .

منهج الدراسة

استخدم الباحث في دراسته المنهج الاستنبطاني.

مفهوم المنهج الاستنبطاني

يُعرف المنهج الاستنبطاني في ميدان التربية بأنه : "الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة "^(١) كما عُرف بأنه : "طريقة من طرق البحث لاستنتاج أفكار ومعلومات من النصوص وغيرها وفق ضوابط وقواعد محددة ومتعارف عليها "^(٢). لذا قام الباحث بدراسة النص القرآني لسورة المجادلة من كتب التفسير المعتمدة وغيرها من كتب أهل العلم سواءً كان ذلك في المجال الشرعي أو التربوي ومن ثم استنبط التوجيهات التربوية المتضمنة في السورة وبين بعض تطبيقها التربوية .

حدود الدراسة

اقتصرت دراسة الباحث على استنباط أبرز التوجيهات التربوية المتضمنة في سورة المجادلة وبيان بعض التطبيقات التربوية لها وذلك في الجوانب التالية :

- الجانب العقدي .
- الجانب العبدي .
- الجانب الاجتماعي .
- الجانب الفكري .

١— فردة، حلمي محمد ، عبدالله ، عبد الرحمن صالح : الرشد في كتابة الأبحاث ، دار الشروق ، ط٦ ، المملكة العربية السعودية ، جلة ، ٤٢ (١٤١٠ هـ) ، ص .

٢— ياجن، مقداد : مناهج البحث وتطبيقاتها في التربية الإسلامية ، دار عالم الكتب، ط١، المملكة العربية السعودية، الرياض ، (١٤١٩ هـ) ، ص ٢٢ .

مصطلحات الدراسة

التوجيهات :

التوجيهات من الوجه ، قال ابن منظور : " الوجه معروف ، والجمع الوجه ، قلل تعالى : **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّدِينِ حَنِيفًا** أي اتبع الدين القيم ، وفي حديث أبي الدرداء : " لا تفقه حتى ترى للقرآن وجهاً ، أي ترى له معانٍ يحملها ، ووجه الكلام السبيل الذي تقصده به ، والوجه القبلة " ^(١) .

ويقصد الباحث بالتوجيهات في هذه الدراسة : الإرشادات والوصايا والدلائل التربوية التي توصل إليها من خلال دراسته لسورة المجادلة وذلك بعد الرجوع إلى تفسير السورة من خلال كتب التفسير .

المتضمنة :

المتضمنة مأخوذه من التضمن ، جاء في المعجم الوسيط : " **تَضَمَّنَ الْوَعَاءُ وَنَحْوُهُ** الشئ : احتواه واحتمل عليه . و تضمنت العبارة معنىًّا : أفادته بطريق الإشارة أو الاستنباط . و تضمن الغيث ونحوه النبات : أخرجه وأذكاه . و تضمن الشيء عنه ، أو منه : ضمّنه " ^(٢) .

ويقصد الباحث بالتوجيهات المضمنة في سورة المجادلة : أي التوجيهات التي اشتملت عليها سورة المجادلة ، ودللت عليها سواءً كان ذلك بطريق اللفظ أو الإشارة أو الاستنباط .

المضامين :

جاء في المعجم الوسيط : " **الضمون** : المحتوى . و منه **مضمون الكتاب** : ما في طيه . **ومضمون الكلام** : فحواه وما يفهم منه . **والجملة مضامين** " ^(٣) .

١— ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الأنباري : لسان العرب ، السدار المصرية ، مصر ، القاهرة ، ج—١٧ ، ص ص ٤٥٣—٤٥٤ .

٢— أنيس ، إبراهيم ، وآخرون : المعجم الوسيط ، دار احياء التراث العربي ، ط٢ ، مطباع دار المعرف ، مصر ، (١٣٩٣هـ) ، ج ١ ، ص ٥٤٤ .

٣— المرجع السابق : ج ١ ، ص ٥٤٥ .

والمقصود بالضمون التربوي في هذه الدراسة : المحتوى التربوي للمعنى المراد الحديث عنه مما اشتملت عليه الآيات .

التطبيقات :

التطبيق من الكلمات المولدة وجاء في تعريفه أنه : " إخضاع المسائل والقضايا نقاعدة علمية أو قانونية أو نحوها " ^(١) .

والمقصود بالتطبيقات التربوية في هذه الدراسة الإجراءات العملية على أرض الواقع والتي تعتبر ترجمة وتنفيذ عملي للتوجيهات التربوية المنسبطة من السورة .

الدراسات السابقة

يُقصد بها الرسائل العلمية ذات العلاقة بموضوع الدراسة الحالي ، وعلى حد علم الباحث وبحسب ما أفاد مركز الملك فیصل للبحوث والدراسات الإسلامية أنه لا توجد دراسة لهذه السورة من الناحية التربوية ، إلا أن هناك دراستين تناولتا السورة من الناحية الشرعية ((تفسير)) وهم :

الدراسة الأولى :

بعنوان ((سورة المجادلة : تفسيرها وأهدافها)) ^(٢)

هدف الدراسة

كان الهدف من الدراسة تفسير السورة وإبراز أهدافها .

منهج الدراسة

استخدم الباحث في دراسته المنهج الوصفي التحليلي بالإضافة للمنهج الاستباطي.

١- المراجع السابق : ج ٢ ، ص ٥٥٠ .

٢- عوض ، محمد عزيز الدين محمد : سورة المجادلة : تفسيرها وأهدافها ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، جامعة الأزهر ، مصر ، القاهرة ، كلية أصول الدين ، (١٩٧٧م) .

أبرز نتائج الدراسة

ذكر الباحث ضمن خاتمة بحثه بعض النتائج من أبرزها :

- ١— أن القرآن الكريم مبارك ، مبارك في أصله ومحله ومعانيه ودلالاته وهو عظيماً في جوهره ، معجزاً في بلاغته ، حكيمًا في مبادئه ، عادلاً في أحکامه ، رائعاً في تربيته .
- ٢— أن سورة المجادلة احتوت على مواضيع جمّة ومناهج تربوية وأخلاقية عظيمة ، وأحكام شرعية ، وآداب سلوكيّة واجتماعية .
- ٣— أن المخرج من الفتن هو تحكيم القرآن الكريم في الحياة كلها ؛ وهذا ما كان يظهر في ذلك الجيل القرآني الأول الذي رباه المصطفى صلى الله عليه وسلم حتى علوا على غيرهم في الدنيا والآخرة .

الدراسة الثانية :

بعوان ((سورة المجادلة : دراسة موضوعية تحليلية))^(١)

هدف الدراسة

كان الهدف من الدراسة : جمع أقوال وأفكار المقدمين والمتاخرين في تفسير السورة مع الجمّع بين التفسير التحليلي والموضوعي .

منهج الدراسة

استخدمت الباحثة النهج الاستباطي وكذلك الوصفي التحليلي .

١— الراشد ، فلوه ناصر بن حمد : سورة المجادلة دراسة موضوعية تحليلية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الرئاسة العامة لتعليم البنات ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، كلية التربية ، قسم الدراسات الإسلامية ، ١٤٠٩ هـ .

أبرز نتائج الدراسة

توصلت الدراسة إلى عدة نتائج من أبرزها :

- ١— أن العلاقة وثيقة بين آي القرآن وسورة .
- ٢— اتضح في السورة سمو التشريع الإسلامي ودقته في تشريع الأحكام .
- ٣— أن السورة حثت على كثير من الآداب .
- ٤— أن الآيات حثت على سرعة الامثال بأي خير يطلب من المسلم .
- ٥— الحث على طلب العلم .
- ٦— مشروعية توقير الرسول صلى الله عليه وسلم .

أوجه الاتفاق والاختلاف بين الدراستين السابقتين والدراسة الحالية

تفق الدراسان السابقان مع الدراسة الحالية في أن الجميع جعل سورة المجادلة مداراً للدراسة والبحث ، أما الاختلاف بين الدراستين السابقتين مع الدراسة الحالية فيكمن في أن الدراستين السابقتين كان الهدف الأساس في كل منهما هو تفسير السورة وبيان بعض الأحكام فيها ، بينما الدراسة الحالية دراسة تربوية هدفها استنباط التوجيهات التربوية المضمنة في السورة وبيان التطبيقات التربوية لتلك التوجيهات ، وهنا يظهر الفرق واضحًا بين الدراستين السابقتين وبين الدراسة الحالية . هذا وقد استفاد الباحث من الدراستين السابقتين في الوقوف على أقوال المفسرين في السورة وخاصة في الآيات موضع التوجيهات حيث إن الدراستين جمعتا كثيرة من أقوال المفسرين في السورة مما جعلهما مرجعاً مهماً للدراسة الحالية .



الفصل الثاني

((التعريف بالسورة))

- عرض السورة الكريمة.
- سبب نزولها.
- نزولها .
- تسميتها .
- موضوعاتها .
- مقاصدتها .
- عدد حروفها وكلماتها وآياتها وفواصلها .
- ترتيبها في المصحف .
- مناسبتها لما قبلها .
- صلتها بما بعدها .
- مدنيتها .
- فضلها .
- الناسخ والمنسوخ فيها .
- مكانتها التربوية .

عرض السورة الكريمة ((سورة المجادلة))

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ﴾
 إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنِ نِسَاءِهِمْ مَا هُنَّ أَمَّا هَذِهِمْ إِنْ
 أَمَّهَتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدَنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوا
 غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنِ النِّسَاءِ هُنَّ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرٌ رَقَبَةٌ مِنْ قَبْلٍ أَنْ
 يَتَمَاسَّ ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَتَحَدَّ فَصَيَامُ
 شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطَاعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ
 لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَلَكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكُفَّارِ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تُخَادُونَ
 اللَّهُ وَرَسُولَهُ كُبِّتُوا كَمَا كُبِّتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكُفَّارِ
 عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ حَمِيعًا فَيَنْتَهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَنَهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا
 يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٌ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا حَمْسَةٌ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ
 ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعْهُمْ أَئِنَّ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنْتَهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ
 بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ
 وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْأَثْمِ وَالْعُدُوانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَوْكَ بِمَا لَمْ يَنْجِلِكَ
 بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسِيبُهُمْ جَهَنَّمَ يَصْلُوْهُمَا فَيُئْسِنَ
 الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَتَأْمُلُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَنَاجَوْنَ بِالْأَثْمِ وَالْعُدُوانِ وَمَعْصِيَتِ

الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبَرِّ وَالْتَّقَوْيِ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْتَّنَجُّوُ مِنَ
 الشَّيْطَنِ لِيَخْرُجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيُسَرِّ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلِيَتَوَكَّلَ
 الْمُؤْمِنُونَ ﴿٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ
 لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا يَرْفَعَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَتٍ وَاللَّهُ
 بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴿٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَنَكُمْ
 صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَحْدُوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ شَفَقَتُمْ أَنْ تُقْدِمُوا
 بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَنَكُمْ صَدَقَتِ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاءَتُوا الزَّكَوَةَ
 وَأَطْبِعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥﴾ إِنَّمَا تَرِإِ الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِيبَ اللَّهِ
 عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَتَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ أَعَدَ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا
 شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ أَتَخْدُوْا أَيْمَانَهُمْ جُنَاحَ فَصَدُوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ
 عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٨﴾ لَنْ تُغْنِ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أُولَئِدُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ
 فِيهَا خَلِيلُونَ ﴿٩﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا تَحْلِفُونَ لَكُمْ وَتَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى
 شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَذِبُونَ ﴿١٠﴾ أَسْتَحْوَذُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَنُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ
 الشَّيْطَنِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَنِ هُمُ الْخَسِرُونَ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ سُخَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي
 الْأَذَلِينَ ﴿١٢﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَا يُغْلَبَنَّ أَنَّا وَرُسُلِنَا إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿١٣﴾ لَا تَحِدُّ قَوْمًا
 يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ أَلَا خِرِيُّوْدُونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ
 أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ أَلِيمَنَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ
 مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنَهَرُ خَلِيلِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا
 عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٤﴾

سبب النزول

تکاد تكون روایات سبب النزول مجمعة على أن المظاهر الذي نزلت فيه بداية هذه السورة هو أوس بن الصامت - أول من ظهر في الإسلام وهو أخو عبادة بن الصامت - ولكنها اختلفت في اسم زوجه التي ظاهر منها على عدة أقوال أصحها أنها خولة بنت ثعلبة يقول : ابن عبد البر في سوقه للاختلاف في اسمها و ترجيح أنها خولة بنت ثعلبة :

" خولة بنت ثعلبة ، ويقال خوبيلة ، وخولة أكثر . وقيل خولة بنت حكيم . وقيل خولة بنت مالك بن ثعلبة بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف . وأما عروة و محمد بن كعب و عكرمة فقالوا : خولة بنت ثعلبة كانت تحت أوس بن الصامت أخا عبادة بن الصامت ، فظاهر منها ، وفيها نزلت : قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها و تشتكى إلى الله ... إلى آخر القصة في الظهور . وقيل : إن التي نزلت فيها هذه الآية جميلة امرأة أوس بن الصامت . وقيل : بل هي خولة بنت دليج . ولا يثبت شيء من ذلك والله أعلم . و الذي قدمناه أثبت وأصبح إن شاء الله تعالى " ^(١)

ويقول القرطبي كذلك : " التي اشتكى إلى الله هي خولة بنت ثعلبة . وقيل بنت حكيم . وقيل اسمها جميلة . و خولة أصح ، وزوجها أوس بن الصامت " ^(٢) ، وينقل عن أبي جعفر التراس بعد أن ذكر أن اسمها خولة و ذكر الاختلاف في نسبها قوله : " وهذا ليس باتفاق ، يجوز أن تنسب مرة إلى أبيها ، ومرة إلى أمها ، ومرة إلى جدها " ^(٣) ، وتقول فلوة الراشد : " فالأرجح من أقوال العلماء أنها خولة بنت ثعلبة وربما أنها بنت مالك بن ثعلبة فنسبت إلى أبيها مرة و إلى جدها مرة فهذه النسبة التي تظاهرة النصوص عليها " ^(٤) .

١- ابن عبد البر ، أبي عمرو يوسف بن عبد الله بن محمد : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، دار الجليل ، لبنان ، بيروت ، (٨١٤١٢) ج ٤ ، ص ١٨٣٠ .

٢- القرطبي : مرجع سابق ، ج ١٧ ، ص ٢٦٩ .

٣- المرجع السابق : ج ١٧ ، ص ٢٧٢ .

٤- الراشد : مرجع سابق ، ص ٥٩ .

وقصة سب الترول وردت بروايات متعددة وألفاظ مختلفة بعض الشئ في مجرى الحوار ولكن مضمونها واحد ونورد هنا رواية الإمام أحمد لها حيث يروي بسنده إلى خوييلة بنت ثعلبة قوله : " في والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة . قالت : كنت عنده ، وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه ، قالت : فدخل على يوماً فراجعته بشيء فغضب ، فقال : أنت على كظهر أمي . قالت : ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ، ثم دخل على ، فإذا هو يريدي عن نفسي ، قالت : قلت : كلا والذى نفس خوييلة يده ، لا تخلص إلى وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فيما بحكمه . قالت : فوازبني ، فامتنعت منه فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف ، فألقيته عنى . قالت : ثم خرجمت حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست بين يديه ، فذكرت له ما لقيت منه ، وجعلت أشكوا إليه ما ألقى من سوء خلقه . قالت : فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يا خوييلة ابن عمك شيخ كبير فاتقى الله فيه ، قالت : فوالله ما برأت حتى نزل في قرآن ؟ فتشغلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يتغشاه ، ثم سري عنه ، فقال لي : يا خوييلة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآنًا ، ثمقرأ على : « قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَيِّعُ بَصِيرًا » [سورة المجادلة : ١] إلى قوله تعالى : « وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ » [سورة المجادلة : ٤] ، قالت : فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : مريمه فليعتقد رقبة . قالت : فقالت : يا رسول الله ما عندك ما يعتقد . قال : فليصم شهرين متتابعين . قالت : فقالت : والله إنه لشيخ ما له من صيام . قال : فليطعم ستين مسكيناً وسقاً من تمر .

قالت : فقلت : والله يا رسول الله ما ذاك عنده . قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإنما سمعته بعرق من قر . قالت : فقلت يا رسول الله وأنا سأعينه بعرق آخر . قال : قد أصبت وأحسنت فاذهي فصدقني به عنه ، ثم استوصي بابن عمك خيراً .
قالت : ففعلت ^(١).

هذا ما جاء في سبب التزول ، أمّا ما ورد في أن الآيات نزلت في سلمة بن صخر البياضي فليس من سبب التزول في شيء يقول ابن كثير بعد أن أورد حديث الإمام أحمد المتقدم في سبب التزول : "هذا هو الصحيح في سبب نزول هذه السورة ، فأما حديث سلمة بن صخر فليس فيه أنه كان سبب التزول ولكن أمراً بما أنزل الله في هذه السورة من العتق أو الصيام أو الإطعام" ^(٢).

وقصة سلمة بن صخر كما جاءت عنه عند أبي داود قال : "كنت امرأةً أصيب من النساء مالا يصيب غيري فلما دخل شهر رمضان خفت أن أصيب من امرأتي شيئاً يتبع لي حتى أصبح ظاهرة منها حتى ينسلي شهر رمضان ، في بينما هي تحدثني ذات ليلة إذ تكشف لي منها شيء فلم ألبث أن نزوت عليها فلما أصبحت خرجت إلى قومي فأخبرتهم الخبر ، وقلت : امشوا معي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : لا والله ، فانطلقت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : أنت بذاك يا سلمة ، قلت : أنا بذاك يا رسول الله مري وأنا صابر لأمر الله فاحكم في ما أراك الله قال : حرر رقبة ، قلت : والذي بعثك بالحق ما أملك رقبة غيرها ، وضررت صفحة رقبتي ، قال : فصم شهرين متتابعين ، قلت : وهل أصبت الذي أصبت إلا من الصيام ؟ قال : فأطعهم وسقاً من قر بين ستين مسكيناً ، قلت : والذي بعثك بالحق لقد بتنا وحشين ما لنا من طعام ، قال : فانطلقت إلى صاحب صدقة بني زريق فلیدفعهـ

١ - ابن حنبل ، أحمد : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، عالم الكتب ، لبنان ، بيروت ، (١٤١٩هـ) ، ج ٨ ، ح ٢٧٨٦٢ ، ص ٨٢٣ .

٢ - ابن كثير ، أبي الفداء اسماعيل : تفسير القرآن العظيم ، دار المعرفة ، ط ٣ ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٩هـ) ، ج ٤ ، ص ٣٤٢ .

إليك فأطعم ستين مسكيناً وسقاً من ثمر ، وكل أنت وعيالك بقيتها ، فرجعت إلى قومي فقلت : وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي ، ووجدت عند النبي صلى الله عليه وسلم السعة وحسن الرأي ، وقد أمرني أو أمر لسي بصدقكم " ^(١) .

فال واضح من الرواية السابقة أن سلمة ظاهر من زوجته بعد نزول آية الظهار حيث أمره النبي صلى الله عليه وسلم بالكفارة عن ظهاره ، وهو مالم يفعله صلى الله عليه وسلم مع خولة بنت ثعلبة ، وبهذا يتضح أنها نزلت في خولة بنت ثعلبة .

ننزلها

ذكر ابن حزي في كتابه التسهيل لعلوم الترتيل أن سورة المجادلة " نزلت بعد سورة النافقون " ^(٢) . وهذا ما ذكره ابن عاشور وأضاف أنها قبل سورة التحرير ، وكذلك يرجح أنها نزلت قبل سورة الأحزاب ، ونقل عن السخاوي قوله : أنها نزلت بعد سورة النافقون وقبل الحجرات ^(٣) .

تسميتها

مقدمة :

ذكر أهل العنم في تعريف السورة من القرآن : " أَنَّهَا طائفة من آيات القرآن مسمّاة باسم خاص ، لها فاتحة وخاتمة ، وأقلها ثلاثة آيات " ^(٤)

١— أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني : سنن أبي داود ، بيت الأفكار الدولية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (د.ت) ، ح ٢٢١٣ ، ص ٢٥٢ .
وحسن الألباني ، محمد ناصر الدين : صحيح سنن أبي داود ، مكتب التربية العربي ، ط ١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٠٩ هـ) ، ح ١٩٣٣ ، ص ٤٦ .

٢— ابن حزي ، محمد بن أحمد : كتاب التسهيل لعلوم الترتيل ، دار الكتاب العربي ، ط ٢ ، لبنان ، بيروت ، (١٣٩٣ هـ) ، ج ٤ ، ص ١٠١ .

٣— ابن عاشور ، محمد الطاهر : تفسير التحرير والتبيير ، الدار التونسية ، تونس ، (١٩٨٤ م) ، ج ٢٧ ، ص ٦ .

٤— الصباغ ، محمد بن لطفي : لتحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير ، المكتب الإسلامي ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٦ هـ) ، ص ٧١ .

ونقل السيوطي عن الجاحظ قوله : " سَمِّيَ اللَّهُ كَتَابَهُ أَسْمَاءً مُخَالِفًا لِمَا سَمِّيَ الْعَرَبُ كَلَامَهُمْ عَلَى الْجَمْلِ وَالتَّفْصِيلِ : سَمِّيَ جَمْلَهُ قُرْآنًا كَمَا سَمِّيَا دِيوانًا ، وَبَعْضُهُ سُورَةً كَقَصِيدَةٍ ، وَبَعْضُهَا آيَةً كَالْبَيْتِ ، وَآخِرُهَا فَاعِشَةً كَفَافِيَةً " ^(١) .

وهل أسماء سور القرآن توفيقيّة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أم اجتهادية؟ الجواب أنها توفيقيّة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول السيوطي: " وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والأثار" ^(٢). ويقول الزركشي: "وينبغي البحث عن تعداد الأسماء: هل هو توفيقي أو بما يظهر من المناسبات؟ فإن كان الثاني فلن يُعدم الفتن أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاء أسمائها وهو بعيد" ^(٣).

وقد يكون للسورة أسمان فـأكثـر ، والغالـب أن لها أسمـاً واحدـاً ، ويلاحظ في اسم السورة أنه اسم أو حادث يلفـت النظر كـسورة البقرة ، أو اسم تكرـر فيها كـسورة النساء ، وهـكذا ^(٤) يقول الزركشي : " ولا شك أن العرب تـراعـي في الكـثير من المـسمـيات أـخذـ أـسمـائـها من نـادرـ مستـغـربـ يـكونـ فيـ الشـيءـ منـ خـلـقـ وـ صـفـةـ تـخصـهـ ، أوـ تـكـونـ معـهـ أـحـكـمـ أوـ أـكـثـرـ أوـ أـسـبـقـ لإـدـرـاكـ الرـأـيـ لـلـمـسـمـيـ ، وـيـسـمـونـ الـجـمـلـةـ مـنـ الـكـلـامـ أوـ الـقـصـيـدةـ الطـوـيـلـةـ بـماـ هـوـ أـشـهـرـ فـيـهاـ وـعـلـىـ ذـلـكـ جـوـتـ أـسـمـاءـ سـوـرـ الـكـتـابـ العـزـيزـ" ^(٥).

١ـ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن : الاتقان في علوم القرآن ، دار المعرفة ، لبنان ، بيروت ، (١٣٩٨هـ) ، ج ١ ، ص ٦٧ .

٢ـ المرجع السابق : ج ١ ، ص ٦٩ .

٣ـ الزركشي ، محمد بن هادر بن عبد الله : البرهان في علوم القرآن ، دار المعرفة ، لبنان ، بيروت ، د.ت ، ج ١ ، ص ٢٧٠ .

٤ـ النمر ، عبد المنعم : القرآن والحياة ، دار الأندلس للإعلام ، ط ١ ، مصر ، القاهرة ، (١٤٠٧هـ) ، ص ٨ .

٥ـ الزركشي : مرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٧٠ .

أسماء السورة

والسورة موضوع البحث والدراسة سميت بعدة أسماء كما نقل ذلك أهل الاختصاص في علوم القرآن الكريم وهي كالتالي :

١— سميت "المجادلة" ^(١) بفتح الدال مصدر ميمي لفعل [جدل] أخذًا من المحاورة والمناقشة التي وقعت بين المرأة - خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها - وبين النبي صلى الله عليه وسلم حين كانت تعرض عليه ما وقع بينها وبين زوجها من أمر مظاهرته لها ، فسميت السورة بالجَدَلُ الذي تم فيه عرض القضية ، وجاء هذا الاسم في أول آية في السورة .

٢— سميت كذلك "المجادلة" بكسر الدال اسم فاعل والاسم هنا منصرف إلى المرأة التي وقع منها الجدال والمحاورة مع الرسول صلى الله عليه وسلم. وتسميتها "المجادلة" بكسر الدال هو الذي عليه ترجيحات العلماء . يقول الألوسي : "فتح الدال وكسرها ، والثاني هو المعروف" ^(١) .

٣— سميت أيضًا بـ "سورة قد سع" ^(١) وهذا الاسم باعتبار بدايتها كما سميت غيرها من سور مثل سورة (التوبة) بـ (براءة) ، وسورة (النَّبَأُ) بـ (عَمْ) ، وسورة (الملَك) بـ (تَبَارِكَ) .

٤— سميت كذلك بـ "الظهار" ^(٢) كما في مصحف أبي رضي الله عنه والظهار أحد أبرز مواضع السورة .

موضوعاتها

سورة المجادلة سورة مدنية — كما تقدم — لذلك تُعد أقوى جانبيًاً أحداث السيرة في المجتمع المدني وكيف كانت

١— الألوسي ، شهاب الدين السيد محمود : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ، دار احياء التراث العربي . ط٤ ، لبنان ، بيروت ، ١٤٠٥ـ ، ج ٢٨ ، ص ٢ .

٢— السيوطي : مراجع سابق ، ج ١ ، ص ٧٣ .

مراحل تربية الفئة الأولى من المجتمع المسلم التي أعادت لقوم بدورها العالمي فيما بعد من حمل الدين ونشره في العالمين ، ومن هنا جاءت السورة مشتملة على أحكامٍ شرعية كثيرة ، وتوجيهات ربانية متنوعة فكانت موضوعاتها على النحو الآتي :

— ابتدأت السورة بلفقة كريمة ، من رب رحيم ، إلى امرأة من عامة نساء المسلمين وفي ذلك توجيه للمجتمع المسلم بأن الله محيط بجميع أمرورهم ، وعلمه شامل لجميع أحواهم ، إذ سمع لشكوى هذه المرأة البسيطة ، واستجاب لدعائهما ، وفرج كربتها ، وأنزل الحكم في مسالحتها - حكم الظهار وكفارته — يقول سبحانه في ذلك :

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي رَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَخَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ① الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنِ نِسَاءِهِمْ مَا هُنَّ بِأَمْهَاتِهِمْ إِنَّ أَمْهَاتِهِمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدَنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ ② وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنِ النِّسَاءِ مِمَّا يَعْوِدُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقِبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ ذَلِكُمْ تُوعَذُونَ بِهِ ۖ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيِيرٌ ③ فَمَنْ لَمْ يَحِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِطْلَاعَمُ سِتِينَ مِسْكِينًا ۗ ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَتَلَكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ④ ﴾ [سورة المجادلة : آية ٤-٥].

— ثم أتبع سبحانه بذلك بيان عاقبة المتعدين حدود المستهينين بها ، وبيان وصف حاليهم يوم البعث والحساب ، فقال سبحانه :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ سُخَادُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۗ وَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْتُمْ بَيِّنَاتٍ ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ⑤ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبَّهُمْ بِمَا عَمِلُوا ۗ أَحَصَنَهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ⑥ ﴾ [سورة المجادلة : آية ٦-٧].

- بعد ذلك تحدثت السورة عن علم الله الشامل لعباده ، ومعيته لهم ، وبيان أحكام وآداب النجوى ، فقال سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعْهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا إِنَّمَا يُنَبِّهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ يُكْلِلُ شَيْءًَ عَلِيهِمْ ﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُبُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعْدُونَ لِمَا هُبُوا عَنْهُ وَيَتَسَاجُونَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدُوانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يَخْيِلْكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسِبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلُوْهَا فَيُئْسِنَ الْمَصِيرُ ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِيمَنُوا إِذَا تَنْجِيَتُمْ فَلَا تَتَسَاجُونَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدُوانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنْجِيَوْنَ بِالْإِيمَنِ وَالْتَّقْوَى وَأَنْقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَنِ لِيَخْزُنَ الَّذِينَ إِيمَنُوا وَلَيَسْ بِضَارٍ لَهُمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلِيَتَوَكَّلُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة المجادلة : آية ٧ - ١٠].

- ثم تبع ذلك بيان آداب المجالس ، والتنبيه على فضل العلم ، ورفعه مكانة العلماء ، فقال سبحانه : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِيمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسُحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعَ اللَّهُ الَّذِينَ إِيمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَتٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴾ [سورة المجادلة : آية ١١].

- ثم تنبه السورة على أدب آخر يظهر فيه علو ومقام النبي صلى الله عليه وسلم ورفعه مترتبه ، ووجوب توقيره ، ألا وهو فرض تقديم صدقة بين يدي نجواه لتشعر النفوس المؤمنة بهذا الأمر العظيم فقال سبحانه : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِيمَنُوا إِذَا تَنْجِيَتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْهِنَكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرٌ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة المجادلة : آية ١٢] .

ثم خفف سبحانه على عباده فنسخ الأمر بتقديم الصدقة ، وبقي الأمر الذي من أجله فرضت وهو وجوب توقير الرسول صلى

الله عليه وسلم وتبجيشه^(١)، فقال سبحانه : ﴿ أَشْفَقُمُّ أَنْ تُقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْهِنَجْوَنَكُمْ صَدَقَتِ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَوَةَ وَأَطْبِعُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الجادلة : آية ١٣].

— ثم تحدث السورة بشيءٍ من التفصيل عن حال المنافقين وصفاتهم ، والتي يأتي في مقدمتها تولي أعداء الله ؛ لتبيه المسلمين على الخذر من هذه الخصال والصفات الذميمة المقيمة المؤدية إلى خسارة الدارين ، فيقول سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا عَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَتَحَلَّفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أَعَدَ اللَّهُ هُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ أَخْنَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَاحَةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ لَنْ تُغْنِيَعَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا حَنَدِلُونَ ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا تَحْلِفُونَ لَكُمْ وَتَحْسَبُونَ أَهْمَمُهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُالْكَذِبُونَ ﴾ أَسْتَحْوِذُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَنُ فَأَنْسَنَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَنِ إِنَّهُمْ حِزْبُ الشَّيْطَنِ هُمُ الْحَسَرُونَ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَحْمَلُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْلِينَ كَتَبَ اللَّهُ لَأُغْلِبَنَّ أَنَا وَرَسُولِيٌّ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَنِيْزٌ ﴾ [سورة الجادلة: آية ٢١-١٤].

— ثم ختمت السورة بيان حقيقة الموالاة والمعاداة التي هي أوthic عرى الإيمان حيث قال سبحانه : ﴿ لَا تَحْدُدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُؤَدِّوْنَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْرَاجَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْأَيْمَانَ وَأَيْدِهِمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْمِلَهَا الْأَنْهَرُ حَلِيلِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ إِلَّا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة الجادلة: آية ٢٢].

١- الطبرى ، أبي جعفر محمد بن جرير : جامع البيان عن تأويل القرآن ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، (١٤١٥- ١٤١٥)، م ١٤١٥ .
٢- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام النبى ، موسسة الرسالة ، ط٩ ،
لبنان ، بيروت ، (١٤١٨- ١٤١٦)، ص ٧٨٥ .

مقاصدها

بعد عرض ما اشتملت عليه هذه السورة العظيمة من موضوعات ، يخلص الباحث إلى بيان بعض المقاصد العظيمة التي كانت ترمي إليها تلك الموضوعات المتقدمة ويمكن تلخيصها في النقاط التالية :

- بيان شمول رعايته سبحانه جميع أفراد المجتمع وذلك يتمثل في إجابتة لشكوى امرأة فقيرة من عامة المسلمين ، وإنزاله الحكم في مسألتها من فوق سبع سمات .

- بيان خطورة حال من ي تعد حدود الله ، وتوعداته بالكبت والخزي والقهر والإذلال .

- بيان معية الله لعباده وشمولية علمه وإحاطته بأحوالهم ، وذلك يتمثل في عدة أمور منها :

* ساعه لشكوى المُجَادِلة ، وما دار بينها وبين النبي - صلى الله عليه وسلم - من التحاور وإجابة شكواها .

* إحصائه - سبحانه - لأعمال العباد وإخبارهم بها يوم القيمة ومحاسبتهم عليها .

* علمه - سبحانه - بكل ما في السموات والأرض ، ومن ذلك علمه بمنجوى المتاجرين قلوا أم كثروا .

- تربية المجتمع المسلم على الآداب الفاضلة ومن ذلك :

* آداب النجوى .

* آداب التحية .

* آداب المجالس .

- فضح اليهود والمنافقين ، وبيان سوء أخلاقهم ، ومن ذلك :
- * التاجي بالإثم والعدوان ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم .
- * نبذ تحية الإسلام وتحريفها .
- * محاولة إحزان المسلمين بالأقوال والأفعال .
- * توسيع كل منهم لبعضهم البعض .
- * الغفلة عن ذكر الله والانتماء لحزب الشيطان .
- * محادة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .
- بيان فضل العلم ، ورفعه مقام أهله .
- بيان على مقام النبي صلى الله عليه وسلم ومكانته العالية ، ووجوب توقيره وتعظيمه ، وذلك يتمثل في فرض تقديم الصدقة بين يدي نجواه صلى الله عليه وسلم .
- تعزيز قضية المروءة والمعاداة في النفوس والتي تقوم على الحب في الله والبغض في الله .

عدد حروفها وكلمها وأياتها وفواصلها

جاء في البيان في عدد آيات القرآن فيما يتعلق بسورة المجادلة ما نصه :

كلمها أربع مئة وثلاث وسبعون كلمة . وحروفها ألف وسبعين مائة واثنان وتسعون . وهي إحدى وعشرون آية في المدى الأخير والمكي ، واثنتان وعشرون في عدد الباقين . واختلافها آية : ﴿أُولَئِكَ فِي الْأَذْلَى﴾ [الآية ٢٠] ، لم يدها المدى الأخير والمكي ، وعددها الساقيون . وفيها مما يشبه الفواصل موضع واحد ، وهو ﴿شَدِيدًا﴾ [الآية ١٥] . ورؤوس الآي :

بصير (١) غفور (٢) خبير (٣) أليم (٤) مهين (٥) شهيد (٦) عليم (٧) المصير (٨)

تحشرون (٩) المؤمنون (١٠) خبير (١١) رحيم (١٢) تعلمون (١٣) يعملون (١٤)

يعملون (١٥) مهين (١٦) خالدون (١٧) الكاذبون (١٨) الخاسرون (١٩)

عزيز (٢١) المفلحون (٢٢) ^(١).

* رقم (٢٠) في المصحف هو : الأذلين .

١- الأندلسى ، أبي عمرو الدانى : بيان في عدد آيات القرآن ، مركز المخطوطات والتراجم والوثائق ، ط١ ، الكويت ، (١٤١٤ هـ) ، ص ٢٤٢ .

ومن اللطائف التفسيرية التي ذكرت في سورة المجادلة أنه ليس فيها آية إلا ذكر فيها لفظ الجلالة مرة أو مرتين أو ثلاثة، وجملة ما فيها من الفاظ الجلالة خمسة وثلاثون^(١). وفي هذا لفتة تربوية مهمة وهي : تربية النفوس على مهابته - سبحانه - ، يقول النحيلي : " وتقيّز الآيات كلها في هذه السورة باشتمال كل آية على لفظ الجلاله (الله) لتربيه المهابة منه في النفوس ، وعدم التجروء على مخالفه أحكامها " ^(٢) .

ترتبها

ترتيبها في المصحف الشريف كما هو موجود بين سورتي الحديد والخشر . وهي أول النصف الثاني من القرآن باعتبار عدد سوره حيث إنها السورة الثامنة والخمسون ، وأول عشره الأخير باعتبار أجزاءه فهي أول سورة في الجزء الثامن والعشرين ^(٣) .

المناسبتها لما قبلها

علم المناسبات بين كل سورة والتي تليها أو تسبقها ، وكذلك بين الآيات من العلوم الدقيقة التي تحتاج إلى فهم عميق و تذوق لنظم البيان القرآني ، و له علاقة وثيقة بالتفسير ، حتى قيل : إن نسبة هذا العلم من التفسير ، نسبة علم البيان من النحو ^(٤) . وفائدةه جعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض ، فيقوى الارتباط ، ويصير التأليف حال البناء المحكم ، المتلازم الأجزاء" ^(٥) .

"والمناسبة في اللغة : المشاكلة "^(٦) . " و في الاصطلاح : هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه و في كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها و ما بعدها " ^(٧) .

١- الحمل ، سليمان بن عمر العجيلي : الفتوحات الأهلية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ، مطبعة عيسى الباعي ، مصر ، (د.ت) ، ج ٤ ، ص ٢٩٨ .

٢- الرحيلي ، وهبة : التفسير المنور في العقيدة والشريعة والمنهج ، دار الفكر المعاصر ، ط ١ ، لبنان ، بيروت ، (١٤١١هـ) ، ج ٢٧ ، ص ٦ .

٣- القنوجي ، صديق حسن علي الحسين : فتح البيان في مقاصد القرآن ، المكتبة العصرية ، لبنان ، بيروت ، (١٤١٠هـ) ، ج ١٤ ، ص ٨ .

٤- البقاعي ، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، دار الكتاب الإسلامي ، ط ٢ ، مصر ، القاهرة (١٤١٣هـ) ، ج ١ ، ص ٦ .

٥- الزركشي : مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٣٦ .

٦- النبورو آبادي ، محمد الدين محمد بن يعقوب : القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٧هـ) ، ص ١٧٦ .

٧- مسلم ، مصطفى : مباحث في التفسير الموضوعي ، دار القلم ، ط ٣ ، سوريا ، دمشق ، (١٤٢١هـ) ، ص ٥٨ .

وبالنسبة لسورة المجادلة فإنما تأتي حسب ترتيب المصحف - كما تقدم - بعد سورة الحديد ، وبالنظر والبحث في كتب التفسير و غيرها مما اهتمت بموضوع المناسبات بين السور نجد أن هناك علاقة و ترابطًا بين سوريتي المجادلة و الحديد تتضمن جانبيين :

الجانب الأول : من حيث خاتمة الحديد و فاتحة المجادلة.

الجانب الثاني : من حيث موضوع كل من السورتين .

أما من حيث مناسبة خاتمة الحديد و فاتحة المجادلة فإن سورة الحديد اختتمت ببيان سعة فضل الله سبحانه و تعالى و ذلك في قوله تعالى ﴿لَعِلَّا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [سورة الحديد : آية ٢٩] فجاءت سورة المجادلة بعدها مفتتحة بقوله سبحانه : ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [سورة المجادلة : آية ١] ، وفي ذلك بيان لشيء من فضل الله العظيم و هو سماعه لشكوى هذه المرأة التي رفعت إليه شكواها ومصالها ففرج الله عنها وأجاب مطلبتها وأنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم الحكم في مسألتها وهذا من عظيم فضله - سبحانه - و سعة عطائه^(١) .

أما من حيث موضوع كل من السورتين فيتلخص في الآتي :

١- تكرر في سورة الحديد ذكر سعة علمه سبحانه بكل المخلوقات وفي سورة المجادلة وردت أمثلة على إحاطة علمه وسعته منها : سماعه لشكوى المرأة و كذلك ما جاء أنه مع المتأجين قل عددهم أو أكثر .

٢- ذكر الله سبحانه و تعالى في نهاية سورة الحديد موضوع الرهبانية و أن الله لم يأمر بها و في سورة المجادلة في عن الظهار

١- الخطيب ، عبدالكرم : التفسير القرآني للقرآن ، دار الفكر العربي ، لبنان ، بيروت ، (د.ت) ، ج ٥ ، ص ٨٠٧ .

سواءً كان مطلقاً أو مؤقتاً حيث إن المؤقت يأخذ بعض صور الرهبة وذلك لأنه من التبتل .

٣- توعد الله سبحانه في سورة الحديد المنافقين بدخول النار لأنهم فتتوا أنفسهم و ذلك بإبطان الكفر و تربصهم بأنبياء صلوا الله عليه وسلم وبالمؤمنين الدوائر وفي سورة المجادلة ذكر نوعاً آخر من الكفر مما أوجب لهم الخلود في النار ألا وهو مواليتهم لليهود.

هذا بعض ما جاء في كتب التفسير و كتب تناسب سور القرآن الذي يبين مناسبة سورة المجادلة لما قبلها وهي سورة الحديد ^(١).

صلتها بما بعدها

تأتي سورة الحشر بعد سورة المجادلة كما هو موجود في المصحف الشريف وبالنظر والبحث في كتب التفسير عن مناسبة سورة المجادلة لما بعدها وهي سورة الحشر نجد أن هناك علاقة وترابطاً بين السورتين في الجوانب السالفة ذكرهما ألا وهم :

الجانب الأول : من حيث خاتمة سورة المجادلة و فاتحة سورة الحشر .

الجانب الثاني : من حيث موضوع كل من السورتين .

ـ فأما من حيث مناسبة خاتمة سورة المجادلة لفاتحة سورة الحشر فيقول البقاعي : " لما ختمت المجادلة بأنه معز أهل طاعته ومذل أهل معصيته ومحاديه عليه بتزهه عن النكائض تأييداً للوعد بنصرهم فقال ﴿سَبَحَ﴾ " ^(٢) .

١- البقاعي : مرجع سابق ، ج ١٩ ، ص ٣٣٢ - ٣٣٣ ؛ الألوسي : مرجع سابق ، ج ٢٨ ، ص ٢ ؛ الراشد : مرجع سابق ، ص ١٦ - ١٥ .

٢- البقاعي : مرجع سابق ، ج ١٩ ، ص ٤٠٣ .

— وأما من حيث مناسبة الموضوع في كل من السورتين فمن أوجه المناسبة في الموضع بين السورتين ما يلي :

— أن الله ذكر في سورة المجادلة أن من صفات المنافقين موالهم لليهود وفي سورة الحشر بين نهاية وعاقبة هذه الموالاة بين المنافقين واليهود .

— في سورة المجادلة ذكر سبحانه بأنه كتب الغلبة على الخالدين له ولرسله وفي سورة الحشر ذكر طبيقةً لـ ^ألهذا الحكم الرباني في غلبة بني النظير ^(١) .

مدنيتها

لقد اهتم العلماء غاية الاهتمام بمعرفة ما كان من القرآن مكيًّا وما كان مدنيًّا وأولوا ذلك جل عنايتهم وجعلوه من أشرف علوم القرآن وفي ذلك ينقل السيوطي عن أبي القاسم الحسن بن محمد بن حبيب التيسابوري من كتابه التبيه على فضل علوم القرآن قوله : "من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته ، وترتيب ما نزل بمكة والمدينة" ^(٢) .

وللعلماء في تعريف المكي والمدين ثلاثة اصطلاحات المشهور منها و المعتمد أن المكي ما نزل قبل هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وإن كان نزوله بغير مكة، والمديني ما نزل بعد هذه الهجرة وإن كان نزوله بمكة ^(٣) .

ولمعرفة المكي والمدين فوائد ذكرها العلماء ليس هذا مكان تفصيلها ولكن ذكر هنا فائدة تتعلق بالجانب التربوي ألا وهي : أن من فوائد معرفة المكي والمديني : "معرفة طريقة القرآن التي سلكها في تنشئة الأمة المسلمة وتربيتها والخطوات التي خطوها في

١— الألوسي : مرجع سابق ، ج ٢٨ ، ص ٣٨ ؛ الراشد : مرجع سابق ، ص ١٧ .

٢— السيوطي : مرجع سابق ، ص ١١ .

٣— الزرقاني ، محمد عبدالعظيم : مناهل العرفان في علوم القرآن ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٨هـ) ، ج ١ ، ص ١٩٤ .

إقامة الدولة الإسلامية حتى يكون في ذلك عبرة لدعوة الإصلاح ، وقادة الفكر الإسلامي الذين يتطلعون إلى استئناف الحياة الإسلامية من جديد " ^(١) .

وبالنسبة للسورة موضوع البحث و الدراسة فإن جمهور المفسرين على أنها مدنية كلها، ومن قال بهذا القول ترجمان القرآن ابن عباس - رضي الله عنه - والحسن ومجاهد وعكرمة - رحم الله الجميع - ^(٢) . يقول القرطبي : " هي مدنية في قول الجميع إلا رواية عن عطاء : أن العشر الأول منها مدنى وباقيتها مكى ، وقال الكلبى : نزل جميعها بالمدينة غير قوله ^{هـ} ما يكُونُ من نجوى ثلثة ^{هـ} نزلت بمكة " ^(٣) .

فضلها

سورة المجادلة سورة عظيمة - وكل سور القرآن وآياته كذلك - وذلك لما احتوت عليه من إرشادات وتوجيهات بلغة يقف عليها ككل من تأمل آياتها هذا بشكل عام ، أما عن خصوصية فضل هذه السورة فذلك يتوقف على ما صاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فهذا أمر توقيفي لا دخل للأجتهاد فيه وبالنظر للكتب التي بحثت فضائل سور القرآن يتضح أنه لم يصح في فضل سورة المجادلة شيء سوى أنها من سور المفصل ^{*} الذي أوتيه النبي صلى الله عليه وسلم نافلة ففضل به على سائر الأنبياء ^(٤) فهي صحيح الترغيب والترهيب عن واشلة بن الأسعق ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أعطيت مكان التوراة السبع ، وأعطيت مكان الزبور المئين ، وأعطيت مكان

الإنجيل الثاني ، وفضلت بـ [المفصل] " ^(٥)

١- الصياغ ، محمد لطفي : مراجع سابق ، ص ١٤٩.

٢- ابن الجوزي ، أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي : زاد المسير في علم التفسير ، المكتب الإسلامي ، لبنان ، بيروت ، (د.ت) ، ج ٨، ص ١٨٠.

٣- القرطبي ، أبي عبدالله محمد بن أحمد : الجامع لأحكام القرآن ، دار أحياء التراث العربي ، لبنان ، بيروت ، (١٩٦٦) ، ج ١٧ ، ص ٢٦٩.

* سور المفصل - على الصحيح - تبدأ من سورة ق إلى الناس ، أنظر : الزركشي : مراجع سابق ، ج ١، ص ٢٤٦.

٤- طرهوني ، محمد بن رزق : موسوعة فضائل سور وأيات القرآن (القسم الصحيح) ، مكتبة العلم ، ط ٢ ، المملكة العربية السعودية ، حلقة ، (٤١٤ هـ) ، ج ٢ ، ص ١٧١.

٥- الألباني ، محمد ناصر الدين : صحيح الترغيب والترهيب ، مكتبة المعارف ، ط ١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢١ هـ) ، ج ٢ ، ص ١٨١.

الناسخ والمنسوخ فيها

سورة المجادلة كلها محكم غير منسوخ ما عدا الآية رقم (١٢) منسوخة بآلية رقم (١٣) من نفس السورة . نقل الأرمي عن محمد بن حزم قوله : " سورة المجادلة كلها محكم إلا آية واحدة ، وهي قوله تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَبَجَّمُ الرَّسُولُ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْهِ نَجْوَنَكُمْ صَدَقَةً ...﴾ الآية (١٢) من المجادلة ، نسخت بقوله تعالى : ﴿إِشْفَقُمْ أَنْ تُقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْهِ نَجْوَنَكُمْ صَدَقَتِ ...﴾ الآية (١٣) . فنسخ الله تعالى ذلك ياقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، والطاعة لله وللرسول صلى الله عليه وسلم " ^(١) .

مكانتها التربوية

القرآن الكريم آخر الكتب السماوية نزل على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وفيه الهدایة للناس أجمعين ، وكل سورة من سور القرآن الكريم تحمل دستوراً للأمة ، ومنهجاً للتربية والإصلاح . وسورة المجادلة إحدى سوره العظيمة التي تحمل أثراً فريداً في تربية الجيل الأول وتبين ما بذل في ذلك من جهود ضخمة ، وكيف كان الأسلوب القرآني يبني تلك النفوس المؤمنة ، وكيف كان يتم علاج الأحداث والتراثات والعادات ، وفي هذا يقول قطب :

ولقد اقتضت تربية النفوس وإعدادها للدور الكوني الكبير المقدر لها في الأرض جهوداً ضخمة ، وصيراً طریلاً ، وعلاجاً بطیئاً ، في صغار الأمور وفي كبارها .. كانت حركة بناء هائلة هذه التي قام بها الإسلام ، وقام بها رسول الإسلام — صلى الله عليه وسلم — بناء النفوس التي

١- الأرمي ، محمد الأمين بن عبدالله : حدائق الروح والريحان في روای علوم القرآن ، دار طوق النجاة ، ط١ ، لبنان ، بيروت ، (١٤٢١ھـ) ، ج ٢٩ ، ص ٨ .

تهضي بناء المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية ، وتقوم على منهج الله ، تفهمه وتحققه ، وتنقله إلى أطراف الأرض في صورة حية متحركة ، لا في صحائف وكلمات .

ونحن نشهد في هذه السورة [أي سورة المجادلة] — وفي هذا الجزء كله [جزء قد سمع] — طرفاً من تلك الجهود الضخمة ، وطرفاً من الأسلوب القرآني كذلك في بناء النفوس ، وفي علاج الأحداث والعادات والترويات ، كما نشهد جانباً من الصراع الطويل بين الإسلام وخصومه المختلفين من مشركين ويهود ومنافقين ^(١) .

كما أن سورة المجادلة يتضح فيها بصورة خاصة التنظيم الدقيق لحياة الأمة بجميع جوانبها المختلفة ، وفيها يتضح الأنموذج الأكمل لرعايتها — سبحانه للجماعة الناشئة التي تصنع على عينه — سبحانه — وتربي بنهجه لتقوم بعد ذلك برفع لواءه في العالمين . يقول قطب :

وفي هذه السورة بصفة خاصة نشاهد صورة موحية من رعاية الله للجماعة الناشئة ؛ وهو يصنعها على عينه ، ويريها بنهجه ، ويشعرها برعايته ، وبين في ضميرها الشعور الحسي بوجوده — سبحانه — معها في أخص خصائصها ، وأصغر شؤونها ، وأحفي طواعتها ؛ وحراسته لها من كيد أعدائها خفيه وظاهره ؛ وأخذها في حماه وكفه ، وضمها إلى لواءه وظلله ؛ وتربية أخلاقها وعاداتها وتقاليدها تربية تلقي بالجماعة التي تنضوي إلى كنف الله ، وتنسب إليه ، وتتولف حزبه في الأرض ، وترفع لواءه لتعرف به في الأرض جميعاً ^(٢) .

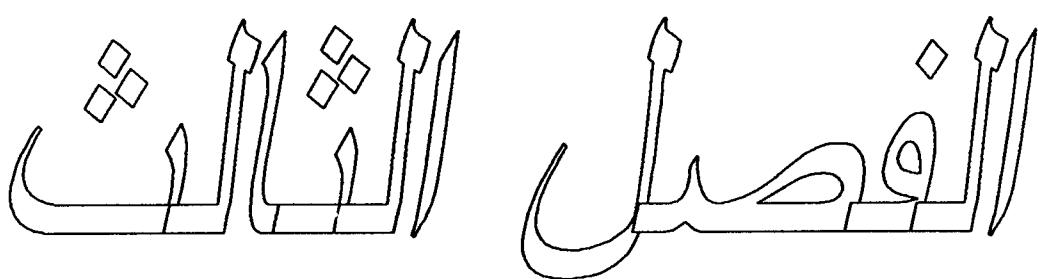
ومن هنا كان لهذه السورة العظيمة المكانة التربوية الرفيعة ، وفيها التنظيم للحياة الاجتماعية ، ولقضايا الأسرة ، وفيها ربط الحياة بالدين ، وفيها ربط العلم بالدين ، وفيها تربية الآداب والأخلاق والسلوك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع المؤمنين بعضهم مع بعض في نجواهم وفي مجالسهم ومنتدياتهم ^(٣) ، وفيها حماية المؤمنين من كيد أعدائهم من يهود ومنافقين ، وفيها بناء العلاقة في الدين على الولاء والبراء

١— قطب ، سيد : في ظلال القرآن ، دار الشروق ، ط٧ ، مصر ، القاهرة ، (١٤١٢—١٧٧) ، ج٦ ، ص٣٥٠٣ .

٢— المرجع السابق : ٣٥٠٣ .

٣— عرض : مرجع سابق ، ص ٨ .

لرب العالمين فهـي هـذا كـله مدرسة تـربـويـة مـتـكـامـلة
تفتح أبوابـها أـمـام كل مـرـبـ أـرـادـ أنـ يـنـهـلـ مـنـ معـيـنـهاـ الـمـتـدـفـقـ
الـذـيـ لـاـ يـنـضـبـ .



((التوجيهات التربوية المُتَضَمِّنة في الجانب العقدي))

- المحور الأول : معية الله لعباده .
- المحور الثاني : الموالاة والمعاداة .

مدخل

إن التربية الإسلامية تولي الجانب العقدي عنابة خاصة؛ وذلك يعود لأهمية هذا الجانب وأثره في تكوين المجتمع المسلم "الذي يخطو الإسلام بخطوات سليمة متدرجة يقودها الوحي، لقيمه مثلاً ومناراً للبشرية كلها ، وذلك لأن الإسلام يبدأ بإصلاح الفرد أولاً حيث يغرس فيه عقيدته وإيمانه، ويربى خلقه وسلوكيه ، ويهدب نفسه ويزكيها ، ثم ينطلق إلى دائرة أوسع هي دائرة البيت والأسرة ، فيقيم دعائهما على أساس قوية متينة من الدين ففيؤثر ذلك كله في بناء المجتمع ^(١)؛ بهذا تتضح أهمية الجانب العقدي في حياة الفرد والمجتمع بكامله فإنه يعتبر "العامل الأول والركيزة الأساسية التي ينبغي عليها كيان المجتمع" ^(٢) ، وهذا الأمر يتضح لكل باحث يتأمل كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم حيث يجد فيهما "أن أساس كل عمل في الإسلام ينطلق من العقيدة ويرتكز عليها" ^(٣) .

وهذا الفصل يتحدث عن المضمنون التربوي لموضوعين من موضوعات العقيدة هما الأهمية البالغة في حياة الفرد والمجتمع - وذلك من خلال دراسة سورة المجادلة - وهما :

- ١- معية الله لعباده (المعية الألهية)
- ٢- الموالاة والمعاداة .

١- ضميرة ، عثمان بن جمعة : أثر العقيدة الإسلامية في اختفاء الجريمة ، دار الأندرس الخضراء ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، جدة ، (١٤٢١هـ) ، ص ٩ .

٢- السجيمي ، صالح بن سعد : منهج السلف في العقيدة وأثره في وحدة المسلمين ، المملكة العربية السعودية ، المدينة المنورة ، (د.ت) ، ص ، ٤ .

٣- المرجع السابق : ص ٦ .

المحور الأول : معية الله لعباده

يقول تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِّهِمْ وَلَا حَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَئِنَّ مَا كَانُواٰ شُمًّا يُنَبِّهُمْ بِمَا عَمِلُواٰ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [سورة الجادلة : آية ٧]

" تبدأ الآية بذكر علم الله الشامل لما في السماوات وما في الأرض على إطلاقه ، فتدفع القلب يرود آفاق السماوات وأرجاء الأرض مع علم الله المحيط بكل شيء في هذا المدى الوسيع المنطاطول . من صغير وكبير ، وخفاف وظاهر ، ومعلوم ومحظوظ .. ثم تدرج من هذه الآفاق وتلك الأرجاء ، وتزحف وتقرب حتى تلمس ذوات المخاطبين وتعس قلوبهم بصورة من ذلك العلم الإلهي تهز القلوب " ^(١) : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِّهِمْ وَلَا حَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَئِنَّ مَا كَانُواٰ شُمًّا ﴾ [سورة الجادلة : آية ٧]

" تقرير إلهي عميق بحضور الله وشهوده مع كل إنسان وهو ما اصطلاح على تسميته بالمعية الإلهية " ^(٢) . فما هي هذه المعية ؟

المعية من حيث اللغة

يقول الرازي في مختار الصحاح : " مع : الكلمة تدل على الصاحبة " ^(٣) . ويقول الزاوي في مختار القاموس : " مع : اسم . وقد يسكن وينون ، أو الكلمة تضم الشيء إلى الشيء وأصلها معاً . وتكون بمعنى عند . وتقول كتا معاً : أي جهيناً " ^(٤) . فيكون معنى المعية في اللغة : المصاحبة والمقارنة والجماعنة من غير وجوب مخالطة ، وهذا ما نص عليه ابن تيمية - رحمه الله - إذ يقول : " إن الكلمة (مع) في اللغة إذا

١- قطب ، سيد : مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٣٥٠٨ .

٢- آل سعود ، سارة عبدالحسن عبدالله بن جلوبي : المسلم المعاصر بين المعية والمسؤولية ، ط ١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٩هـ) . ص ١٥ .

٣- الرازي ، محمد بن أبي بكر : مختار الصحاح ، دار المعارف ، مصر ، القاهرة ، (١٩٧٣) ، ص ٦٢٧ .

٤- الزاوي ، الطاهر أحمد : مختار القاموس ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، (د.ت) ، ص ٥٧٨ .

أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماثة أو محاذاة عن يمين أو شمال فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى ^(١).

المعية من حيث الإصطلاح الشرعي

تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإصطلاح الشرعي للمعية في كلام طويل في عدة مواضع من الجزء الخامس من الفتاوی ^(٢) ملخصه ما ذكرته سارة آل سعود إذ تقول في بيان المعية إصطلاحاً هي : " إن الله مع العباد عموماً بعلمه ، ومع أوليائه بالنصر ، والتأييد ، والكفاية ، وهو قريب مجتب . فالله تعالى عالم بعباده وهو معهم أينما كانوا وعلمه بهم من لوازם المعية " ^(٣) .

أقسام المعية

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " لفظ المعية استعمل في الكتاب والسنة في مواضع ، يقتضي في كل موضع أموراً لا يقتضيها في الموضع الآخر ، فإذاما أن تختلف دلالتها بحسب الموضع ، أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها وإن امتاز كل موضع بخاصيته " ^(٤) من هنا قسم أهل العلم معية الله الواردة في النصوص الشرعية إلى قسمين ^(٥) :

١ - معية عامة

وهي معية شاملة للكون بما فيه ، تشمل المؤمن والكافر ، والبار والفاجر ، فهي تستلزم الإحاطة بالخلق علمًا وقدرة وسمعًا وبصرًا وسلطانًا وغير ذلك من معانٍ الربوية وسيت عامة لأنها

١ - ابن تيمية ، أبو العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم : مجموع الفتاوى ، جمع وترتيب : ابن قاسم ، عبدالرحمن بن محمد . مكتبة المعارف ، المغرب ، الرباط ، (د.ت) . ج ٥ ، ص ١٠٣ .

٢ - انظر : المراجع السابق ، ج ٥ ، ص ٤٩٥ - ٤٩٩ .

٣ - آل سعود : مراجع السابق ، ص ص ٢٢ - ٢١ .

٤ - ابن تيمية : مراجع السابق : ج ٥ ، ص ١٠٤ .

٥ - انظر : العشرين ، محمد صالح : شرح العقيدة الواسطية ، دار ابن الجوزي ، ط ٥ ، المملكة العربية السعودية ، الدمام ، (١٤١٩هـ—)، ج ١ ، ص ٤٠١ .

تعم جميع الخلق ، وهذه المعية هي المرادة بقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ ترَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٌ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٌ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواٰ ثُمَّ يَتَبَعَهُمْ بِمَا عَمِلُواٰ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [سورة المحادلة : آية ٧] .

٢. معية خاصة

وهذه المعية تنقسم إلى قسمين :

أ - مقيدة بوصف ؛ مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [سورة التحل : آية ١٢٨] .

ب - مقيدة بشخص معين ؛ مثل قوله تعالى عن نبيه : ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذَا أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ أَنَّهُنَّ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَسْفَلَيْ وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ أَعْلَمُهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة التوبه : آية ٤٠] ، وقوله تعالى لموسى وهارون عليهم السلام : ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [سورة طه : آية ٤٦] .

والمعية المقيدة بشخص أخص من المقيدة بوصف ، فالمعية درجات : عامة مطلقة ، وخاصية مقيدة بوصف ، وخاصية مقيدة بشخص ، وأخص هذه الأنواع : ما قيد بشخص ، ثم ما قيد بوصف ، ثم ما كان عاماً^(١) .

والمعية الخاصة بقسميها تستلزم - مع ما ذكر في المعية العامة - النصر والتأيد ، والمعونة والكافية ، والمؤازرة والحفظ والدفع . وسميت خاصة لأنها تختص أولياء الله دون غيرهم .

١- المراجع السابق : ج ١ ، ص ٤٠١ .

الفرق بين المعية العامة والخاصة

من خلال ما سبق بيانه في الحديث عن أقسام المعية يظهر الفرق بين المعيتين في الآتي^(١) :

١— المعية العامة من مقتضاها العلم والإطلاع والإحاطة بجميع الخلق . أمّا المعية الخاصة فتزيد على ذلك بالحفظ والعناية والنصرة والتوفيق والتسديد والحماية من **المهالك** واللطف بأنبائه ورسله وأوليائه .

٢— المعية العامة من الصفات الذاتية . أمّا الخاصة فمن الصفات الفعلية ؛ يقول العثيمين في بيان : هل المعية من الصفات الذاتية أو من الصفات الفعلية ؟ فيه تفصيل أمّا المعية العامة ؛ فهي ذاتية ؛ لأن الله لم يزل ولا يزال محبطاً بالخلق علمًا وقدرة سلطاناً وغير ذلك من معانٍ ربوبيته . وأمّا المعية الخاصة ؛ فهي صفة فعلية ؛ لأنها تابعة لمشيئة الله ، وكل صفة مقرونة بسبب هي من الصفات الفعلية ؛ فقد سبق لنا أن الرضى من الصفات الفعلية ؛ لأنّه مقرون بسبب ، إذا وجد السبب الذي به يرضى الله ؛ وجد الرضى ، وكذلك المعية الخاصة ؛ إذا وجدت التقوى أو غيرها من أسبابها في شخص ؛ كان الله معه^(٢) .

٣— العامة تكون في سياق تحريف ومحاسبة على الأعمال وتحث على المراقبة . أمّا الخاصة فمرتبة على الإنصاف والأوصاف الفاضلة الحميدة .

كيف تتحقق للعبد معية الله الخاصة ؟

تقديم أن المعية الخاصة هي معية الحفظ والإحاطة والتأييد والعناية والتوفيق ، والنصر والتسديد ؛ فكيف يصل العبد إلى هذه الدرجة ، وتحقيق له هذه المعية ؟ إن معية الله الخاصة لا تأتي من فراغ ولكي تتحقق للعبد تستلزم منه الجد والاجتهد ، والترقي في سلم الطاعات ، وتركية النفس وتمذيبها ؛ فهي تصدق العمل

١— انظر : السلمان ، عبدالعزيز الحمد : مختصر الأسلمة والأحوية الأصولية على العقيدة الواسطية ، مطبع المدينة ، ط ١٣ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٤٢١هـ) ، ص ٩٠ .

٢— العثيمين : مراجع سابق ، ج ١ ، ص ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ .

الصالح للإيمان الصادق^(١). يقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه مبيناً كيف يحظى العبد بإقبال ربه إليه ، وينال خاص معيته : " وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى ما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحبته : كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سأله لأعطيته ، ولئن استعاذه لأعيذه " ^(٢)

إذاً معية الله الخاصة تستلزم من العبد تحقيق تقوى الله ولزوم طاعته واجتناب معصيته ؛ وهذا الأمر هو ثمرة لاستشعار معية الله العامة ؛ حيث أن " من أدى مقتضيات معية الله العامة وقام بها ؛ فإن الله يمن عليه بمعيته الخاصة ويصطفيه لها " ^(٣) . وقد بين أهل العلم الصفات التي من حقها استحق بها معية الله الخاصة ، والتي هي عبارة عن تحقيق العبد للمفهوم الشامل للعبادة ، ومن هذه الصفات ^(٤) :

- ١ - تحقيق تقوى الله : يقول تعالى : « إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ آتَقُوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ » [سورة النحل : آية ١٢٨]
- ويقول تعالى : « يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلَ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ » [سورة الأنفال : آية ٢٩] .
- ٢ - نصرة دينه وجهاد أعدائه : يقول تعالى : « الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِن دِيْرِهِم بِغَيْرِ حَقٍ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعَ اللَّهَ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ هُدِمَتْ صَوَامِعٌ وَبَيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذْكَرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَصُرَّتِ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌ عَزِيزٌ ﴿١﴾ » [سورة الحج : آية ٤٠] ، ويقول تعالى : « يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرُكُمْ وَيُتَبَّتْ أَفْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ » [سورة محمد : آية ٧]

١ - آل سعود : مرجع سابق ، ص ٦١ .

٢ - البخاري ، محمد بن إسحاق . صحيح البخاري ، بيت الأفكار الدولية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٩ـ) ، ح ٦٥٠٢ ، ص ١٢٤٧ .

٣ - آل سعود : مرجع سابق ، ص ٦٠ .

٤ - انظر : الشنقطي ، محمد الأمين بن محمد المختار : أصوات البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، عالم الكتب ، لبنان ، بيروت ، (د.ت) ، ج ٥ ، ص ٧٠٣ - ٧٠٤ .

٣- التزام طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومتابعته : « قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ » [سورة آل عمران : آية ٣١] « يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝ » [سورة الأحزاب : آية ٧٠ - ٧١].

الأثار التربوية لاستشعار المعية الإلهية

إن استشعار المعية الإلهية — بقسميها : العامة والخاصة — يتربع عليه آثار تربوية عظيمة منها :

١— تحقيق مراقبة الرب سبحانه وتعالى .

إن استشعار معية الله توقف في النفس مراقبة الله — عز وجل — في السر والعلن ، فهو سبحانه مع كل نفس في كل وقت ومكان لا تخفي عليه خافية ، يقول ابن القيم مبيناً ماهية هذه المراقبة وأها ثرة لإيمان العبد ويقينه لمعية الله له وعلمه بحاله في كل وقت : " المراقبة دوام العبد باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه ، فاستدامته لهذا العلم واليقين هي المراقبة وهي ثرة علمه بأن الله سبحانه وتعالى رقيب عليه ناظر إليه ، سامع لقوله وهو مطلع على عمله كل وقت وكل لحظة وكل نفس وكل طرفة عين " ^(١) .

وهذه المراقبة التي هي ثرة لاستشعار المعية يتربع عليها أمور تربوية كثيرة منها ^(٢) :

— الإقبال على الله تعالى والدوام على هذا الإقبال .

— حضور القلب ويقظته المستمرة .

— تعظيم الخالق تعظيمًا منبعًا من الشعور بجلاله وكماله .

— امتلاء القلب بهذا التعظيم حتى لا يلتفت الإنسان إلى سواه .

١— ابن القيم ، محمد بن أبي بكر : مدارج السالكين بين منازل إياك عبد وإياك نستعين ، دار الكتاب العربي ، ط ٢ ، لبنان ، بيروت ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، (١٣٩٣ـ) ، ج ٢ ، ص ٦٥ .

٢— انظر : عرض : مراجع سابق ، ص ٢٣١

— التجدد من الشهوات فتتابع إرادة العبد إرادة ربه في كل صغيرة وكبيرة فتزكر نفسه يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " تركية النفس أن يعلم أن الله عز وجل معه حيث كان " ^(١) .

— الإخلاص في الأعمال وتأديتها على خير ما تكون .

— العمل على تحقيق مرتبة الإحسان وهي التي عرفها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " ^(٢) .

٢— تحقيق كمال الإيمان .

إن العلاقة بين قوة الإيمان وكماله وبين استشعار معية الله علاقة قوية ؛ تقول سارة آل سعود :

القلب الكامل للإيمان يستشعر معية الله في كل لحظة وحال ، وهذا ما يعصمه من الزلل والانحراف النفسي ، والقلبي ، والعملي ، وفي المقابل فإن استشعار معية الله يغيب حين يكون الإيمان ناقصاً ، أو ضعيفاً ، أو شابه شائبة ما ، ومن ثم يكون الانحراف النفسي والقلبي ، والعملي ، لأن المسلم هنا نسي معية الله له ، وعلمه فيه ، وإحاطته به ، أو غابت عنه تحت ركام الانحرافات فوقع في ذلك ، لغياب الرقيب الداخلي ^(٣) .

يبين النبي صلى الله عليه وسلم هذه العلاقة المتبادلة بين استشعار معية الله وقوة الإيمان في مثل قوله : " لا يزني الراي حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن " ^(٤) . وقوله صلى الله عليه وسلم : " ليس المؤمن بالطعان ، ولا اللعان ، ولا الفاحش ، ولا البذيء " ^(٥) .

١— الألباني، محمد ناصر الدين : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، مكتبة المعارف للمملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٥هـ) ، جـ ٣ ، حـ ١٠٤٦ .
صـ ٣٧ .

٢— النسابرeri ، مسلم بن الحجاج القشيري : صحيح مسلم ، بيت الأفكار الدولية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٩هـ) ، حـ ٨ ، صـ ٣٦ .
٣— آل سعود : مراجع سابق ، صـ ٤٥ .

٤— البخاري : مراجع سابق ، حـ ٥٥٧٨ ، صـ ١٠٩٩ .

٥— الترمذi ، أبي عيسى محمد بن عيسى : جامع الترمذi ، بيت الأفكار الدولية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (د . ت) ، حـ ١٩٧٧ ، صـ ٣٣١ ؛ وصححه : الألباني ، محمد ناصر الدين : صحيح سنن الترمذi ، مكتبة المعارف ، طـ ١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢٠هـ) ، جـ ٢ ، حـ ١٩٧٧ ، صـ ٣٧ .

تعلق سارة آل سعود على الحدثين مبينة العلاقة الوثيقة بين الإيمان واستشعار معية الله فتقول :

إن نفي الإيمان في الحدثين الشريفين عن مرتكب المعصية ، قوله كانت أو فعلية ، إنما هو بيان وتأكيد على أن أخraf المؤمن عن صراط الله المستقيم إنما يتم في الفترات التي يغيب فيها المسلم عن استشعاره لمعية الله ، وحين لا يتذكر بأن الله يعلم حاله ، ويرى مكانه ويسمع قوله ، لأنه لو تذكر في حال أخراه أنه معه ، واستشعر أبعاد هذه المعية لما تجرا على مقارفة ما هو فيه من أخراج ، لأن إيمانه في هذه الحالة لا بد أن يمنعه ، ويحول بينه وبين الاحراف . ﴿إِنَّ الَّذِينَ آتَقْوَا إِذَا مَسَّهُمْ طَيْفٌ مِّنَ الشَّيْطَنِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُّتَّهِرُونَ﴾ [سورة الأعراف : آية ٢٠١] .^(١)

٣— تحقيق الاطمئنان النفسي للعبد .

إن من الآثار التربوية لاستشعار المعية الإلهية تحقيق الاطمئنان النفسي للعبد ؛ وذلك لأن "سعادة الإنسان المؤمن واستقراره وسكنيته تتبع من داخله ، من صدق إيمانه بربه ، ويقينه من معية الله له" ^(٢) ، أما إذا فقد العبد الإحساس بمعية الله له فإنه "يصطلي بنيران الوحدة ، والوحشة حتى وإن عاش حياة اجتماعية حافلة" ^(٣) ، ولا يطفى هذه النيران ولا يذهب هذه الوحشة إلا استشعار معية الله ، يقول القرضاوي : "إن شعور المؤمن بمعية الله وصحبته دائماً يجعله في أنس دائم بربه ، ونعم موصول بقربه يحس أبداً بالنور يغمر قلبه ولو أنه في ظلمة الليل البهيم ، ويشعر بالأنس يملأ عليه حياته وإن كان في وحشة من الخلطاء والعاشرين" ^(٤) ، وصدق الله إذ يقول : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطَمِّنُ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطَمِّنُ الْقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد : آية ٢٨] .

١— آل سعود : مرجع سابق ، ص ص ٤٧—٤٨ .

٢— المراجع السابق : ص ٢٨ .

٣— المراجع السابق : ص ٣٠ .

٤— القرضاوي ، يوسف : الإيمان والحياة ، مؤسسة الرسالة ، ط٤ ، لبنان ، بيروت ، (١٣٩٩هـ) ، ص ١٢٥ .

٤— تنمية الحياة من الله .

إن استشعار معية الله على الدوام تبني في العبد حس الحياة من الله ، في أن يفقده حيث أمره ، أو يجده حيث ناه ، من هنا تجده مسارعاً في ما أمر به ربه مجسماً ما هي عنده على أكمل صورة ظاهراً وباطناً^(١) واضعاً نصب عينيه قوله تعالى :

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتَلَوَّ مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شَهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزِبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالٍ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [سورة يونس : آية ٦١] .

٥— تقوية سلطان الوازع الديني في نفس العبد .

إن استشعار العبد لمعية الله له على كل حال من أعظم الأسباب المؤدية إلى تنمية الوازع الديني في داخله أو ما يسميه بعضهم بالضمير الخلقي ويبيّن هذا الأمر تعريفه صلى الله عليه وسلم للإحسان بقوله : " الإحسان : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " ^(٢) يقول الزنتاني في هذا الصدد :

إن مفهوم الضمير الخلقي ، في القرآن والسنة ، إنما هو في مجمله : ذات أخلاقية عليا ، أو رقابة ذاتية ، أو وازع داخلي ، يوجه الإنسان ، في نوایاه ومقاصده وسلوكه وتصرفاته وأقواله وأفعاله وعلاقاته ومعاملاته ، وجهة خيرة متماشية مع الشرع والعقل والأخلاق والعرف الاجتماعي السليم والاتجاهات الإنسانية الرشيدة .

إن الضمير الخلقي ، بالمعنى الإسلامي ، هو إحساس نفسي داخلي يراعي به (المسلم) ربه تعالى ويخشاه بالغيب ، ويستشعر حضوره الدائم معه ورقبته له ، وكأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فإن الله تعالى يرى (عده) في كل الأحوال ، ويعلم ما في نفسه وما تطرف به عينه ، وما يختفي صدره ، وهو أقرب إليه من حبل الوريد ^(٣) .

١— آل سعود : مرجع سابق ، ص ٤٨ .

٢— تقدم تخرجه : ص ٤٢ .

٣— الزنتاني ، عبد الحميد الصيد : فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة ، الدار العربية للكتاب ، ط١ ، ليبيا ، طرابلس ، (١٩٩٣م) ،

وهذا ما تؤكده سارة آل سعود إذ تقول :

الوازع — الداخلي — لا تستكمل ملامحه ، ولا يقوى سلطانه إلا إذا نُشِئَ في كنف استشعار حقيقي لمعية الله ، ومراقبته الدائمة له ، هذا الاستشعار هو الذي يضيء جنبات النفس ، وملكات العقل بنور الإيمان الصادق بالله ، الخالص له ؛ فيووظ بالداخل روح الإحساس بالواجب ، الذي يرتقي بطبيعة الإنسان العليا حتى تطغى على طبيعته السفلي ، فيبدو لها صوت الضمير المتشبع بالوازع الديني واضحًا جليًّا ، يأمر وينهى ، يزكي ملكات الإنسان العليا ، ويحميها من الانطماس تحت ركام العوامل النفسية الداخلية ، أو المؤثرات البيئية الخارجية . ﴿ وَتَفْسِيرٌ وَمَا سَوَّنَهَا ﴾ فَاهْمَهَا قُبُورَهَا

﴿ وَتَقْوَنَهَا ﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَرَهَا ﴾ [سورة الشمس : آية ٧ - ٩] (١)

٦ — القيام بأمانة التكليف.

إن استشعار المعية الإلهية من أكبر العوامل المؤدية إلى الإحساس بالمسؤولية والقيام بالواجبات وهذا ما تبينه سارة آل سعود وهي تتحدث عن عمق العلاقة بين

استشعار الإنسان لمعية الله له وبين قيامه بمسؤولياته المناطة به إذ تقول :

أنه كلما ازداد شعوره بهذه المعية الإلهية ، تعمق إحساسه بالمسؤولية تجاه ربِّه ، ونفسه ، وأسرته ، ومجتمعه ، وأمته ، وقيامه بواجباته تجاه هذه المحاور كلها ؛ والعكس صحيح ، فكلما ضعف ، أو وهن استشعاره لمعية الله له ، ضعف في المقابل إحساسه بالمسؤولية ، وقيامه بواجباته ؛ فالأصل في قيام المجتمع ، والأمة بمسؤولياتهما الدينية ، والدنيوية ، هو تحقق إيمان الفرد بحقيقة معية الله له ، ووضوح أبعادها في أعماقه ، وما يترتب على ذلك من قيامه بمسؤولية أمانة التكليف والخلافة على الأرض (٢) .

السورة والمعية الإلهية

إن المتأمل لآيات هذه السورة العظيمة ليلحظ أن السورة من أوها لآخرها مقررة للمعية الإلهية وفي هذا يقول قطب : " وفي هذه السورة بصفة خاصة نشهد صورة موحية من رعاية الله للجماعة الناشئة ؛ وهو يصنعها على عينيه ، ويربيها بنهجه ،

١— آل سعود : مرجع سابق ، ص ١٩٢ - ١٩٣ .

٢— المرجع السابق : ص ٢١١ .

ويشعرها برعايتها ، وينبئ في ضميرها الشعور الحي بوجوده — سبحانه — معها في أخص خصائصها ، وأصغر شؤونها ، وأخفى طواياها ^(١) . ولبيان هذا الأمر يحاول

الباحث توضيح كيفية معالجة السورة لموضوع المعية الإلهية :

— في المقطع الأول من السورة والذي اشتمل على مجادلة حولتة بنت ثعلبة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم في مظاهره زوجها لها ومن ثم بيان حكم الظهور وهو ما بيته الآيات الأربع الأولى : يلحظ أثر المعية الإلهية الخاصة لعباده المؤمنين وذلك يتمثل في سماعه — سبحانه — لشكوى هذه المرأة المؤمنة وإجابتها وفي هذا يقول قطب : " وقد سمع — سبحانه — للمرأة وهي تناور رسول الله فيها ، ولم تكدر تسمعها عائشة وهي قريبة منها ! وهي صورة تماماً القلب بوجود الله وقربه وعطفه ورعايته " ^(٢) نعم إنها المعية الإلهية الخاصة لعباده المؤمنين .

— أما المقطع الثاني من السورة والذي يتحدث عن المخادين لله ولرسوله وهو ما بيته الآيات الخامسة والسادسة : فيلحظ ختم هذه الآيات بقوله سبحانه : ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ وفي هذا تأكيد حضور الله واطلاعه لكل أحد وهو بيان لمعبة الله العامة خلقه أجمعين .

— وفي الآية السابعة تأكيد ويبيان لهذا الأمر حيث إن هذه الآية نص صريح في بيان معية الله العامة لجميع الخلق حيث يقول سبحانه : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا حَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواٰ إِنَّمَا يُنَبِّهُمْ بِمَا عَلِلُواٰ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ، يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية : " حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه

١— قطب ، سيد : مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٣٥٠٣ .

٢— المراجع السابق : ج ٦ ، ص ٣٥٠٤ .

الآية معينة علمه تعالى ولا شك في إرادة ذلك ^(١)، ومن نقل هذا الإجماع : ابن عبد البر ^(٢)، وابن القيم ^(٣)، وغيرهم .

— وفي بقية الآيات من السورة الكريمة تظهر معية الله في أمرين :

الأول : بيان حال نحوى اليهود والمنافقين وكذلك تحريفهم لتحية الإسلام وموالاة بعضهم البعض وظنهم أن ذلك يخفى ولا يظهر ففضحهم الله وبين حاهم فهو سبحانه لا يخفى عليه شيء من أمرهم يعلم ما يخفون وما يعلون وهذا هو مقتضى معيته — سبحانه — لعامة خلقه .

الثاني : تظهر آثار معيته الخاصة لرسله وعباده المؤمنين ويتبين ذلك من قوله سبحانه : ﴿كَتَبَ اللَّهُ لِأَغْلِبِنَا أَنَا وَرَسُولِي﴾ فهو — سبحانه — مع رسله ومنتبعهم وسار على هجوم وهذا مقتضى معيته الخاصة ، وتظهر كذلك في قوله : ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ قوله : ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ قوله : ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ إلى غير ذلك مما يبين مقتضى معيته الخاصة لعباده المؤمنين .

١— ابن كثير : مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٣٤٥ .

٢— انظر : ابن عبد البر ، أبي عمر يوسف بن عبد الله : التهديد لما في الموطأ من المعانى والأسانيد ، مطبعة فضالة ، ط ٢ ، المغرب ، تحقيق : سعيد أحمد اعراب ، (١٤٠٢هـ) ، ج ٧ ، ص ص ١٣٨ - ١٣٩ .

٣— انظر : ابن القيم ، محمد بن أبي بكر أيوب : إجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٤هـ) ، ص ٨١ .

التطبيقات التربوية للمضمون التربوي للمعية الإلهية

"إن تحقيق الإيمان الصادق ، والعبودية الحقيقة لله ، مرتبط بترسيخ حقيقة معية الله للإنسان تلك المعية التي تسbig على وجوده القيمة ، وعلى حياته المعنى ، وعلى علمه الفائدة ، وعلى عمله الإتقان " ^(١) . ولكن هذا الأمر لم يعد له ذلك الوجود الحقيقى في حياة كثير من المسلمين اليوم فما هو التطبيق العملى لتحقيق المضمون التربوي للمعية الإلهية ليعيش المسلمون في ظل معية الله في كل حين وعلى كل حال لتحقق لهم الاستقامة القلبية والنفسية والسلوكية العملية ؟ ويتعرض الباحث للتطبيقات التربوية للمعية الإلهية على النحو الآتى :

أولاً : في الأسرة :

إن من أولى مهام الأسرة المسلمة التي ينبغي أن تنشئ عليها أبناءها هو تعريفهم على الله - تعالى - ووجهه وأنه الخلاق الرزاق المعطى الكريم اللطيف الخبير الذي يستحق أعظم الحمد والشكر ، وأنه - سبحانه - المطلع على أحوال عباده البصير بنواياهم . وأعمالهم ؛ مما يقتضي الإخلاص له ومراقبته والخوف من عقابه ^(٢) . فهذا النبي صلى الله عليه وسلم يقوم بهذا الأمر مع ابن عميه عبد الله بن عباس وهو غلام صغير يقول له : " يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك . احفظ الله تجده تجاهك . إذا سالت فاسأل الله . وإذا استعن فاستعن بالله . واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله - تعالى - لك . ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك . رُفت الأقلام وجفت الصحف " ^(٣) . يقول ابن رجب في شرحه لهذا الحديث : " معناه أن من حفظ حدود الله وراعي حقوقه وجد الله معه في كل أحواله حيث توجه ، يحوطه وينصره ويحفظه ويوفقه ويسدده : « إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ أَتَقْوَا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ »  [١٢٨٧] ^(٤) .

١- آل سعود : مرجع سابق ، ص ٢٢٩ .

٢- بكار ، عبدالكرم : دليل التربية الإسلامية ، دار الأعلام ، ط١ ،الأردن ، عمان ، (١٤٢٢هـ) ، ص ٢٥ .

٣- الترمذى : مرجع سابق ، ح ٢٥١٦ ، ص ٤٠٩ ; وصححة الألبانى : " صحيح الترمذى " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ح ٢٥١٦ ، ص ٦٠٩ .

٤- ابن رجب ، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين : جامع العلوم والحكم ، موسسة الكتب التراثية ، ط٢ ، لبنان ، (١٤١٠هـ) ، ص ١٨٧ .

ويمكن للأسرة أن تعلق قلب الطفل بالله — تعالى — من خلال عدة أمور : بالسؤال بالتعليم والتلقين بالقصة بالتوجيه فمثلاً : إذا طلب شراء شيء يقال له : أطلبه من الله حتى يرزق أباك ويخضره لك . وإذا لوحظ على الابن أنه يكذب يقال له : ألا تشعر أن الله مطلع عليك ويعرف أنك تكذب ؟ وهكذا تتم تمييز اندماج الداخلي وتكون أحاسيس الخبرة والمراقبة لله تعالى — والشعور بمعيته ^(١) .

ثانياً : في المدرسة :

إن المدرسة — وهي إحدى وسائل التربية — ينبغي أن تحسن تربية طلابها وتعليمهم وتشفيفهم وتقديرهم والأخذ بأيديهم إلى ما فيه خيرهم وخير مجتمعهم . ففي الجانب العقدي عليها أن تربى الجيل على الإيمان الحقيقي كما ربي رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيل الأول حيث كان يعلمهم الإيمان الحقيقي قبل تعلم القرآن " قال جندب بن عبد الله : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن في بيان حزاورة . فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ، ثم تعلمنا القرآن فازدادنا به إيماناً " ^(٢) .

فوجب على المعلم أن يربى التلميذ على معرفة الله حق المعرفة ومن ذلك استشعارهم لمعية الله ، معيته العامة فينشئون على مراقبته سبحانه ، ومعيته الخاصة فينشئون على حبه والثقة به والاعتماد عليه ؛ فإذا لم يحضر التلميذ الواجب المدرسي وأراد أن يختلق الأسباب للاعتذار ذكره معلمه بمعية الله له فيذكر ، وإذا ظهر عليه الخوف والقلق من الامتحان أو غيره ذكره بمعية الله له فيطمئن ويسكن ، بهذا سوف يتعلم التلميذ من أستاذه استشعار معية الله له في كل حال فيصبح شاباً سوياً تقىاً . يقول العقيلي : " إن المؤمن إذا تربى على الإيمان بالله سبحانه وتعالى ومراقبته في السر والعلنية

١— بكار : مرجع السابق : ص ٢٦ .

٠ حزاورة جمع حَزَرٌ وحَزُورٌ وهو : الذي قارب ، البلوغ . انظر : ابن الأثير ، مجد الدين أبي السعادات : النهاية في غريب الحديث والآثار ، المكتبة العلمية ، لبنان ، بيروت ، (د . ت) ، جـ ١ ، ص ٣٨٠ .

٢— ابن ماجة ، أبي عبدالله محمد بن يزيد : سنن ابن ماجه ، بيت الأفكار الدولية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (د . ت) ، ح ٦١ ، ص ٥٧ ؛ وصححه : الألباني ، محمد ناصر الدين : صحيح سنن ابن ماجه باختصار السند ، مكتب التربية العربي للدول الخليج ، ط ٣ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٠٨ هـ) ، ح ٥٢ ، ص ١٦ .

وخشيته في المنقلب والمشوى فإنه يصبح إنساناً سوياً ، وينشأ شاباً ثقياً .. لاستهويه مادة ، ولا تستعبد شهوة ، ولا يتسلط عليه شيطان ، ولا تخليج في أعماقه وساوس النفس الأمارة " ^(١) .

من هنا وجوب على المدرسة الاجتهد في ترسيخ المعاني الربانية في نفوس التلاميذ وتوثيق الصلة بينهم وبين ربهم بحيث يصبح إيمانهم نابعاً من يقين ومعايشة واستشعار لوعية الله وإحاطة علمه وإدراكه لحقيقة الربوبية والألوهية وفهم واضح لمعنى العبودية وتقديم ذلك بصورة ميسرة تناسب مع عقليات التلاميذ ونفسياتهم ، وترتقي مع غواهم المضطرب بحيث تكون حياؤهم المستقبلية قائمة عليها اعتقاداً وقولاً وعملاً ^(٢) .

ثالثاً : في المجتمع :

دور المجتمع في التربية مكمل لدور البيت والمدرسة ، فلا تعارض ولا تناقض في الاتجاه بل تكامل وتكامل . فال المجتمع يرعى المفاهيم العقدية التي غرسها الوالدان ويعتمدها وينميها ويحفظها من الانحراف أو الذبول تحت وطأة ركام أفكار وعقائد هاجم المسلم من كل حدب وصوب بالوسائل كلها ^(٣) ؛ فوظيفة المجتمع في الجانب العقدي هي ترسيخ المبادئ الصحيحة ، والعقيدة الصافية . يقول القرضاوي في بيان قيام المجتمع المسلم على العقيدة الإسلامية :

هذه هي العقيدة التي يقوم عليها المجتمع المسلم : عقيدة " لا إله إلا الله ، محمد رسول الله " ، ومعنى قيام المجتمع المسلم على العقيدة الإسلامية : أنه يقوم على احتوام هذه العقيدة وتقديسها ، ويعمل على تثبيتها في العقول والقلوب ، ويسري ناشئة المسلمين عليها ، ويرد عنها أباطيل المفترين ، وشبهات المضللين ، ويحلل فضائلها وأثارها في حياة الفرد والمجتمع ، عن طريق الأجهزة التوجيهية التي تؤثر على سير المجتمع ^(٤) .

١- العقيلي ، يحيى بن سليمان : الغة ومنهج الاستغفار ، دار الدعوة ، ط٢ ، الكويت ، (١٤١٢هـ) ، ص ١١٨ .

٢- آل سعود : مراجع سابق ، ص ٧٨ .

٣- المراجع السابق : ص ٩٠ .

٤- القرضاوي ، يوسف : ملامح المجتمع الذي ننشده ، مكتبة وهبة ، ط١ ، مصر ، القاهرة ، (١٤١٤هـ) ، ص ٢٣ - ٢٤ .

أما إذا فشل المجتمع المسلم في تمثيل هذه العقيدة الصحيحة فكيف يكون مجتمعاً مسلماً؟ يقول القرضاوي :

وليس مجتمع مسلم ذلك الذي يجعل العقيدة على هامش حياته ، فلا تأخذ من مناهج التربية والتعليم ، ولا من مناهج الثقافة والفكر ولا من مناهج الإعلام والإرشاد ، ولا من أجهزة التوجيه والتأثير ، بصفة عامة ، إلا حيزاً ضئيلاً ، و موضوعاً محدوداً ، فليس هي الموجه الأول ، ولا الحرك ، ولا المؤثر الأول في حياة الأفراد ، والأسر ، والجماعات ، وإنما هي شيء ثانوي يحيى في ذيل القافلة ، وفي المكان الأخير إن بقي له مكان .^(١)

من هنا وجب على المجتمع المسلم أن يقوم بدوره العملي في المحافظة على العقيدة الإسلامية ونشرها والدفاع عنها عن طريق جميع قنواته : عن طريق المسجد والتعليم والإعلام وجميع أجهزته المختلفة لكي يعيش أبناؤه هذه العقيدة في جميع جوانب حياتهم المختلفة .

هذا بالنسبة لأمر العقيدة بشكل عام ، أما بالنسبة لموضوع المعاية الألهية على وجه الخصوص فإن على المجتمع بجمع أفراده ، ومؤسساته ، وأجهزته ، ونظمها أن يستشعروا معية الله لهم فيراقبوه سبحانه حق المراقبة ومن ذلك : إخلاص الموظف في وظيفته ، وأمانة الناجر في تجارتة ، وصدق الإعلام في رسالته ، فإن ذلك جيئاً هو تطبيق عملي وأثر ملموس لاستشعار معية الله العامة .

كما أن على المجتمع المسلم أن يعيش الثقة بوعد الله وبنصره له على أعدائه فالله معه بنصره وتايده وتوفيقه وحفظه ، ما دام سائر على نهجه وشرعيته ، فلا يأس ولا حزن ، ولا تخاذل ولا وهن فالله يقول : ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَلَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران: آية ١٣٩] ، ويقول سبحانه : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ أَتَكُونُوا وَالَّذِينَ هُمْ مُّحْسِنُونَ﴾ [سورة التحليل: آية ١٢٨] .

المحور الثاني : الموالاة والمعاداة

الموالاة في اللغة :

"**الموالاة** : مشتقة من الولي بسكون اللام وتحقيق الياء وهو القرب والدنو . **والولي** : بكسر اللام وتشديد الياء : هو الحب والصديق والنصير "^(١) . **الموالاة ضد المعاداة والولي ضد العدو وتولاه** : اتخاذه ولية "^(٢) . **التولي** : يأتي بمعنى الولاية وهي النصرة والاتباع ، وذلك إذا عدى بنفسه كقوله تعالى : «**وَيَأْتِيهَا الَّذِينَ أَمْنُوا لَا تَتَخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلَيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلَيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَهَّمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّلَمِينَ** » [٥١ آية] ^(٣) .

الموالاة والتولي بينهما عموم وخصوص ، فالـ**التولي** أخص من **الموالاة** ، فكل تولي داخل في مفهوم **الموالاة** وليس كل **موالاة** داخلة في مفهوم **التولي** ؛ إذ **الموالاة** هي الحبة بغض النظر عن درجة هذا الحب ومرتبته ، أمّا **التولي** فيكون بمعنى الاتخاذ والاتباع المطلق ، وهو يعني الانقطاع الكامل في نصرة المتبوع وتقريره وتأييده ^(٤) .

والناظر في كتب اللغة يجد أن " معنى **الموالاة والتولي** في **أغلب الأحيان** هو **الحب** ، **الموالاة** ، **المتابعة** ، **القربابة** **والنصرة** " ^(٥) .

١— الفيروز أبيادي : مرجع سابق ، ص ١٧٣٢ .

٢— ابن منظور : مرجع سابق ، ج ٢٠ ، ص ٢٩٢ .

٣— القرطبي : مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٢١٧ .

٤— الجلعود ، محمد بن عبدالله : **الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية** ، ط ١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٠٧ هـ) ، ج ١ ، ص ١١ - ١٣ .

٥— المراجع السابقة : ج ١ ، ص ٢٢ ؛ انظر : دوكوري ، عثمان : **التدابير الواقعية من التشبيه بالكافر** ، مكتبة الرشد ، ط ١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢١ هـ) ، ج ١ ، ص ٤٢٤ .

المعاداة في اللغة :

" المعاداة : مصدر عادي يعادى معاداة وعداء ، والعداء مصدر عادى ، أي خاصمه ، وصار له عدواً ، والعداوة : اسم بمعنى الخصومة والباعدة والعدو ، والعداوة أخص من البغضاء ، لأن كلّ عدو مُبغض ، وقد يبغض من ليس بعده " ^(١) " والعدو ضد الولي وضد الصديق " ^(٢) .

وما تقدم يتضح أن المعاداة هي على العكس من الموالاة فالمعاداة في أغلب استعمالاتها تدور حول المباعدة والجفاف والبغضة والخاذلة ، بينما الموالاة في أغلب استعمالاتها على الحبة والمودة والتابعة والنصرة والقرابة ^(٣) .

الموالاة والمعاداة في المفهوم الشرعي :

إن المعنى الشرعي للموالاة والمعاداة لا يبعد عن معناهما اللغوي فالمعنى الشرعي لهما مأخوذ من معانيهما اللغوية ^(٤) . يقول ابن تيمية في تعريفه لهما : " الولاية ضد العداوة ، وأصل الولاية : الحبة والقرب ، وأصل العداوة : البغض والبعد ، والولي : القريب ، فيقال : هذا يلي هذا : أي يقرب منه ، ومنه قوله - صلى الله عليه وسلم - : " أحقوا الفرائض بأهلها ، مما بقي فلأولى رجل ذكر " ^(٥) ، أي لأقرب رجل إلى الميت " ^(٦) . ويعرفهما عبد اللطيف آل الشيخ بقوله :

١— البستانى ، بطرس : محيط المحيط ، مكتبة لبنان ، لبنان ، بيروت ، (د . ت) ، ٢— ٢ ، ص ١٣٥٣ .

٢— ابن منظور : مراجع سابق ، ج ١٩ ، ص ٢٦٢ .

٣— الجلعود : مراجع سابق ، ج ١ ص ٢٦ ؛ دوكوري : مراجع سابق ، ج ١ ، ص ٤٢٥ .

٤— دوكوري : مراجع سابق ، ج ١ ، ص ٤٥٥ .

٥— النسايني ، مسلم : مراجع سابق ، ج ١٦١٥ ، ص ٦٥٨ .

٦— ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم : الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، دار الكتاب العربي ، ط ١ ، لبنان ، بيروت ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، (١٤١٥ هـ) ، ص ٣١ .

" وأصل الموالاة : الحب ، وأصل المعاداة : البغض ، وينشأ عنهم ما من أعمال القلوب والجوارح مما يدخل في حقيقة الموالاة والمعاداة، كالنصرة والأنس والمعاونة ، وكالجهاد والهجر ونحو ذلك من الأعمال ، والولي : ضد العدو " ^(١) .

المكانة التربوية للموالاة والمعاداة في الإسلام :

إن للموالاة والمعاداة في الإسلام مكانة عظيمة ، فهي أوثق غرى الإيمان ومعناها توثيق غرى الخبرة والألفة بين المسلمين ومفاصلة أعداء الدين . يقول صلى الله عليه وسلم : " أوثق غرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله ، والحب في الله والبغض في الله " ^(٢) . فوجب على المسلم أن يكون ولاة الله وعداؤه الله وحبه الله وبغضه الله ، فيحب المسلمين ويناصرهم ويعادي الكافرين ويترأ منهم يقول تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخِذُوا آلَّيْهُودَ وَآلَّصَرَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَهَّمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة المائدة: آية ٥١] ، ويقول تعالى: ﴿ إِنَّا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقْبِلُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكُوَةَ وَهُمْ رَكِعُونَ وَمَنْ يَنْعَلَّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَلَبُونَ ﴾ [سورة المائدة: آية ٥٦-٥٥] ، فهذه الآيات وغيرها كثير في هذا الموضوع تبين وجوب موالاة المؤمنين وما يتوج عن ذلك من خير ووجوب معاداة الكفار والتحذير من موالاتهم وما تؤدي إليه من شر ^(٣) .

١— ابن قاسم ، عبد الرحمن : الدرر السننية في الأجرمية التجديفة ، مطبوعات دار الإفتاء السعودية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٥٨ـهـ) ، ٢م ، جـ ٢ ، ص ١٥٧ .

٢— الألباني : " السلسلة الصحيحة " ، مرجع سابق ، جـ ٤ ، ح ١٧٢٨ ، ص ٣٠٦ .

٣— وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد : كتاب أصول الإيمان ، مجمع الملك فهد ، المملكة العربية السعودية ، المدينة المنورة ، (١٤٢١)، ص ٢٦٥ .

المداهنة والمداراة وأثرهما على الموالاة والمعاداة :

"**المداهنة** : هي ترك الأمر بالمعروف والهبي عن المنكر ومصانعة الكفار والعصاة من أجل الدنيا والتزاول عما يجب على المسلم من الغيرة على الدين .. أما **المداراة** فهي : درء المفسدة والشر بالقول الذين وترك الغلطة أو الإعراض عن صاحب الشر إذا خيف شوه أو حصل منه أكبر مما هو ملابس له^(١) ، "المداراة لا تتنافى مع الموالاة إذا كان فيها مصلحة راجحة من كف الشر والتأليف أو تقليل الشر وتخفيه ، وهذا من منهاج الدعوة إلى الله تعالى " ، "وهذا بخلاف المداهنة فإنها لا تجوز إذ حقيقتها مصانعة أهل الشر لغير مصلحة دينية وإنما من أجل الدنيا "^(٢) .

موالاة العصاة والمبتدعين :

كثيراً ما يجتمع في المرء الواحد خير وشر ، وطاعة ومعصية ، وسنة وبدعة فهل يُوالى خيره وطاعته وسننته ، أم يعادى لشره ومعصيته وبدعته ، يقول أهل العلم في هذه المسألة :
إذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفحور وطاعة ومعصية وسنة وبدعة ، استحق من الموالاة والثواب بتقدّر ما فيه من الخير ، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر . فقد يجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة ، فيجتمع له من هذا وهذا كاللص الفقير تقطع يده لسرقه ويعطى من يمت المال ما يكفيه لحاجته ويُصدق عليه . هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة^(٣) .

١— وزارة الشؤون الإسلامية : مرجع سابق ، ص ٢٦٦ .

٢— مرجع سابق : ص ٢٦٧ .

٣— المراجع السابق : ص ٢٦٨ .

معاملة الكفار في الأمور الدنيوية؛ هل تدخل في الموالاة؟

يتسأل البعض عن حكم معاملة الكفار في الأمور الدنيوية من يبع وشراء وغير ذلك هل يدخل ضمن النهي عن موالاة الكفار أم له حكم خاص؟ وللإجابة عن هذا التساؤل ينقل الباحث نص ما ذكره أهل العلم في هذه المسألة حيث جاء في كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ما نصه :

دللت النصوص الصحيحة على جواز التعامل مع الكفار في المعاملات الدنيوية كمسائل البيع والشراء والإيجار والاستئجار والاستعانة بهم عند الحاجة والضرورة على أن يكون ذلك في نطاق ضيق وأن لا يضر بالإسلام وال المسلمين . (فقد استأجر النبي - صلى الله عليه وسلم - عبد الله بن أرسطط هادياً خريتاً)^(١) . والخriet هو الخبر بمعرفة الطريق . ورهن النبي - صلى الله عليه وسلم - درعه عند اليهودي في صاع من شعير وأجر على - رضي الله عنه - نفسه ليهودية يفتح لها الماء من البئر ففتح لها ست عشرة دلواً كل دلو بتمرة . وقد استعان النبي - صلى الله عليه وسلم - باليهود الذين كانوا في المدينة في قتال المشركين . واستعان بجزاعة ضد كفار قريش . وهذا كله لا يؤثر على الولاء والبراء في الله على أن يتزمر الكفار الذين يقيمون بين المسلمين بالأداب العامة وأن لا يدعوا إلى دينهم^(٢) .

ويجب التنبيه هنا إلى أمر آخر له صلة بمعاملة الكفار " وهو أن الموالاة شيء والمعاملة بالحسنى شيء آخر والأصل في هذا قوله تعالى : « لَا يَنْهَاكُرُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ » [سورة المحتoteca : آية ٨]^(٣) ، يقول الطبرى في تفسيره لهذه الآية بعد أن أورد أقوال أهل التفسير فيها :

١- البخارى : مرجع سابق ، ح ٢٢٦٣ ، ص ٤٢١ .

٢- وزارة الشؤون الإسلامية : مرجع سابق ، ص ٢٦٨ .

٣- القحطانى ، محمد سعيد : الولاء والبراء في الإسلام ، دار طيبة ، ط٤ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١١ هـ) ، ص ٣٥٢ .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : عني بذلك : لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم وتقسظوا إليهم . لأن الله — عز وجل — عم بقوله : (الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم) جميع من كان ذلك صفتة ، فلم يخصص به بعضاً دون بعض ، ولا معنى لقول من قال : ذلك منسوخ . لأن بر المؤمن أحداً من أهل الحرب من بيته وبينه قرابة نسب ، أو من لا قرابة بينهما ولا نسب غير محظوظ ، ولا منه عنه إذا لم يكن في ذلك دلالة له أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام ، أو تقوية لهم بکراع أو سلاح . ويبيّن ذلك الخبر المروي عن ابن الزبير في قصة أسماء مع أمها ^(١) .

قصة أسماء مع أمها كما في الصحيحين من حديث أسماء — رضي الله عنها — قالت : " قدمت على أمي وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : إن أمي قدمت علي وهي راغبة فأصل أمي ؟ قال : نعم صلى أمك " ^(٢) .

كيف عاجلت سورة المجادلة موضوع الموالاة والمعاداة ؟

عالجت سورة المجادلة موضوع الموالاة والمعاداة في ١٠ آيات بدءاً من الآية الرابعة عشرة إلى الآية الثانية والعشرين حيث يقول سبحانه :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا يَنْهَمُ وَتَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ أَعَدَ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ أَخْذُذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَاحًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِمِّنٌ ۝ لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ۝ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَلِيلُونَ ۝ يَوْمَ يَعْنِيهِمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا تَحْلِفُونَ لَكُمْ ۝ وَنَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَذِبُونَ ۝ أَسْتَحْوِذُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۝

١— الطبرى : مرجع سابق ، ١٤٢ ، جـ ٢٨ ، ص ٨٤ .

٢— البخارى : مرجع سابق : ح ٢٦٢٠ ، ص ٤٩٥ ؛ النسابورى ، مسلم : مرجع سابق ، ح ١٠٠٣ ، ص ٣٨٨ .

أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَنِ لَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَنِ هُمُ الْخَسِيرُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَحَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَى إِنَّ كَتَبَ اللَّهُ لِأَغْلَبِنَّ أَنَا وَرَسُولِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ لَا تَحْدُدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا أَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ لَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْفَلَحُونَ ﴿٧﴾ [سورة المجادلة : آية ١٤ - ٢٢].

فيتبين من الآيات السابقة أن السورة عاجلت موضوع الموالاة والمعاداة من خلال عدة أمور :

١ - جعل الله سبحانه وتعالي موالاة غير المؤمنين من صفات المنافقين وذلك لينفر النفوس المؤمنة من هذه الصفة الذميمة . فقال تعالى : ﴿٩﴾ أَللَّهُ تَرَإِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِيبَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَمَحَلِّفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ [سورة المجادلة : آية ١٤] ، يقول الشنقيطي في تفسيره لهذه الآية : " المراد إنكار الله على المنافقين توليهم القوم الذين غضب الله عليهم ، وهم اليهود والكافر . وهذا الإنكار يدل على شدة منع ذلك التولي " ^(١) .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالي ملازمة هذه الصفة - تولي أعداء الله - للمنافقين في أكثر من موضع في كتابه ومن ذلك غير ما ذكر في هذه السورة قوله تعالى : ﴿١٠﴾ أَللَّهُ تَرَإِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْرَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَيْنَ أُخْرِجْتُمْ لَتَخْرُجُنَّ مَعَكُمْ وَلَا تُطِيعُ فِي كُمْ أَحَدًا وَإِنْ قُوْتُلُتُمْ لَتَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهُدُ إِلَيْهِمْ لَكَذِبُونَ ﴿١١﴾ [سورة الحشر : آية ١١] ، قوله سبحانه : ﴿١٢﴾ يَبَشِّرُ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ الَّذِينَ يَتَخَذُونَ الْكَفِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْتَتُغُونَ عِنْهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٤﴾ [سورة النساء : آية ١٣٨ - ١٣٩]

١ - الشنقيطي : مرجع سابق : ج ٧ ، ص ٨٢٠ .

وبال مقابل جعل الله دليل الإيمان الصادق مسودة أهل الإيمان
ومعاداة أهل الكفر والعصيان فقال سبحانه : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُؤَدِّوْنَ مِنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا أَبَاءَهُمْ أَوْ أَتْبَاءَهُمْ أَوْ إِخْرَاجَهُمْ أَوْ
عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْأَيْمَنَ وَأَيْدِيهِمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَحْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَلِيلِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ
الْأَفْلَحُونَ ﴾ [سورة المجادلة : آية ٢٢] ، يقول السعدي في تفسيره لهذه الآية : " أي : لا يجتمع هذا وهذا ، فلا يكون العبد مؤمناً بالله واليوم الآخر حقيقة ،
إلا كان عاملاً على مقتضى إيمانه ولو ازمه ، من محبة من قام بالإيمان
وموالاته ، وبغض من لم يقم به ، ومعاداته ، ولو كان أقرب الناس إليه . وهذا هو الإيمان
على الحقيقة ، الذي وجدت ثرته ، والمقصود منه " ^(١) .

٢ - وَسَمَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - من والي الكفار بأنهم حزب الشيطان
بعد أن ذكر صفات المنافقين التي يتقدمها موالة الكفار ذكر في خاتمة
الصفات أن هؤلاء هم حزب الشيطان حيث قال : ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ
مِنْ هُنَّ يَقْفَ الَّذِي يَتُولِي الْكُفَّارَ مِنْ حِزْبِ الشَّيْطَانِ " تَحْتَ لَوَائِهِ ، وَيَعْمَلُ بِاسْمِهِ ،
وَيَنْفَذُ غَایَاتِهِ . وَهُوَ الشَّرُّ الْخَالِصُ الَّذِي يَنْتَهِي إِلَى الْخَسْرَانِ الْخَالِصِ : أَلَا إِنَّ حِزْبَ
الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَسِرُونَ ﴾ [سورة المجادلة : آية ١٩] ^(٢) .

وبال مقابل فإن من حقق ولاءه وعداءه لله وفي الله جعله ذلك من حزب الله ﴿ لَا تَجِدُ
قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُؤَدِّوْنَ مِنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ﴾
" فَهُمْ جَمَاعَتُهُ ، التَّجْمُعَةَ تَحْتَ لَوَائِهِ ، الْمُتَحْرِكَةُ بِقِيَادَتِهِ ، الْمُهَتَّدَةُ بِهَدِيهِ ، الْمُحْقَقَةُ لِنَهْجَهِ ،
الْفَاعِلَةُ فِي الْأَرْضِ مَا قَدِرَهُ وَقَضَاهُ ، فَهُنَّ قَدْرُ مَا قَدِرَ اللَّهُ " ^(٣) .

١ - السعدي : مرجع سابق ، ص ٧٨٥ .

٢ - قطب ، سيد : مرجع سابق : ج ٦ . ص ٣٥١٣ .

٣ - المرجع السابق : ج ٦ . ص ٣٥١٥ .

٣— ذكر الله — سبحانه وتعالى — أن الذلة والصفار والهوان من نصيب أعداء الله وأعداء رسالته ومن تواهم حيث قال سبحانه: «إِنَّ الَّذِينَ تَحْكَمُ دُنْيَاكُمْ إِلَيْهِ وَرَسُولُهُ أَوْلَئِكَ فِي الْأَذَلِينَ» يقول الجزائري في معنى: «أَوْلَئِكَ فِي الْأَذَلِينَ» أي "المغلوبين المقهورين"^(١) وبالمقابل النصر والعزوة والتمكين لحزب الله وأوليائه ولذا عقب سبحانه على الآية السابقة بقوله: «كَتَبَ اللَّهُ لِأَغْلِبِنَا أَنَا وَرَسُولِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ» [٢١] سورة المجادلة: آية ٢١.

يقول السعدي في تفسيره للآيات السابقتين :

هذا وعد ووعيد ، وعيد لم حاد الله ورسوله بالكفر والمعاصي ، أنه متذوق مذلو ، لا عاقبة له حميده ، ولا راية له منصورة . ووعيد لم آمن به ، وبرسله ، واتبع ما جاء به المرسلون ، فصار من حزب الله المفلحين ، أن لهم الفتح والنصر والغلبة ، في الدنيا والآخرة ، وهذا وعد لا يخلف ، ولا يُغيّر ، فإنه من الصادق القوي العزيز ، الذي لا يعجزه شيء يريده ^(٢) .

٤— يبين الله — سبحانه وتعالى — أن حزب الشيطان الذين من ضمنهم الموالين للكفار المعادين لأولياء الرحمن متوعدون بالعذاب والنار: «أَعَدَ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا»، «فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ»، «أَوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَلِيلُونَ» ، وبالمقابل فإن حزب الله الذين من أولى صفاهم تحقيق المواصلة والمعلاة في الله والله موعودون بالجنة والرضى: «أَوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ أَلِيَّمَنَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أَوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» [٢٢] سورة المجادلة: آية ٢٢ .

١— الجزائري ، أبي بكر : أسر التفاسير لكتاب العلي الكبير ، ط ٢ ، المملكة العربية السعودية ، المدينة المنورة ، (١٤٠٧هـ) ، ج ٤، ص ٤٣٨ .

٢— السعدي : مرجع سابق ، ص ٧٨٦ .

الآثار التربوية المترتبة على تطبيق مبدأ الموالاة والمعاداة في الله :

١- تمسك الأمة ووحدتها :

إن الأمة الإسلامية عندما تطبق مبدأ الموالاة والمعاداة في الله الذي هو أوثق عرى الإيمان كما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم : "أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله " ^(١) تصبح وحدة واحدة وكل لا يتجزأ وبناءً متماسكاً لا يهدم لا إحسن ولا أحقد ولا بغض ولا شحناه ولا عداوة ولا أثرة ولا كراهية ولا فرقة ولا تنافر بل أفراد الأمة على الحب والإخاء والود والصفاء والتباذل والتعاون والتسامح والتواصح والإيثار والتواضع . وخفض الجناح لبعضهم البعض ^(٢) .

٢- تأكيد ذاتية الأمة الإسلامية وربطها بمنابع أصالتها الكتاب والسنة :

إن الأمة الإسلامية أمة حملها الله - تعالى - مهمة الشهادة على الناس : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَّةً وَسَطَا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِتَعْلَمَ مَنْ يَتَبَعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقُلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ﴾ [سورة البقرة : آية ١٤٣] .

وهذه المهمة تتطلب من الأمة الإسلامية مخالطة الأمم الأخرى ، والاحتكاك بها من أجل أداء واجب الشهادة عليها ، وهذا الاحتكاك يتطلب من الأمة أن تكون متميزة ومستقلة في شخصيتها ، مما يصونها

١- انظر : تخرجه : ص ٥٤ ، المعاشرة رقم ٢ .

٢- عرض : مرجع سابق ، ص ٤٢١ .

من التفسخ والذوبان في غيرها . لأن واجب الشهادة كما يقول العلواني في تحقيقه لكتاب الورданی : " لا تقام به إلا الأمة الوسط الخيرة ، المتميزة بشخصيتها الإسلامية المستقلة ، الممتنعة عن الذوبان في غيرها ، أو فقدان شيء من معالم شخصيتها ، لتكون مثلاً يحتذى ، ونموذجاً يقتدى ، وأسوة للأمم تتأنس بها ، وتترسم خطتها " ^(١) . ومن أقوى العوامل المؤدية إلى تكوين الشخصية الإسلامية المتميزة تطبيق مبدأ الموالاة والمعاداة الذي من أبرز الآثار التربوية المترتبة على تطبيقه تأكيد ذاتية الأمة الإسلامية وربطها بمنابع أصالتها الكتاب والسنة وصونها في نفس الوقت من التمييع والتفسخ في العقائد والأخلاق والأفكار والعادات المناقضة للإسلام إذ أن مبدأ الموالاة والمعاداة يعتبر من العوامل الأساسية لتحقيق التمايز بين المسلم والكافر ، وصمام الأمان لصيانة المسلم من التأثر بالكافر أو التشبه به والأخذ عنه ، من هنا حرص أعداء الأمة على توهين هذا المبدأ من خلال وسائل وأساليب مختلفة من مثل دعوات مشبوهة تنادي بتقريب الأديان ، والتقريب بين الأمم والشعوب على اختلاف عقائدها وأفكارها ، وهذه الدعوات تأخذ شعارات متعددة ، فمرة باسم العالمية ومرة باسم الإنسانية ، وأخرى باسم زمانة الأديان ، أو المجتمع الدولي ، أو التعايش السلمي إلى غير ذلك من الشعارات ، يهدفون من وراء هذا كله إلى سلخ المسلمين من عقيدتهم فمن هنا تبرز أهمية إحياء هذا المبدأ العظيم – مبدأ الموالاة والمعاداة – في نفوس المسلمين لتأكيد ذاتية الأمة الإسلامية وربطها بمنابع أصالتها الكتاب والسنة ولتأكيد التمايز بين المسلم والكافر وصيانة للمسلم من التأثر بأعداء الله ^(٢) .

١- الوردانی ، مصنفوی محمد : النهی عن الاستعانة والاستصار في أمور المسلمين بأهل السنة والکفار . دار النصر ، مصر . تحقيق : العلواني ، طه جابر فیاض ، (د.ت) ، ص ١٨ .

٢- انظر : دکوری : مراجع سابق ، جـ ١ ، ص ٤١٩ – ٤٤٠ ؛ قطب ، محمد : لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة . دار الوطن ، المملكة العربية السعودية ، الرياض (١٤١٣هـ) ، ص ١٦٣ ؛ الجليل ، عبد العزيز ناصر : وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم ، دار طيبة ، ط ٢ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٩هـ) ، جـ ٣ ، ص ١٤٧ – ١٤٨ .

٣- خلع الولاءات الجاهلية من قومية وعرقية ووطنية ...

إن من الآثار المترتبة على تطبيق مبدأ الموالاة والمعاداة في الله ما نتج عنه من سقوط وخنوع الولاءات الجاهلية التي كانت قائمة قبل ذلك من قومية وعرقية وطنية وغيرها ، حيث حل محلها جيئاً الموالاة في الله والمعاداة في الله بغض النظر عن الأرض واللون واللغة فالمسلم أخوه المسلم أيًا كان موظنه أو لغته والكافر عدو المسلم وإن وافق المسلم في نسبة وأرضه ولغته ولونه فلا صدقة ولا عداوة إلا على أساس الإيمان . " بهذا تم القضاء على مختلف أنواع الشرور والفساد التي تتولد عن طريق التعامل على أساس الروابط الأرضية الفانية والتي قطع الإسلام دابر التعامل على أساسها منذ اللحظة الأولى " ^(١) يقول تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَاوِفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْنَىكُمْ ﴾ [سورة الحجرات : آية ١٣] . وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يعلنها مدوية ألم الناس جيئاً محطماً الفوارق القائمة على أساس الدم واللون والأرض مقیماً أساس العقيدة مكانها ليصبح المؤمنون جيئاً جسداً واحداً لا تفصل بينهم فوائل العرق أو اللسان أو الأرض أو اللون كلهم أخوة في الله ^(٢) فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أوسط أيام التشريق خطبة الوداع فقال : " يا أيها الناس ! إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر ؛ إلا بالتفوى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْنَىكُمْ ﴾ [سورة الحجرات : آية ١٣] ، ألا هل بلغت ؟ ". قالوا بلى يا رسول الله . قال : " فليبلغ الشاهد الغائب " ^(٣) .

١- عوض : مرجع سابق ، ص ٤٢٠ .

٢- المرجع السابق : ص ٤٢٠ - ٤٢١ .

٣- الألباني : " صحيح الترغيب والترهيب " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ح ٢٩٦٤ ، ص ١٣٥ .

يقول قطب في هذا الصدد :

الوشيعة التي يتجمع عليها الناس في هذا الدين وشيعة فريدة تتميز بها طبيعة هذا الدين ، وتعلق بآفاق وأماد وأهداف يختص بها ذلك المنهج الرباني الكريم . إن هذه الوشيعة ليست وشيعة السدم والنسب ؛ ولنست وشيعة الأرض والوطن ، ولنست وشيعة القوم والعشيرة ، ولنست وشيعة اللون واللغة ، ولنست وشيعة الجنس والعنصر ، ولنست وشيعة الحرفة والطبقة .. إن هذه الوسائل جميعها قد توجد ثم تنقطع العلاقة بين الفرد والفرد ؟ كما قال الله - سبحانه وتعالى - لعبد نوح - عليه السلام - وهو يقول : « رَبِّ إِنَّ أَتَيْتِي مِنْ أَهْلِي » .. « يَنْثُوُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ » ثم بين له لماذا يكون ابنه .. ليس من أهله .. « إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ » .. إن وشيعة الإيمان قد انقطعت ينكمـا يـا نـوح : « فَلَا تَسْكُنْ مَا لـيـسَ لـكَ يـهـ عـلـمٌ » فأنت تحسب أنه من أهلك ، ولكن هذا الحسبان خاطئ . أما المعلوم المستيقن فهو أنه ليس من أهلك ، ولو كان ابنك من صلبك ! وهذا هو المعلم الواضح الباز على مفرق الطريق بين نظرة هذا الدين إلى الوسائل والروابط ، وبين نظرات الجاهليـة المتفرقة .. إن الجاهليـات تجعل الرابطة آناً هي السـدم والنـسب ؛ وآناً هي الأرض والـوطـن ، وآناً هي القـومـ والعـشـيرـة ، وآناً هي الجنس والـعنـصر ، وآناً هي الـحرـفـةـ والـطـبـقـةـ ! تجعلـها آناً هي المصـالـحـ المشـتـركـةـ ، أو التـارـيخـ المشـترـكـ ، أو المصـيرـ المشـترـكـ .. وكلـها تصـورـاتـ جـاهـلـيـةـ على تـفـقـهـاـ وـتـجـمعـهاـ تـخـالـفـ مـخـالـفـةـ أـصـيـلـةـ عـمـيقـةـ عن أـصـلـ التـصـورـ الإـسـلـامـيـ ! والـمـنهـجـ الـربـانـيـ الـقـوـمـ - مـمـثـلاـ فيـ هـذـاـ الـقـرـآنـ الـذـيـ يـهـدـيـ لـلـلـيـتـيـ هـيـ أـقـوـمـ وـفيـ تـوـجـيهـاتـ الرـسـولـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ - وـهـيـ مـنـ هـذـاـ الـقـرـآنـ وـعـلـىـ نـسـقـهـ وـاتـجـاهـهـ - قـدـ أـخـذـ الـأـمـةـ الـمـسـلـمـةـ بـالـتـرـيـةـ عـلـىـ ذـلـكـ الـأـصـلـ الـكـبـيرـ .. وـالـمـعـلـمـ الـوـاـضـحـ الـبـازـ فيـ مـفـرـقـ الـطـرـيـقـ .. »^(١).

فيـتـبـينـ بـهـذـاـ طـرـحـ جـمـيعـ الـوـسـائـجـ الـتـيـ يـتـجـمـعـ عـلـيـهـ النـاسـ إـنـ لمـ تـكـنـ مـنـطـوـيـةـ وـمـتـوـافـقـةـ مـعـ وـشـيـعـةـ الإـيمـانـ .

التطبيقات التربوية للمضمون التربوي للموالة والمعاداة

إن تعاليم هذا الدين العظيم ليست تعاليم نظرية جاءت لتبقى حبراً على ورق ليس لها نصيب في أرض الواقع ، بل لها مقتضيات يظهر أثرها في سلوك المسلم " فمن سمات هذا الدين البارزة وخصائصه الفريدة أنه يربط القول بالعمل " ^(١) ، يقول قطب : " لقد كانت الآية أو الآيات تتول في الحالة الخاصة أو الحادثة المعينة ، تحدث الناس عمما في نفوسهم ، وترسم لهم منهج العمل في المواقف المتعددة " ^(٢) .

وبالنسبة لمبدأ الموالة والمعاداة في الله فقد طبق واقعاً عملياً في حياة سلف هذه الأمة ، وعلى رأسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام – رضي الله عنهم – فوالوا في الله وعادوا في الله على هدى وبصيرة من وحي الله ، والنماذج التطبيقية في هذا الجانب كثيرة جداً ^(٣) ويكتفي بإيراد صورة واحدة تبين تحقيق السلف للموالة والمعاداة في الله وذلك ما حدث في غزوة بدر الكبرى حينما مر مصعب بن عمير بأخيه أبي عزيز بن عمير وقد خاض الغزوة مع الكفار ضد المسلمين . فمر به مصعب وأحد الأنصار يضع القيد في يده . " فقال مصعب للأنصاري شدّ يديك به ، فإذاً أمه ذات مداع لعلها تفديه منك . فقال أبو عزيز لأخيه مصعب : أهذه وصاتك بي؟! فقال مصعب إنه – أبي الأنصاري – أخي دونك " ^(٤) .

ولكي نطبق الموالة في الله والمعاداة في الله كما طبقيها سلفنا الصالح هناك بعض الخطوات العملية في هذا الجانب منها :

أولاً : في الأسرة :

١ – على الأسرة أن تربي الناشئة على مبدأ الموالة والمعاداة منذ مراحل طفولتهم الأولى حتى يشروا وهم على هذا المبدأ الذي هو أوثق عرى الإيمان .

١ – المخلعود : مرجع سابق : جـ ١ ، ص ٢٤٢ .

٢ – قطب ، سيد : معلم في الطريق ، مكتبة وهبة ، مصر ، (١٣٨٤هـ) ، ص ١٨ .

٣ – انظر في ذلك : القحطاني : مرجع سابق : ص ٣٨٥ وما بعدها ؛ المخلعود : مرجع سابق : ص ٣٠١ – ٣٣٠ .

٤ – با شميل ، أحمد محمد : غزوة بدر الكبرى ، شركة الطبع والنشر اللبنانية ، لبنان ، بيروت ، (١٣٦٨هـ) ، ص ١٧٦ .

ينقل الجليل عن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب قوله : " إن الواجب على الرجل أن يعلم عياله وأهل بيته الحب في الله والبغض في الله ، والموالاة في الله والمعاداة فيه ، مثل تعليم الوضوء والصلاحة ؛ لأنه لا صحة لإسلام المرء إلا بصحة الصلاة ، ولا صحة لإسلامه أيضاً إلا بصحة المعاشرة والموالاة في الله " ^(١) .

٢— على الأسرة أن تتحقق مبدأ المعاشرة والموالاة فلا تستخدم لعمالتها من حارس وسائق وخدم وغير ذلك إلا من المسلمين .

٣— على رب الأسرة والقائم عليها أن يعرف أسرته بأحوال المسلمين في العالم بجلب الكتب والمطويات في هذا الموضوع وكذلك متابعة أحوالهم عبر وسائل الإعلام ومشاركة المسلمين في أفراحهم وأحزانهم فيفرح لفرحهم ويتعاهج لذلك ويحزن لحزنهم ويقدم لهم يد العون بما يستطيع ولو بالدعاء ويربي أسرته على هذا الأمر الذي هو تطبيق عملي للمعاشرة والموالاة في الله .

ثانياً : في المدرسة :

المدرسة لها أهميتها البارزة في تربية الأجيال تربية إسلامية ، وتتمم دور الأسرة وتكمله ، ولا تعمل بمعزل عنه . وتعزز في نفوس طلابها المبادئ العظيمة التي جاء بها هذا الدين ومن الجوانب التطبيقية لتحقيق مبدأ المعاشرة والموالاة الآتي :

١— ينبغي على المدرسة وخاصة تلك التي يكثر فيها تعدد الجنسيات المختلفة من البلاد الإسلامية أن تبني في نفوس طلابها أنهم جميراً أخوة في الله جمعهم هذا الدين بعض النظر عن جنسياتهم المختلفة أو قبائلهم المتباينة أو غير ذلك من الروابط فرابطة الإيمان هي الأصل فينشأ الطلاب متباينين على الولاء لله .

٢— طرح موضوع المعاشرة والموالاة وتبين صوره المختلفة عن طريق الإذاعة المدرسية والصحافة المدرسية وجماعة التوعية الإسلامية بالمدرسة بوسائل مختلفة : محاضرة ، ندوة ، كتابة مقال ، مسابقة ، إلى غير ذلك من الوسائل .

١— الجليل : مرجع سابق : جـ ٣ ، ص ١٤٨ .

٣— زيارة الطلاب للمراكز والمؤسسات التي تهتم بحال المسلمين في العالم مثل : رابطة العالم الإسلامي ، الندوة العالمية للشباب المسلم ، مؤسسة الحرمين الخيرية وغيرها حتى يتعرف الطلاب على حال إخوانهم في العالم الإسلامي .

٤— وضع صندوق بالمدرسة لجمع التبرعات لفقراء المسلمين في داخل البلاد وخارجها .

٥— محاربة التشبيه بالكافر في اللبس وقصص الشعر وغيرها فإن هذا له تأثيره السالب على الموالاة والمعاداة يقول ابن تيمية : " الموالاة والمودة وإن كانت متعلقة بالقلب لكن المخالفه في الظاهر أعن على مقاطعة الكافرين ومبaitهم ، ومشاركتهم في الظاهر إن لم تكن ذريعة أو سبباً قريباً أو بعيداً إلى نوع من الموالاة والمودة فليس فيها مصلحة المقاطعة والمباینة ، مع أنها تدعو إلى نوع ما من المواصلة كما توجبه الطبيعة ، وتدل عليه العادة " ^(١) .

ثالثاً : في المجتمع :

إن المجتمع بتطبيقه مبدأ الموالاة والمعاداة في الله يكون بذلك متمثلاً قول النبي صلى الله عليه وسلم : " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً " ^(٢) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : " ترى المؤمنين في توادهم وتراحthem وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكتى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " ^(٣) فهذه الأحاديث هي عبارة عن صورة لحال المجتمع إذا قام بتطبيق ما شرعه الله له من الموالاة والمعاداة فيه . وهذه بعض الخطوات العملية في هذا الجانب من خلال المجتمع ويمكن تقسيم ذلك إلى قسمين :

أ— جوانب تطبيقية لتحقيق موالاة المؤمنين ويكون ذلك بالقيام

١— ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم : اقضاء الصراط المستقيم ، دار العاصمة ، ط٦ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض . تحقيق : ناصر عبد الكريم العقل ، (١٤١٩هـ) ، جـ ١ ، ص ١٨٣ – ١٨٤ .

٢— البخاري : مرجع سابق : ح ٦٠٢٦ ، ص ١١٦٦ .

٣— المرجع السابق : ح ٦٠١١ ، ص ١١٦٤ .

النَّصْرَةُ : بِحَقِيقَةِ الْأُخْرَوِيَّةِ الإِيمَانِيَّةِ وَمِنْهَا فِي جَانِبِ الْمُسْوَلَةِ وَالْمُعَادَةِ المُوَدَّةِ

١- المودة : إن من لوازم المولاة المودة ومن هذه المودة حب المسلم لأخيه المسلم ما يحب لنفسه وفي هذا يقول صلى الله عليه وسلم : " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " ^(١) .

٢- النصرة : وهذا واجب على كل مسلم لأخيه المسلم ، وهي تعني " أن يقف المسلم في صف إخوانه المسلمين فيكون معهم يداً واحدة على أعدائهم ولا يخلی بتاتاً - ما استطاع إلى ذلك سبيلاً - بين مسلم وعدوه " (٢) ولذلك جاء الوعيد لمن يترك ذلك وهو قادر عليه . حيث قال صلى الله عليه وسلم : " ما من امرئ يخذل امرءاً مسلماً في موضع ثنتهك فيه حرمه وينقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته وما من امرئ ينصر مسلماً في موضع ينقص فيه من عرضه ويتهك فيه من حرمه إلا نصره الله في موطن يحب نصرته " (٣) .

وفي هذا الجانب يقول الجلعود : " يجب على المسلمين شعوراً وحكومات أن يمدوا يد العون والمساعدة بسخاء إلى المسلمين الذين يقاومون الحكومات الطاغية والأحزاب الكافرة ، ودعمهم في ذلك بلا خجل أو حياء أو خوف من الناس ، لأن هذا واجب شرعي من واجبات الإسلام ، يؤديه المسلمون كما يؤدون غيره من الواجبات الشرعية " ^(٤) .

^١ البخاري . مرجع سابق : ح ١٣ ، ص ٢٦ ؛ النسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ٤٥ ، ص ٥٠ .

^٢ عبد الخالق : عبدالرحمن ، الحد الفاصل بين الإيمان والكفر ، الدار السلفية ، (د. ت) ، ص ٩٥ .

^٢ الألباني، محمد ناصر الدين: صحيح الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، ط٣، لبنان، بيروت، (١٤٠٨هـ)، ج٢، ح ٥٦٩، ص ٩٩٢ - ٩٩٣.

^٤ — الجلعود : مرجع سابق : جـ ١ ، ص ٢٩٢ .

ب — جوانب تطبيقية لتحقيق معاداة الكافرين :

إن تحقيق مبدأ معاداة الكافرين يقتضي تطبيقات كثيرة منها^(١) :

١ — عدم الركون إليهم أو اتخاذهم أمناً أو مستشارين امثلاً لقوله تعالى: «وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ أَنَّارٌ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلَيَاءٍ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ» [سورة هود: آية ١١٣]

يقول القرطبي — عليه رحمة الله — في بيان معنى الركون : "الركون حقيقة الاستئثار والاعتماد والسكن إلى الشيء والرضا به"^(٢). ويبين دلالة قوله تعالى: «إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا» في الآية فيقول : "دالة على هجران أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع وغيرهم ، فإن صحبتهم كفر أو معصية ؛ إذ الصحبة لا تكون إلا عن مودة"^(٣).

٢ — عدم الخضوع أو التذلل لهم فال المسلم عزيز مستعمل بإيمانه على أهل الكفر يقول تعالى : «يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجُنَّ أَلَّا عَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعَزَّةُ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلَكُنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ» [سورة المنافقون : آية ٨]. فلا يليق بالMuslim الذي أعزه الله بالإيمان أن يخضع لكافر ، والخضوع يتخد صوراً عديدة منها :

— القيام للكافر بعمل مع وجود الإهانة والاحتقار .

— الانحناء لهم عند ملاقاهم ، أو الوقوف عندهم وهم جلوس .

— المبالغة في مخاطبتهم بلفاظ التمجيل والتعظيم . أو مدحهم والشاء عليهم بما لا يستحقون .

٣ — عدم التشبه بالكافار في الأقوال والأفعال والعادات وذلك لتحقيق المفاصلة التامة بين منهج الحق وطرق الباطل ، لأن المشاهدة في الأقوال والأفعال تورث شيئاً من الموالاة بين المتشابهين .

١— انظر : دكوري : مرجع سابق : جـ ١ ، ص ٤٤١ – ٤٥٢ ؛ الجلعود : مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ص ٢٩٢ – ٣٠٠ .

٢— القرطبي : مرجع سابق : ج ٩ ، ص ١٠٨ .

٣— المراجع السابق : ج ٩ ، ص ١٠٨ .

٤ — كشف مخططات الكفار وفضح جرائمهم تجاه الإسلام وأهله في مناهج التعليم ووسائل الإعلام .

٥ — جهادهم في سبيل الله وينقسم هذا الجهاد إلى قسمين :
القسم الأول : جهادهم بالدعوة ببيان محسن الإسلام وما يترب
على الدخول فيه من الخير والفلاح في الدنيا والآخرة . وما
يترب على عدم الدخول فيه من الخزي في الحياة الدنيا والعذاب
الأليم في الآخرة .

القسم الثاني : جهادهم بالقتال إذا عاندوا واستكروا ولم يستجيبوا
للدعوة وحاولوا الصد عن سبيل الله . وفق شروط وضوابط وآداب
تسمو بهذا الجهاد عن الظلم والعدوان ، وعن المطامع الشخصية والأعراض
الذاتية وهذه الشروط والضوابط والآداب معلومة من الشرع المطهر مدونة في كتب
الفقه الإسلامي وليس هذا محل بسطها .

الأخصل الرابع

)) التوجيهات المُتضمنة في الجانب التعدي))

- المحور الأول : مكانة النبي صلى الله عليه وسلم .
- المحور الثاني : الكفارات في الشريعة .

مقدمة :

إن العبادة في عرف الشرع تتحقق بطاعة الله القائمة على امثال الأوامر واجتناب النواهي ، سواءً في ذلك الاعتقاد ، والعمل الظاهر ، والعبادة هي الغاية من خلق الإنسان ، يقول تعالى : « وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَا إِلَّا لِيَعْبُدُونَ » [سورة الذاريات : آية ٥٦] ، فالعبادة هنا تشمل الجانب العقدي ، وتشمل الجانب العملي الظاهر ، فالعبادة كما يعرفها شيخ الإسلام ابن تيمية : " اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه : من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة " ^(١) . هذا تعريف العبادة على وجه العموم غير أن العلماء اصطلحوا على إطلاق لفظ العبادات على خصوص بعض التكاليف التي تحتاج إلى نية وأهمها : الصلاة والزكاة والصيام والحج ؛ لأن غاية التذلل والخضوع ظاهرة فيها أكثر من غيرها من سائر التكاليف ، وهي عنوان الاستسلام لله تعالى الذي أخذ منه اسم الإسلام ^(٢) . وقد جاء منصوصاً عليها في عدة أحاديث منها : إجابة النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل حين سأله عن الإسلام حيث قال : " الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتوئي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحجج البيت ، إن استطعت إليه سبيلاً " ^(٣) . ومنها حديث : " بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان " ^(٤) .

والعبادات بهذا الاصطلاح تلي العقائد في الأهمية – وإن كان الجميع يشمله تعريف العبادة بالمفهوم الشامل كما تقدم – لذلك نجد أن الشريعة الإسلامية اهتمت بهـ غاية الاهتمام فجاءت عشرات الآيات القرآنية ، ومئات الأحاديث النبوية ترغب فيها وتنوه بشأنها ^(٥) .

١- ابن تيمية : " بجموع الفتاوى " ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ٨٥ .

٢- صقر ، عطية : " توجيهات دينية واجتماعية " ، دار نشر الثقافة ، مصر ، القاهرة ، (٤٠٠ هـ) ، ص ٦٩ .

٣- اليساوي ، مسلم : مرجع سابق ، ح ٨ ، ص ٣٦ .

٤- البخاري : مرجع سابق ، ح ٨ ، ص ٢٥ .

٥- السدوسي ، أبو الحسن علي الحسني : العقيدة والعبادة والسلوك في ضوء الكتاب والسنّة والسيرة النبوية ، ط ٢ ، دار القلم ، الكويت ، (١٤٠٣ هـ) ، ص ٨١-٨٢ .

والباحث في هذا الفصل تطرق للحديث عمما اشتملت عليه سورة المجادلة من توجيهات تربوية في الجانب التعبد و كان ذلك من خلال مخالل مخورين :

المخور الأول : مكانة النبي صلى الله عليه وسلم ، والتي تنبثق من الركن الأول من أركان الإسلام ، وما تقتضيه هذه المكانة من الإتباع والتأسي .

المخور الثاني : الكفارات في الشريعة ، وما تضمنته من معنى التعبد لله سبحانه و تعالى .

المحور الأول : مكانة النبي صلى الله عليه وسلم .

مدخل :

إن الله بعلمه وحكمته - سبحانه - فضل أزمنة عن أخرى ، وأمكنة عن غيرها وأشخاص عن سواهم ، فهو سبحانه ﴿سَخَّنَقُ مَا يَشَاءُ وَسَخَّنَارُ﴾ [سورة القصص : آية ٦٨] ، فضل رمضان علىسائر الشهور ، وفضل الحرمين علىسائر البلدان ، وفضل المساجد علىسائر البيوت وفضلبني آدم علىكثير من خلق تفضيلا ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيَّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ حَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [سورة الإسراء : آية ٧٠] .

وبعد هذا التفضيل والاختصاص لبني آدم بشكل عام ، يأتي الاجتباء والاصطفاء الخاص لفئات منهم ويأتي على رأسهم اصطفاء الأنبياء والرسول وفي ذلك يقول سبحانه بعد أن ذكر طائفة من الأنبياء : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّنَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْلَمُ هَدَيْنَا وَأَجْتَبَيْنَا﴾ [سورة مریم : آية ٥٨] .

فالأنبياء اصطفاهم الله من أكرم خلقه ، وأعدّهم لتبلغ رسالته وإقامة حجته ، وإنقاذ عباده ، فهم القسم العالية ، والمنائر الهدادية ، والمنابر الداعية . فلهم من المكانة ما ليس لغيرهم يلحظ ذلك ابتداءً من اشتقاء مسامتهم بكلمة "نبي" تشير في أصل وضعها إلى شرف موضع الأنبياء وعلو مكانتهم ورفعه درجتهم فإن كانت من النبأ - وهو الخبر المقيد لما له شأن منهم - كان معنى "النبي" المنبع عن الله أو المنبأ من الله ، وإن كانت من النبوة أو النباوة - وهي المكان العالي - كان معنى "النبي" الرفيق المكانة العظيم الشأن ، وإن كانت من "النبي" - وهو الطريق - كان معنى "النبي" الطريق إلى الله عز وجل ^(١) .

١- ابن منظور ، مرجع سابق ، ج ١، ص ١٥٦-١٥٩ .

و مع ما للأنبياء جمِيعاً من الفضل و المكانة إلا أن الله سبحانه كذلك رفع بعضهم فوق بعض درجات يقول سبحانه : « وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ » [سورة الإسراء : آية ٥٥] ، ويقول سبحانه : « تِلْكَ الْرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَنْ كَلَمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَتِهِ » [سورة البقرة : آية ٢٥٣] .

ومن هذا التفضيل كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم النصيب الأوفر، فقد خصه ربها بالخصائص العظيمة و المنح والعطایا الكريمة التي ليس لأحد عليه فيها مزيد ولا يلحقه فيها عبد من العبيد ؛ فالناظر في كتاب الله الكريم وسنة سيد المرسلين يجد من الأدلة الشيء الكثير التي تبين على مكانته صلى الله عليه وسلم وعظيم قدره عند ربها و عندخلق أجمعين .

ومعرفة مكانة النبي صلى الله عليه وسلم وما تقتضيه من وجوب الإيمان به واتباعه وطاعته وحبه وتعظيمه هي من ركائز الدين وأساسياته وما استفاضت به النصوص الشرعية بياناً له و تأكيداً عليه .

ولقد كتب علماء المسلمين في بيان مكانته صلى الله عليه وسلم الكتب وصنفوا فيها المصنفات قدیماً وحديثاً من خلال دواوین السنة وكتب السیرة والمصنفات المستقلة والباحث في هذا المخور سوف يیین مكانة النبي صلى الله عليه وسلم من خلال سورة الجادلة .

مكانة النبي صلى الله عليه وسلم عند ربه :

المكانة : مأخوذة من الفعل كان ، و هي بمعنى الموضع ، أو المترلة من الشئ ، وفي

التتريل قوله تعالى : « وَلَوْ نَشِاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ » [سورة يس : آية ٦٧] ^(١) .

ومكانة النبي صلى الله عليه وسلم عند ربه رفيعة و قدره عظيم ، حيث بين ذلك في كتابه العزيز في مظاهر مختلفة ، ونوعه في جملة أساليب ، وقرره في عدة مناسبات ، ومن أمثلها وأروعها ما جاء في سورة المجادلة في قوله تعالى : « يَتَائِلُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَنَكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ أَكْمَرَ وَأَطْهَرَ فَإِنَّ لَمْ تَجْدُوا فِي إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦﴾ ءَأَشَفَقْتُمْ أَنْ تُقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَنَكُمْ صَدَقَتِي فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكُوَةَ وَأَطْبِعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ » [سورة المجادلة : آية ١٢ - ١٣]

و قبل أن يقف الباحث مع هاتين الآيتين وما فيهما من تعظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يدل على رفعة مكانته ، وعظيم قدره ، يذكر تمهيداً لذلك طرفاً من الأساليب التي طرقها القرآن لبيان رفعة مكانته صلى الله عليه وسلم وعظيم قدره ، فمن تلك الأساليب :

١ - أن الله - سبحانه و تعالى - أخذ العهد له صلى الله عليه وسلم من جميع الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة و السلام - بالإيمان به و نصرته .

يقول سبحانه و تعالى : « وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّنَ لَمَّا أَتَيْتُكُمْ مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةً ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ إِنَّ قَرْرُتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَأَشْهَدُو وَأَنَا مَعَكُمْ مِّنَ الشَّهَدَيْنَ » [سورة آل عمران : آية ٨١]

يقول ابن كثير : " يقول تعالى مهما آتيتكم من كتاب و حكمة ثم جاءكم رسول بعد هذا كله ، فعليكم الإيمان به و نصرته ، و إذا كان هذا الميثاق شاملاً لكـلـ منهم

تضمن أخذه محمد صلى الله عليه وسلم من جميعهم ، و هذه خصوصية ليست لأحد منهم سواه^(١) .

كما أخرج الطبرى في تفسيره عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في تفسيره هذه الآية قوله : " لَمْ يَعْثُرْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيًّا ، آدَمَ فَمَنْ بَعْدَهُ إِلَّا أَخْذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ فِي مُحَمَّدٍ : لَئِنْ بَعْثَ وَهُوَ حَيٌّ لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلِيُنَصِّرَنَّهُ ، وَيَأْمُرُهُ فَيَأْخُذُ الْعَهْدَ عَلَى قَوْمِهِ " ^(٢) .

٢ - أن الله جعله خاتم الأنبياء يقول سبحانه : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدًا أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ﴾ [سورة الأحزاب: آية ٤٠] ، وفي هذا تنويه بعلو مكانته و عظيم قدره و شأنه . وفي الحديث المتفق عليه يقول صلى الله عليه وسلم : " إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلى ، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية . فجعل الناس يطوفون به و يعجبون له ويقولون : هلاً و ضعت هذه اللبنة؟! قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين " ^(٣) .

٣ - أن الله - سبحانه و تعالى - تولى الدفاع عنه مما رماه به قومه .
 كان الأنبياء - عليهم السلام - إذا رماهم المكذبون بالضلالة والسفه تولوا هم بأنفسهم الرد عليهم فهذا نوح لما رماه قومه بالضلالة رد عليه قائلًا : ﴿يَقُولُونَ لَيْسَ بِي ضَلَالٌ﴾ [سورة الأعراف: آية ٦١] ، وهذا هو رد يرد عن نفسه السفة الذي رماه به قومه قائلًا : ﴿يَقُولُونَ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾ [سورة الأعراف: آية ٦٧] ، أما النبي صلى الله عليه وسلم فقد تولى الله عنه الرد فيقول سبحانه : ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنَعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ ^{﴿٥﴾} أم يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّزَّصُ بِهِ رَبِّ الْمُنْتَوْنِ ^{﴿٦﴾} قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعْكُم مِّنَ الْمُتَرَبَّصِينَ ^{﴿٧﴾} أم تَأْمُرُهُمْ أَحْدَمُهُمْ بِهَذَا ^{﴿٨﴾} أم هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ^{﴿٩﴾} أم يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ^{﴿١٠﴾} بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ^{﴿١١﴾} فَلَيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ^{﴿١٢﴾} ﴾ [سورة الطور: آية ٢٩ - ٣٣]

١ - ابن كثير ، إسماعيل : الفصول في سيرة الرسول - ملخصه - ، دار ابن كثير ، سوريا ، دمشق ، (١٤١٣ - ٢٨٦) ، ص ٢٨٦ .

٢ - الطبرى : مرجع سابق ، ٣ ، ج ٣ ، ص ٤٥٠ .

٣ - البخارى : مرجع سابق ، ج ٣٥٣٥ ، ص ٦٧٩ ؛ النسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ٢٢٨٦ ، ص ٩٣٩ .

يقول صاحب خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء " و في هذا من التشريف لنبينا صلى الله عليه وسلم ما تحار فيه العقول و تزداد به محبة الرسول صلى الله عليه وسلم " ^(١).

٤— أن الله أقسم ب حياته : قال تعالى : ﴿ لَعَمِرْكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [سورة الحجر : آية ٢٢]. قال ابن كثير . " أقسم الله بحياة نبيه صلوات الله وسلامه عليه ، وفي هذا تشريف عظيم و مقام رفيع و جاه عريض " ^(٢) . وقال ابن عبد السلام : " والإقسام بحياة المُقسَّم ب حياته يدل على شرف حياته وعزتها عند المُقسِّم بها ، ولم يثبت هذا لغيره صلى الله عليه وسلم " ^(٣) .

٥— أن الله رفع ذكره : يقول سبحانه : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [سورة الشرح : آية ٤] . رفع الله ذكر نبيه صلى الله عليه وسلم فلا يذكر سبحانه إلا ذكر معه فاؤجب ذكره في الشهادتين هما أساس الإسلام و في الصلاة التي هي عماد الدين وفي الآذان الذي هو شعار الإسلام إلى غير ذلك من الموضع .

٦— أن الله غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر : يقول سبحانه : ﴿ لَيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [سورة الفتح : آية ٢] .

يقول ابن عبد السلام :

ولم ينقل أنه أخبر أحداً من الأنبياء بمثل ذلك بل الظاهر أنه لم يخبرهم ، لأن كل واحد منهم إذا طلبت منهم الشفاعة في الموقف ذكر خطيبته التي أصها وقال : " نفسي نفسي " ولو علم كل واحد منهم بغرران خطيبته لم يؤجل منها في ذلك المقام ، وإذا استشعفت الخلائق بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام قال : " أنا لها " ^(٤) .

١— إبراهيم ، الصادق بن محمد : خصائص المصطفى صلى الله عليه وسلم بين الغلو والجفاء ، مكتبة الرشد ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢١هـ) ، ص ٤٧ .

٢— ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٥٧٥ .

٣— ابن عبد السلام ، العز : بداية السول في تقضيل الرسول مشتملة على ، المكتب الإسلامي ، لبنان ، بيروت ، تحقيق : الألباني ، (١٤٠٦هـ) ، ص ٣٧ .

٤— المرجع السابق : ص ٣٥—٣٦ .

٧— أن الله وقره في ندائـه فنـادـاه بأـعـزـ أـوـصـافـهـ .

لم يـنـادـ اللهـ نـبـيـهـ فيـ القـرـآنـ باـسـمـهـ قـطـ ،ـ وإنـماـ كانـ يـنـادـيهـ بـقـولـهـ :ـ (يـتـأـيـهـاـ الـنـبـيـ)ـ [ـسـورـةـ الأـنـفـالـ:ـ آـيـةـ ٦ـ٤ـ]ـ ،ـ (يـتـأـيـهـاـ الرـسـوـلـ)ـ [ـسـورـةـ الـمـائـدـةـ:ـ آـيـةـ ٤ـ١ـ]ـ .ـ بـخـلـافـ ماـ كـانـ يـنـادـىـ إـخـوانـهـ مـنـ الـأـنـبـيـاءـ
إـنـهـ كـانـ يـنـادـيـهـمـ بـأـسـمـائـهـ .ـ

يـقـولـ ابنـ عـبـدـ السـلـامـ :

وهـنـهـ الـخـصـيـصـةـ لـمـ تـثـبـتـ لـغـيرـهـ بـلـ إـنـ كـلـاـمـهـ نـوـدـيـ باـسـمـهـ فـقـالـ اللهـ تـعـالـىـ :ـ (وـقـلـنـاـ يـتـخـادـمـ
آـشـكـنـ أـنـتـ وـزـوـجـكـ آـلـجـةـ)ـ [ـسـورـةـ الـبـرـةـ:ـ آـيـةـ ٣ـ٥ـ]ـ ،ـ وـقـالـ تـعـالـىـ :ـ (يـعـيـسـيـ أـبـنـ مـرـيـمـ آـكـلـكـرـبـعـمـيـ عـلـيـكـ)ـ [ـسـورـةـ
الـمـائـدـةـ:ـ آـيـةـ ١ـ١ـ]ـ وـقـالـ تـعـالـىـ :ـ (يـمـوسـىـ إـنـقـاثـ أـنـاـ اللـهـ)ـ [ـسـورـةـ الـقـصـصـ:ـ آـيـةـ ٣ـ٠ـ]ـ وـقـالـ تـعـالـىـ :ـ (يـتـنـوحـ آـهـبـطـ
إـسـلـمـيـ مـنـاـ)ـ [ـسـورـةـ هـودـ:ـ آـيـةـ ٤ـ٨ـ]ـ وـقـالـ تـعـالـىـ :ـ (يـكـارـهـمـ فـقـدـ صـدـقـتـ آـرـبـعـيـاـ)ـ [ـسـورـةـ الصـافـاتـ:ـ آـيـةـ
٤ـ١ـ٠ـ]ـ .ـ وـلـاـ يـخـفـىـ عـلـىـ أـحـدـ أـنـ السـيـدـ إـذـاـ دـعـاـ أـحـدـ عـيـدـهـ بـأـفـضـلـ مـاـ وـجـدـ فـيـهـ مـنـ
الـأـوـصـافـ الـعـلـيـةـ وـ الـأـخـلـاقـ الـسـيـنـةـ وـ دـعـاـ الـأـخـرـيـنـ بـأـسـمـائـهـ الـأـعـلـامـ لـاـ يـشـعـرـ بـوـصـفـ مـنـ
الـأـوـصـافـ وـ لـاـ يـخـلـقـ مـنـ الـأـخـلـاقـ ،ـ إـنـ مـتـرـلـةـ مـنـ دـعـاـهـ بـأـفـضـلـ الـأـسـاءـ وـ الـأـوـصـافـ أـعـزـ
عـلـيـهـ وـ أـقـرـبـ إـلـيـهـ مـنـ دـعـاـهـ باـسـمـهـ الـعـلـمـ)ـ^(١)ـ .ـ

٨— أن الله تعالى نـهـيـ الـأـمـةـ أـنـ تـنـادـيـهـ باـسـمـهـ الـعـلـمـ بـلـ أـمـرـهـ أـنـ تـكـنـيـهـ بـالـنـبـوـةـ أوـ الرـسـالـةـ :

يـقـولـ تـعـالـىـ :ـ (لـاـ تـجـعـلـوـاـ دـعـاءـ الرـسـوـلـ بـيـتـكـمـ كـدـعـاءـ بـعـضـكـمـ بـعـضـاـ)ـ [ـسـورـةـ النـورـ:ـ آـيـةـ ٦ـ٣ـ]
أـورـدـ اـبـنـ كـثـيرـ عـنـ اـبـنـ عـبـاسـ فـيـ تـفـسـيرـهـ لـهـذـهـ آـيـةـ :ـ "ـ كـانـواـ يـقـولـونـ :ـ يـاـ مـحـمـدـ ،ـ يـاـ أـبـاـ
الـقـاسـمـ ،ـ فـنـهـاـمـ اللـهـ عـزـ وـ جـلـ عـنـ ذـلـكـ إـعـظـامـاـ لـنـبـيـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـ سـلـمـ ،ـ قـلـ :ـ
قـولـوـاـ :ـ يـاـ نـبـيـ اللـهـ يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ"ـ^(٢)ـ .ـ

قـالـ الأـصـبـهـانـ :

فـخـصـهـ اللـهـ تـعـالـىـ بـهـذـهـ الـفـضـيـلـةـ مـنـ بـيـنـ رـسـلـهـ وـ أـنـبـيـائـهـ وـ أـخـبـرـ سـبـحـانـهـ
عـنـ سـاـئـرـ الـأـمـمـ أـنـهـمـ كـانـواـ يـخـاطـبـونـ رـسـلـهـمـ وـ أـنـبـيـائـهـمـ بـأـسـمـائـهـمـ كـقـولـ قـومـ
موـسـىـ لـهـ :ـ (قـالـوـاـ يـتـمـوـمـيـ أـجـعـلـ لـنـاـ إـلـهـاـ كـمـاـ لـهـمـ إـلـهـ)ـ [ـسـورـةـ الـأـعـرـافـ:ـ آـيـةـ ١ـ٣ـ٨ـ]ـ وـ قـولـ قـومـ
عـيـسـىـ لـهـ :ـ (يـعـيـسـيـ أـبـنـ مـرـيـمـ هـلـ يـسـتـقـطـعـ رـبـلـهـ)ـ [ـسـورـةـ الـمـائـدـةـ:ـ آـيـةـ ١ـ١ـ٢ـ]ـ وـ قـولـ قـومـ هـودـ لـهـ :ـ
(يـهـوـدـ مـاـ جـنـتـنـاـ بـيـتـهـ)ـ [ـسـورـةـ هـودـ:ـ آـيـةـ ٥ـ٣ـ]ـ^(٣)ـ .ـ

١— المـرـجـعـ السـابـقـ ،ـ صـ ٣ـ٨ـ .ـ

٢— اـبـنـ كـثـيرـ :ـ "ـ تـفـسـيرـ الـقـرـآنـ الـعـظـيمـ"ـ ،ـ مـرـجـعـ سـابـقـ ،ـ جـ ٣ـ ،ـ صـ ٣ـ١ـ٨ـ .ـ

٣— الأـصـبـهـانـ ،ـ أـبـوـ نـعـيمـ :ـ دـلـائـلـ الـنـبـوـةـ ،ـ دـارـ الـبـازـ ،ـ الـمـلـكـةـ الـعـرـبـيـةـ السـعـوـدـيـةـ ،ـ مـكـةـ الـمـكـرـمـةـ ،ـ (ـدـ.ـتـ)ـ ،ـ صـ ١ـ٢ـ .ـ

٩— أن الله نهى الناس أن يرفعوا أصواتهم فوق صوته صلى الله عليه وسلم .
 قال تعالى : « يَنَّاهُ اللَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهَرْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ أَعْمَلُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ » [سورة الحجرات : آية ٢ - ٤] ،
 وفي هذا الأمر تعظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم و توقير له وذلك بالأمر بخفض
 الصوت بحضوره صلى الله عليه وسلم و عند مخاطبته ^(١).

١٠— صلاة الله و ملائكته عليه صلى الله عليه وسلم و أمر المؤمنين بذلك .
 يقول تعالى : « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلَوًا عَلَيْهِ وَسَلِيمًا » [سورة الأحزاب : آية ٥٦]

مكانة النبي صلى الله عليه وسلم في سورة المجادلة :
 هذه بعض الأساليب والمقام ليس مقام تفصيل وإنما المقصود ذكر طرفاً منها ، ويعود
 الباحث ليقف مع آياتي سورة المجادلة لبيان رفعة مكانته صلى الله عليه وسلم وعظيم
 قدره من خاللها ، يقول سبحانه :

« يَنَّاهُ اللَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَحْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيِّ نَجْوَنَّكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ
 فَإِنْ لَمْ تَخِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤﴾ إِشْفَقْتُمْ أَنْ تُقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِّ نَجْوَنَّكُمْ صَدَقَتِ فِإِذْ لَمْ
 تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوْا الزَّكُوَةَ وَأَطْبِعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ حَبِّرَ بِمَا تَعْمَلُونَ »
 [سورة المجادلة : آية ١٢ - ١٣] .

المعنى :

يقول ابن كثير — رحمه الله — في تفسيره لاثنين الآيتين :

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين إذا أراد أحدهم أن ينادي رسول الله — صلى
 الله عليه وسلم — أي يساره فيما بينه وبينه أن يقدم بين يدي ذلك صدقة تطهيره وتركه
 وتهلهل لأن يصلح لهذا المقام ولهذا قال تعالى « ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ » ثم قال تعالى « فَإِنْ لَمْ
 تَجْدُوا » أي إلا من عجز عن ذلك لفقره « فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » مما أمر بها إلا من قدر
 عليها . ثم قال تعالى « إِشْفَقْتُمْ أَنْ تُقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِّ نَجْوَنَّكُمْ صَدَقَتِ » أي أخفتم من استمرار

هذا الحكم عليكم من وحوب الصدقة قبل مناجاة الرسول ﷺ فَإِذْ لَمْ تَفْعُلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَثُوْرُوا الرَّكْوَةَ وَأَطْبِعُوا أَللَّهُ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ فنسخ وحوب ذلك عنهم وقد قيل إنه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه^(١).

سبب النزول :

أورد أهل التفسير في سبب نزول هاتين الآيتين روایات متعددة مختلفة ، ولكن الذي يظهر أنها من قبيل الأمثلة على حال مناجاة الرسول صلی الله عليه وسلم قبل فرضية الصدقة بين يدي نجواه صلی الله عليه وسلم ، وليس من قبيل أسباب التزول ، وفي هذا يقول ابن عاشور :

وقد اختلف المقدمون في سبب نزول هذه الآية ، وحكمـة مشروعية صدقـة المناجـاة . فنقلـت عن ابن عباس وقـادة وجـابر بن زـيد وزـيد بن أـسلم وـمقـاتـلـ أـقوـالـ في سـبـبـ نـزـولـهـاـ مـتـحـالـفةـ ، وـلاـ أحـسـبـهـمـ يـرـيدـونـ مـنـهـاـ إـلـاـ حـكـاـيـةـ أحـوـالـ لـلنـجـوـيـ كـانـتـ شـائـعـةـ ، فـلـمـ نـزـلـ حـكـمـ صـدـقـةـ النـجـوـيـ أـقـلـ النـاسـ مـنـ النـجـوـيـ . وـكـانـتـ عـبـارـاتـ الـأـقـدـمـيـنـ تـجـريـ عـلـىـ السـامـاحـ فـيـطـلـقـونـ عـلـىـ أـمـثـلـ الـأـحـكـامـ وـجزـئـيـاتـ الـكـلـيـاتـ اـسـبـابـ التـزـولـ .^(٢)

ومن أمثلة هذه الروایات ما أوردـهـ ابنـ الجـوزـيـ فيـ زـادـ المـسـيرـ فيـ سـبـبـ نـزـولـهـماـ حيثـ

يـقـولـ :

في سـبـبـ نـزـولـهـاـ قـولـانـ :

ـ أحـدـهـماـ :ـ أـنـ النـاسـ سـأـلـوـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ حـتـىـ شـقـوـاـ عـلـيـهـ ،ـ فـأـرـادـ اللـهـ أـنـ يـخـفـفـ عـنـ نـبـيـهـ ،ـ فـأـنـزـلـ هـذـهـ الـآـيـةـ ،ـ قـالـهـ اـبـنـ عـبـاسـ .ـ

ـ وـالـثـانـيـ :ـ أـهـمـاـ نـزـلتـ فـيـ الـأـغـنـيـاءـ ،ـ وـذـلـكـ أـهـمـ كـانـوـاـ يـكـثـرـونـ مـنـاجـاهـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ،ـ وـيـغـلـبـونـ الـفـقـرـاءـ عـلـىـ الـمـحـالـسـ ،ـ حـتـىـ كـرـهـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ذـلـكـ ،ـ فـتـرـلتـ هـذـهـ الـآـيـةـ ،ـ فـأـمـاـ أـهـلـ الـعـسـرـةـ فـلـمـ يـجـدـوـ شـيـئـاـ ،ـ وـأـمـاـ أـهـلـ الـمـيـسـرـ فـبـخـلـوـاـ ،ـ وـاـشـتـدـ ذلكـ عـلـىـ أـصـحـابـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ،ـ فـتـرـلتـ الـرـخـصـةـ ،ـ قـالـهـ مـقـاتـلـ بـنـ حـيـانـ ،ـ وـإـلـىـ نـحـوـ ذـهـبـ مـقـاتـلـ بـنـ سـلـيـمانـ ،ـ إـلـاـ أـنـهـ قـالـ :ـ فـقـدـرـ الـفـقـرـاءـ حـيـثـنـذـ عـلـىـ مـنـاجـاهـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ،ـ وـلـمـ يـقـدـمـ أـحـدـ مـنـ أـهـلـ الـمـيـسـرـ صـدـقـةـ غـيرـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ .^(٣)

١ـ ابنـ كـثـيرـ :ـ "ـ تـقـسـيـمـ الـقـرـآنـ الـعـظـيـمـ "ـ ،ـ مـرـجـعـ سـابـقـ ،ـ جـ٤ـ ،ـ صـ٣٤٩ـ .ـ

٢ـ ابنـ عـاشـورـ :ـ مـرـجـعـ سـابـقـ ،ـ جـ٢٧ـ ،ـ صـ٤٢ـ .ـ

٣ـ ابنـ الجـوزـيـ :ـ مـرـجـعـ سـابـقـ ،ـ جـ٨ـ ،ـ صـ١٩٤ـ١٩٥ـ .ـ

هذه بعض الروايات في سبب التزول والتي هي كما تقدم من قبيل الأمثلة على حال التجوى قبل فرضية الصدقة ، ومن هنا يلقي قطب على هذه الروايات بقوله :

فيبدو أنه كان هناك تراحم على الخلوة برسول الله صلى الله عليه وسلم ليحدثه كل فرد في شأن يخصه ؛ ويأخذ فيه توجيهه ورأيه ؛ أو لاستمتع بالانفراد به مع عدم التقدير لمهام رسول الله صلى الله عليه وسلم الجماعية ؛ وعدم الشعور بقيمة وقته، وبجدية الخلوة به ، وأها لا تكون إلا لأمر ذي بال . فشاء الله أن يشعرهم بهذه المعاني بتقرير ضرورة للجماعة من مال الذي يريد أن يخلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ويقطع من وقته الذي هو حق من حق الجماعة. في صورة صدقة يقدمها قبل أن يطلب المناجاة والخلوة^(١) .

الحكم والفوائد التربوية المستنبطة من الآيتين :

١— بيان علو مكانته صلى الله عليه وسلم وشرفه وعظم قدره عند ربه وعنده المؤمنين : في هذه الآيات يعلمنا ربنا — سبحانه وتعالى — كيف يكون الأدب الشرعي مع رسولنا صلى الله عليه وسلم وذلك بأسلوب قرآني عجيب في فرضية تقديم الصدقة بين يدي نجواه ، يقول السعدي : " يأمر تعالى المؤمنين بالصدقة ، أمام مناجاة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم تأدباً لهم ، وتعلماً ، وتعظيمًا للرسول صلى الله عليه وسلم ، فإن هذا التعظيم خير للمؤمنين وأظهره " ^(٢) .

ولا يُشكّل على هذا نسخ وجوب تقديم الصدقة فإن الأمر الذي من أجله فرضت وهو تعظيمه — صلى الله عليه وسلم — لم ينسخ باق على حاله ، يقول السعدي: " وبقي التعظيم للرسول والاحترام بحاله ، لم ينسخ ؛ لأن هذا من باب المشروع لغيره ليس مقصوداً لنفسه ، وإنما المقصود هو الأدب مع الرسول والإكرام له " ^(٣) .
هذا وبقاء هذه الآيات تتلى في كتاب الله " يوجد في النفوس أثراً تربوياً عميقاً تجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته ، وانطباعاً خاصاً في التعرف على عظيم مكانته عند ربه بعد مماته " ^(٤) .

١— قطب ، سيد : " في ظلال القرآن " ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٣٥١٢ .

٢— السعدي : مرجع سابق ، ص ٧٨٥ .

٣— المرجع سابق : ص ٧٨٦-٧٨٥ .

٤— الراشد : مرجع سابق ، ص ٢٦٠ .

كذلك مما يدل على عظيم قدره ، وشرف مقامه ما تدل عليه كلمة "الصدقة" من التطهير بحيث لا يليق بمحديثه صلى الله عليه وسلم إلا أن يكون ظاهراً مُزكّى وفي هذا يقول ابن كثير : "أن يقدم بين يدي ذلك صدقة تطهيره وتزكيه وتؤهله لأن يصلح لهذا المقام" ^(١).

٢- التخفيف عنه صلى الله عليه وسلم ودفع التكاثر من غير حاجة مهمة تستدعي ذلك ^(٢).

٣- انتفاع أهل الحاجة من الفقراء والمساكين بالصدقة المقدمة قبل المراجعة .

٤- أن لا يستحوذ الأغنياء بمجلس الرسول صلى الله عليه وسلم دون الفقراء ^(٣) .

٥- الضرر عن الإفراط في السؤال من غير حاجة ، والاقتصار على الأمور المهمة ^(٤) .

وبعد بيان هذه الحكم والفوائد التربوية المستتبطة من هاتين الآيتين العظيمتين يتضح أن المقصود الأساس — وإن كان هناك مقاصد أخرى — في فرضية الصدقة قبل يدي نجواه صلى الله عليه وسلم هو تعظيمه وبيان رفعة مكانته صلى الله عليه وسلم فما هو التعظيم؟ وما الذي يقتضيه؟

جاء في لسان العرب "التعظيم : التبجيل ، يقال لفلان عظمة عند الناس : أي حرمة يعظم لها" ^(٥) .

ولفظ التعظيم وإن لم يرد في النصوص الشرعية إلا أنه استعمل لتقريب المعنى المراد من لفظي التعزير والتوقير الواردة ^(٦) في قوله تعالى : ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّزُوهُ وَتُؤَقِّرُوهُ﴾ [سورة الفتح : آية ٩] .

يقول الإمام الطبرى في تفسيره " وأما التوقير فهو التعظيم والإجلال والتفحيم " ^(٧) .

١- ابن كثير : "تفسير القرآن العظيم" ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٣٤٩.

٢- الألوسي : مرجع سابق ، ج ٢٨ ، ص ٣.

٣- الرازى ، الفخر محمد بن عمر : "التفسير الكبير ومتابع الغيب" ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، (١٣١٠هـ) ، ١٥٣ ، ٢٩٧ ، ص ٢٧٢.

٤- أبو السعود ، محمد بن محمد العمادى : "تفسير أبي السعود" ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان ، بيروت ، (د.ت.) ، ج ٧ ، ص ٢٢٠.

٥- ابن مظفر : مرجع سابق : ج ١٥ ، ص ٣٠٤ - ٣٠٥.

٦- الشبيبي ، محمد بن خليلة : "حقوق النبي - صلى الله عليه وسلم - على أمته" ، مكتبة أضواء السلف ، ط ١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٨هـ) ، ج ٢ ، ص ٤٢٢.

٧- الطبرى : مرجع سابق : ج ١٣ ، ص ٩٨.

ويقول ابن كثير في تفسيره : " قال ابن عباس - رضي الله عنهمَا - و غير واحد تعظموه و توقروه ، من التوقير ، و هو الاحترام و الإجلال و الإعظام " ^(١) .
و حاصل ما قيل في معنى التعزير و التوقير ما ذكره ابن تيمية في كتابه الصارم المسلح على شاتم الرسول " التعزير اسم جاسع لنصره و تأييده و منعه من كل ما يؤذيه . و التوقير : اسم جامع لكل ما فيه سكينة و طمأنينة من الإجلال، والإكرام ، وأن يعامل من التشريف و التكريم و التعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار " ^(٢) .

والتعظيم مترفة فوق المحبة ؛ لأنَّه ليس كُلَّ محبٍ مُعظماً ، فالوالد يحب ولده ، ولكن حبه إِيَّاه يدعوه إلى تكريمه دون تعظيمه ، بخلاف محبة الولد لأبيه فإنَّه يجمع له بين التكريم و التعظيم ^(٣) .

وتعظيمه صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُاجلاله و توقيره و تشريفه و تكريمه و نصره و تأييده شعبة عظيمة من شعب الإيمان ، و حق من عظيم حقوقه صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو عبادة من العبادات محلها القلب و اللسان و الجوارح :
— فالتعظيم بالقلب هو ما يستلزم كونه رسولاً مصطفى له من رفعة المكانة و جلالة القدر ورفع الذكر و إخلاص المحبة و تقديتها على النفس و الولد و الوالد و الناس أجمعين .

— والتعظيم باللسان يكون بالثناء عليه بما هو أهلها مما أثني به عليه ربِّه أو أثني به على نفسه من غير غلو و لا تقصير ، و من أعظم ذلك و أجله الصلاة و السلام عليه كما يشمل تعظيمه باللسان الأدب في الخطاب عند ذكره و كذلك نشر فضائله و بيان مكانته عند الناس و تعريفهم بذلك .

١- ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ١٩٩ .

٢- ابن تيمية ، أحمد بن عبد الخليل : الصارم المسلح على شاتم الرسول ، دار بن حزم ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٧هـ) ، ج ٢ ، ص ٨٠٣ .

٣- الخليمي ، أبي عبدالله الحسن بن الحسين : المهاج في شعب الإيمان ، بتحقيق حلمي فودة ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، (د.ت) ، ج ٢ ، ص ١٢٤ .

— والتعظيم بالجوارح يكون بالعمل بشرعنته و تجريد متابعته ظاهراً و باطناً و السعي في إظهار دينه و نصرته و الذب عنه و صون حرمته ^(١) .

وليعلم بعد هذا أن أساس تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم و قاعدته التي يبني عليها هي تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله و ما تقتضيه من طاعته فيما أمر و تصديقه فيما أخبر و احتساب ما عنه نهى و زجر و أن لا يعبد الله إلا بما شرع و ما تقتضيه كذلك من كونه صلى الله عليه وسلم عبداً لا يعبد و رسولاً لا يكذب و لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئاً من النفع و الضر إلا ما شاء الله ^(٢) . فمن ضبط هذا الأساس كان تعظيمه للنبي صلى الله عليه وسلم هو التعظيم المشروع و من أخل به أو فقده أو قعه ذلك في التعظيم غير المشروع ، من هنا وجب على المسلم في تعظيمه للنبي صلى الله عليه وسلم أن يتبعه إلى أمرين ^(٣) :

الأول : أن يفرق بين حقوق الله التي لا تصرف إلا له و بين حقوق رسوله صلى الله عليه وسلم .

الثاني : أن يفرق بين التعظيم المشروع الذي أساسه الاتباع و الاقتداء ، والتعظيم غير المشروع الذي هو خلاف الاتباع و الاقتداء .

يقول ابن عبد الهادي :

فالتعظيم نوعان :

أحدهما : ما يحبه المعظم و يرضاه و يأمر به و يثنى على فاعله ، فهذا هو التعظيم في الحقيقة .

والثاني : ما يكرهه و يغضنه و يذم فاعله ، فهذا ليس بتعظيم ، بل هو غلو مناف للتعظيم ، و لهذا لم يكن الرافضة معظمين لعلي بدعواهم الإلهية و النبوة أو العصمة و نحو ذلك ، ولم يكن النصارى معظمين للمسيح بدعواهم فيه ما ادعوا ، و النبي صلى الله عليه وسلم قد أنكر على من عظمها بما لم يشرعه ، فأنكر على معاذ سجوده له ، و هو محض التعظيم ^(٤) .

١— التمهيبي : مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٤٧٠—٤٧٤ .

٢— العثيمين ، محمد بن صالح : شرح ثلاثة الأصول ، دار الثريا ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢١ـ) ، ص ٧٥ .

٣— عثمان ، عبدالرؤوف : محبة الرسول—من مذهب الإمام—بين الاتباع والابتداع ، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء ، ط٢ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٤ـ) ، ص ٨٣—٨٤ .

٤— ابن عبد الهادي ، شمس الدين محمد بن أحمد : الصراط المنكى في الرد على السبكي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٥ـ) ، ص ٢٨٨ .

من هنا وجوب التفصيل شيئاً ما في معنى الاتباع الذي هو أساس التعظيم المشرع: فالإتباع في اللغة : مصدر اتبع الشئ و تبعه إذا سار في أثره ، و الكلمة تدور معانيها حول التطلب و الاقتفاء و الاقتداء و التأسي ^(١). فيكون اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم هو : الاقتداء به و التأسي به و اقتداء آثاره في جميع الجوانب اعتقاداً و قولاً و فعلًا إيجاداً و تركاً ^(٢).

وبالنسبة لأفعال النبي صلى الله عليه وسلم فإنها من حيث الإتباع تنقسم إلى ثلاثة أقسام ^(٣) :

أولاً : الأفعال الجبلية :

كالقيام و القعود و الشرب و نحو ذلك فهي نوعان من جهة الاتباع :

١ — نوع جاء النص — الخارج عن الفعل — بإيجابه أو ندبه فهذا هو المشرع فيه الاتباع مثل الأكل باليمين ، والنوم على الشق الأمين .

٢ — نوع لم يأت نص يدل على مشروعيته فهذا يبقى على الأصل من حيث الإباحة للجميع مثل الأوصاف التي يطبع عليها الإنسان كالشهوة إلى الطعام والشراب وهذا النوع محل خلاف من حيث مشروعية الاتباع على جهة الندب على قولين :

أ — الاتباع فيه مندوب و كان ابن عمر يفعل مثل ذلك .

ب — أنه لا يشرع الاتباع فيه و هذا قول جهور الصحابة .

ويشار هنا إلى أنه يلحق بالأفعال الجبلية كذلك الأفعال التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم بمقتضى العرف والعادة مثل لبس العمامة و إطالة الشعر فهي لا تدل — على الأظهر — على غير الإباحة إلا إذا ورد دليل على مشروعيتها .

١— ابن منظير : مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ٣٧٥—٣٧٦ .

٢— البعداني ، فيصل بن علي : "اتباع النبي - صلى الله عليه وسلم - في ضوء الوحيين" ، كتاب المتدى ٣٥ ، "حقوق النبي - صلى الله عليه وسلم - بين الإجلال والإخلال" ، مطباع أضواء البيان ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢٢هـ) ، ص ٩٣—٩٤ .

٣— الأمدي ، أبي الحسن : الإحکام في أصول الأحكام ، المكتب الإسلامي ، لبنان ، بيروت ، تحقيق : الشيخ عبد السر زاق عفيفي ، (١٤٠٢هـ) ، ج ١ ، ص ١٧٣ .

ثانياً : الأفعال التي علم أنها من خصائصه صلى الله عليه وسلم فهذه خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم لا يشرع لأحد متابعته فيها مثل الزيادة على أربع نسوة ، وجوب التهجد ، حرمة الأكل من الصدقة ، يقول الشوكاني : "والحق أنه لا يقتدي به صلى الله عليه وسلم فيما صرخ لنا بأنه خاص به كائناً ما كان إلا بشرع يخصنا " ^(١).

ثالثاً : الأفعال التعبدية وهي الأفعال المجردة عما سبق وإنما المقصود بها التشريع وهذه يطالب فيها المرء بالإتباع والتأسي به صلى الله عليه وسلم فيها ، إلا أن صفتها الشرعية تختلف من حيث الإيجاب أو الندب أو الإباحة بحسب القرآن .

وبعد هذا التقسيم للأفعال صلى الله عليه وسلم من حيث مشروعية الإقداء به فيها وحكمه يورد الباحث بعض الصووص التي جاء فيها الأمر من الله باتباعه صلى الله عليه وسلم والتأسي به و الأخذ بما شرعه و منها :

قوله سبحانه : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [سورة آل عمران : آية ٢١] و قوله سبحانه : ﴿ فَإِنَّمَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي أَنْذَى الْأُمَّةِ بِالْحِكْمَةِ وَكَلَّمَهُمْ وَأَنْبَعَهُمْ لَعَلَّكُمْ تَهَدُونَ ﴾ [سورة الأعراف : آية ١٥٨]

وقوله سبحانه : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب : آية ٢١]

وأخيراً فإن للإتباع منزلة عظيمة في الشريعة يكفي لبيانها - مع ما سبق - أن الإتباع شرط لقبول العبادات فلا يقبل عمل من الأعمال التعبدية إلا بالإتباع والموافقة لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد " ^(٢).

يقول الحسن البصري : " لا يصح القول إلا بعمل ، و لا يصح قول و عمل إلا بنية ، و لا يصح قول و عمل و نية إلا بالسنة " ^(٣).

١- الشوكاني ، محمد بن علي : إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول ، موسسة الكتب الثقافية ، ط٢ ، لبنان ، بيروت ، تحقيق : أبي مصعب محمد سعيد البدرى ، (١٤١٣هـ) ، ص ٧٣ .

٢- اليسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ج ١٧١٨ ، ص ٧١٤ .

٣- الالكائ ، هبة الله بن الحسن بن منصور الطبرى : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، تحقيق : أحمد سعد الغامدى ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ج ١ ، ص ٥٧ .

ثم ليعلم أن الإتباع لا يتحقق إلا إذا كان العمل موافقاً للشرع في ستة أمور هي :

السبب ، والجنس ، والقدر ، والكيفية ، والزمان ، والمكان ، وذلك على نحو التالي^(١) :

١— السبب : قد تكون العبادة مشروعة مثل قيام الليل ، ولكن السبب غير مشروع مثل إحياء ليلة السابع والعشرين من رجب بدعوى أنها ليلة الإسراء والمعراج ، فيكون إحياء هذه الليلة بالقيام غير مشروع وبدعة من أجل هذا السبب غير المشروع .

٢— الجنس : الأضحية عبادة مشروعة وتكون من جنس هيمة الأنعام ، فلو ضحى إنسان بغزال لم تقبل منه وكان عمله بدعة لأنها خالف الشريعة في الجنس .

٣— القدر : صلاة الفجر عبادة مشروعة ولو أراد إنسان أن يزيد فيها ركعة لكان ذلك العمل بدعة مردودة عليه لأنها خالف الشرع في العدد والقدر .

٤— الكيفية : الوضوء عبادة من العبادات صفتها الشرعية معلومة ولو قام إنسان بتكييسه لعد ذلك بدعة لمخالفته الكيفية الشرعية .

٥— الزمان : بعض العبادات لها زمان مشروع محدد مثل الوقوف بعرفة ولو وقف حاج يوم الثامن بعرفة بدلاً عن اليوم التاسع من ذي الحجة لكان عمله غير مشروع لمخالفته في الزمان المشروع .

٦— المكان : هناك عبادات لها أماكن مشروعة محددة ، مثل الاعتكاف مكانه المسجد ، ولو اعتكف شخص في بيته لعد عمله بدعة مردودة ، لمخالفته الشرع في المكان . فإذا احتل أحد هذه الأمور الستة فيكون العمل غير مشروع ؛ لذا وجب الاعتقاء بها ليكون عمل المرأة موافقاً للشرع ، محققاً للمتابعة ، مجتنباً للبدعة ولمخالفته .

١— العثيمين ، محمد بن صالح : الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع ، دار الوطن ، ط٢ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (د.ت) ، ص ٢٠ — ٢٣ .

التطبيقات التربوية

لم يوجد جيل عرف للنبي صلى الله عليه وسلم مكانته الرفيعة وقام له بما تقتضيه هذه المكانة من جيل الصحابة فقد ضربوا أروع الأمثلة في توقيره ومعرفة قدره ورفعه مكانته صلى الله عليه وسلم وكان لهم في هذا المجال النصيب الأولي^(١) ، ومن أبلغ ما يصور هذا الأمر ما جاء عن عروة بن مسعود — رضي الله عنه — حين بعثه قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يفاوضه في صلح الحديبية فرأى من تعظيم الصحابة للرسول صلى الله عليه وسلم ما رأى فلما رجع إلى قريش وصف ذلك قائلاً : " أي قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله إن رأيت ملكاً قط يعظم أصحابه ما يعظم أصحاب محمدٍ مهماً ، والله إن تنخم نحاماً إلا وقعت في كف رجلٍ منهم فذلك بها وجهه وجده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضاً كادوا يقتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له " ^(٢) .

وما يصور ذلك كذلك ما جاء عن أبي سفيان — رضي الله عنه — حين بعثه قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة ليشدّ في عقد صلح الحديبية ويزيد في المدة فحينما رجع إلى مكة قالت له قريش : " ما وراءك هل جئت بكتاب من محمد أو عهد ؟ قال : لا والله قد أبى علي وقد تبعت أصحابه فما رأيت قوماً ملوك عليهم أطوع منهم له " ^(٣) .

فهاتان صورتان تبيان حال الصحابة وما كانوا عليه من تعظيم وتوقير للنبي صلى الله عليه وسلم ذلك التوقير والتعظيم المبني على معرفتهم بعلو قدره ورفعه مكانته صلى الله عليه وسلم . فكيف يتحقق المسلمون في هذا العصر وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم ما حققه الصحابة في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حياته من تطبيق لما

١— انظر : التبعي : مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٤٤٧ – ٤٦١ .

٢— البخاري : " صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ح ٢٧٣١ ، ٢٧٣٢ ، ص ٥٢٢ .

٣— ابن كثير ، أبي الفداء اسماعيل : البداية والنهاية ، مكتبة المعرف ، ط ٤ ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠١ هـ) ، ج ٤ ، ص ٢٨٢ .

تقضيه رفعة مكانته صلى الله عليه وسلم وعظم قدره؛ لتحقيق ذلك يذكر الباحث طرفاً من المظاهر التطبيقية ليعمل كل مربٍ على تطبيقها في نفسه ومن ثم يربى عليها غيره من هو تحته فيري عليها الأب أبناءه وأهل بيته والمدرس تلاميذه والداعية مدعويه، ومن هذه الجوانب ما يلي :

١. تجريد متابعته والتآسي به .

يقول سبحانه : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكْرَ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب : آية ٢١] ؛ يقول ابن كثير : "هذه الآية الكريمة أصل كبير في التآسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله" ^(١) ؛ وفي هذا تجريد لمتابعته صلى الله عليه وسلم والتآسي به ظاهراً وباطناً ، " فلا اعتقاد ولا عبادة ، ولا معاملة ولا خلق ولا أدب ولا نظام اجتماعي ولا اقتصادي أو سياسي إلا عن طريقه ، وعلى وفق ما جاء من أحكام وتعاليم " ^(٢) .

هذا هو حال المسلم الصادق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢. سلوك الأدب معه صلى الله عليه وسلم .

إن من تعظيم المسلم لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يتأنب معه **بـالأدب الكامل** ويتحقق ذلك بأمور منها ^(٣) :

أ — الشاء عليه صلى الله عليه وسلم بما هو أهله والإكثار من ذكره ، وأبلغ ذلك وأفضله : الصلاة والسلام عليه ؛ لأمر الله — عز وجل — وتوكيده : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلِّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَتَّبِعُهَا الْمُؤْمِنُونَ إِذَا صَلَوُا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب : آية ٥٦] ، والصلاحة مشروعة في عبادات كثيرة كالتشهد ، والخطبة ، وصلاة الجنائز ، وبعد الأذان ، وعند الدعاء وغيرها من المواطن ^(٤) .

١- ابن كثير : "تفسير القرآن العظيم" ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٤٨٣ .

٢- العدلاني : مرجع سابق ، ص ١١٦ .

٣- انظر : الحسن ، عبداللطيف بن محمد : "حبة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه" ، كتاب المدى ٣٥ ، حقوق النبي صلى الله عليه وسلم بين الإجلال والإخلال ، مطباع أضواء البيان ، ط ١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٤٢٢هـ ، ص ٧٤ .

٤- انظر : ابن القيم ، محمد بن أبي بكر : حلاوة الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام ، دار العروبة ، ط ٢ ، الكويت ، تحقيق : شعب الأنوار وعبد القادر الأنواروط ، ١٤٠٧هـ ، ص ٣٢٧ - ٤٤٣ .

ب - التأدب عند ذكره صلى الله عليه وسلم وذلك بأن لا يذكر باسمه مجرداً، بل يوصف بالنبوة أو الرسالة فلا يقال : محمد ، ولكن : نبي الله ، أو الرسول ، ونحو ذلك ، ثم يتبع بالصلوة والسلام عليه لقوله صلى الله عليه وسلم : " البخيل ؛ الذي من ذكرت عنده فلم يصل علي " ^(١) .

ج - الأدب في مسجده ، وكذا عند قبره ، وترك الللغط ورفع الصوت ، فعن السائب بن يزيد قال : " كنت قائماً في المسجد ، فحصبني رجل ، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب فقال : اذهب فائتنى بهذين ، فجئته بهما ، قال : من أنتما ، أو من أين أنتما ؟ قالا : من أهل الطائف ، قال : لو كتما من أهل البلد لأوجعكم ، ترفعان أصواتكم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم " ^(٢) .

د - حفظ حرمة بلده المدينة النبوية وتعظيمها ، والمقصود من تعظيم المدينة هو تعظيم حرمها ، وهذا أمر واجب في حق من سكن بها أو دخل فيها ، مع ما يجب على ساكنيها من مراعاة حق المجاورة وحسن التأدب فيها ؛ وذلك لما لها من المنزلة والمكانة عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وسلم " ^(٣) .

ه - توقير حديثه ، والتأدب عند سماعه ومدارسته . قال أبو سلمة الخزاعي : " كان مالك بن أنس إذا أراد أن يخرج يحدث ؛ توضأ وضوءه للصلوة ، ولبس أحسن ثيابه ، ولبس قلنوسة ، ومشط لحيته ! فقيل له في ذلك ، فقال : أوقر به حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " ^(٤) . وقال ابن أبي الزناد : كان سعيد بن المسيب - وهو مريض - يقول : " أقعدوني ؛ فإني أعظم أن أحدث حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع " ^(٥) .

١ - الترمذى : مرجع سابق ، ح ٣٥٤٦ ، ص ٥٥٧ ؛ وصححه الألبانى : " صحيح سنن الترمذى " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ح ٣٥٤٦ ، ص ٤٥٨ .

٢ - البخارى : " صحيح البخارى " ، مرجع سابق ، ح ٤٧٠ ، ص ١١١ .

٣ - التسمى : مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٤٩٣ .

٤ - الخطيب ، أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت : الجامع لأخلاق الرواى وآداب السامع ، ط ١ ، لبنان ، بيروت ، (١٤١٧ هـ) ، ص ٢١٢ .

٥ - المراجع السابق ، ص ٢٢٥ .

٣— الذب عنه صلى الله عليه وسلم وذلك يقتضي أمور منها :

أ— الذب عن شخصه الكريم ضد أعداء الدين من مستشرقين وغيرهم من يتكلّم في شخصه الكريم ويطعن فيه فإن هذا من أعظم واجباته ومن الزم ما تقتضيه رفعة مكانته عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وما سمي الأنصار أنصاراً إلا لنصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل الله نصر رسوله والدفاع عنه من علامات الصدق في الدين فكانت من أولى صفات المهاجرين يقول سبحانه : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيْرِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْصَّابِدُونَ﴾

[سورة الحشر : آية ٨] .

ب— الذب عن سنته ونشرها في العالمين . والذب عن السنة يقتضي أموراً منها : حفظها وتنقيحها ، وحمايتها من انتحال المبطلين وتحريف الضالين وتأويل الجاهلين ، ورد شبهات الزنادقة والعلمانيين وغيرهم من الطاعنين في سنة سيد المرسلين — صلى الله عليه وسلم — وبيان أكاذيبهم . ومن الذب عن سنته كذلك : الرد على شبهات المستهزئين بما ثبت من هديه في القول أو الفعل أو الاعتقاد ، كاستهزاء بعضهم بالحجاب ، أو باللحية ، أو بالسواك ونحوها . والاستهزاء بالسنة الصحيحة الثابتة من نواظر الدين ، يقول رب العالمين : ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَإِيَّاهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهِزُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرُتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَآئِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [سورة التوبه : آية ٦٥ - ٦٦] .

ومن الذب عن سنته نشرها وتبلیغها وتعليمها للناس أجمعين فإن في ذلك إعلاه لها ، وإماتة للبدع والضلالات المخالفة لها .

ج— الذب عن زوجاته وآلته الطبيين .

إن من الذب عن النبي صلى الله عليه وسلم الذب عن عرضه وعرض زوجاته الطاهرات المطهرات والقيام لهن بحقهن من التعظيم والإجلال ونشر فضائلهن وما قمن به من دور في مؤازرة النبي صلى الله عليه وسلم ونصره في حياته ومن حفظ للدين ونشره

بعد وفاته وتربى على ذلك زوجاتنا وبناتها ليكون لهن في زواجهاته صلى الله عليه وسلم الأسوة والقدوة .

كما أن من الذب عنه صلى الله عليه وسلم الذب عن آله الطيبين فتلوك وصاته للناس أجمعين حين قال : " وأهل بيتي أذكريكم الله في أهل بيتي ، أذكريكم الله في أهل بيتي ، أذكريكم الله في أهل بيتي " ^(١) .

يقول ابن كثير : " ولا تُنكِر الوصاة بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخرأ وحسباً ونسباً ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجليلة كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وعلي وأهل بيته وذريته رضي الله عنهم أجمعين " ^(٢) .

د — الذب عن صاحبته الكرام رضوان الله عليهم وحسن الثناء عليهم ، والاستغفار لهم ، والإمساك عما شجر بينهم من خلاف ، والإضراب عن أخبار المؤرخين ، وجهلة الرواية وضلال الشيعة والمبتدعين ، القادحة في أحد منهم ، والتماس أحسن التأويلات فيما نقل مما كان بينهم من الفتن وتخريجها أصوب المخارج إذ هم أهل لذلك ^(٣) فالواجب لهم ذكر فضائلهم ومحبتهم والترضي عنهم والاهتداء بهم وبسيرتهم وتربيتهم على ذلك .

هذه بعض المظاهر التطبيقية الدالة على رفعة مكانته صلى الله عليه وسلم في نفوس المؤمنين وغيرها كثير ، فعلى كل مسلم صادق أن يحقق ذلك في نفسه ، وعلى كل مسرب فاضل أن يربي النساء عليها بالوسائل التربوية المختلفة لينشئوا وهم لرسوهم محبين وعلى سنته سائرين ولرفعة مكانته معظمين فإن ذلك من أصول الدين .

١— النيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ج ٢٤٠٨ ، ص ٩٨٠ .

٢— ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ١٢٢ .

٣— البحصي ، القاضي أبي الفضل عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، (١٣٩٩هـ) ج ٢ ، ص ٥٢—٥٣ .

المحور الثاني : الكفارات في الشريعة

مدخل :

جاءت الشريعة الإسلامية لتركيّة النّفوس البشرية ، وتخليصها من قيود الذّنوب والمعاصي ؛ فنهت عن المخظورات والمعاصي ، وحدّرت من الّوقوع فيها ، وأنذرت فاعليّها بعقوبة الآخرة بصور مختلّفة تبعث في نفوس المؤمنين شدّة الخوف من الإقدام على شئ منها ، ولكن ما كان الخطأ من طبيعة البشر " كل ابن آدم خطاء " ^(١)؛ لطف الله بعثاده ، وسلهم برحمته ، ففتح لهم أبواباً كثيرة يكون لهم فيها المخرج مما يقعون فيه من الأخطاء من أوسعها باب التوبة " وخير الخطائين التوابون " ^(٢) ، ومن هذه الأبواب الاستغفار ، ومنها الكفارات .

فالكفارات في الشريعة من الأبواب العظيمة التي تفضل الله بها على عباده الخاطئين، ليزيل عنهم درن الذّنوب والمعاصي ؛ فيصبحوا من عباده الطاهرين ، يقول الحميد في حديثه عن عقوبة الكفارات : "من لطف الله بعثاده ورحمته بهم أن جعل لهم عقوبات أديمة تعبدية تعينهم على تكثير ما اقترفوه من ذنوب عظيمة في هذه الحياة .. فشرع سبحانه لبعض الجرائم هذه الكفارات مع العقوبة في بعضها .. والاكتفاء بها وحدها في البعض الآخر " ^(٣) .

والحديث في هذا المحور سيكون عن المضمون التربوي للكفارات في الشريعة من خلال كفاررة الظهار الواردة في السورة موضوع الدراسة . نسأل الله التوفيق والسداد .

٢٠١— الألباني : " صحيح الترغيب والترهيب " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ح ٣١٣٩ ، ص ٢١٦ .

٢٠٣— الحميد ، عبدالله بن سالم : الشريع الخاتمي الإسلامي ، طويق للخدمات الإعلامية والنشر والتوزيع ، ط٤ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٣هـ) ، ص ١٢٧ .

يقول تعالى في مطلع سورة المجادلة :

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ① الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنِ نِسَاءٍ هُمْ أَمَهَتُهُمْ إِنَّ أَمَهَتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدَنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكِرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ ② وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنِ النِّسَاءِ هُمْ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ ذَلِكُمْ تُوعَذُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ حَسِيرٌ ③ فَسَنَ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ④ وَتَلَكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكُفَّارِيْنَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ⑤ ﴾ [سورة المجادلة : آية ٤-١]

ذكر الله — سبحانه — في هذه الآيات الظهور وحكمه وكفارته ، وقد تقدم في

الفصل الثاني^(١) بيان سبب نزول هذه الآيات والذي ملخصه :

أن أوس ابن الصامت ظاهر من زوجته بقوله : " أنت على كظهر أمي " ، وكان يُعد هذا تحريراً أو طلاقاً للمرأة في الجاهلية ، فهرعت خولة بنت ثعلبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم لعلها تجد عنده الخلل لما وقع بها ، ولم يكن قد أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم في الظهور شيئاً ، فقال لها لا أراك إلا قد حرمتك عليه ، فما زالت تحاوره وتراجعه في ذلك ، وتشتكى إلى الله ما وقع بها حتى أنزل الله هذه الآيات التي بين فيها حكم الظهور وكفارته .

من التوجيهات التربوية للآيات :

١— سعة سمعه وبصره — سبحانه وتعالى — وأنه على الحقيقة ، يقول ابن القيم : " فلا يشك صحيح الفهم البتة في هذا الخطاب أنه نص صريح لا يتحمل التأويل بوجه في إثبات صفة السمع للرب تعالى حقيقة وأنه بنفسه سمع "^(٢) . وفي هذا تقول عائشة : " الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ، لقد جاءت المحاجدة تشكو إلى رسول الله صلى الله عليه

١- انظر : الفصل الثاني ص ١٥ .

٢- ابن القيم ، محمد بن أبي بكر : بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية ، الدمام ، جمعه ووثق نصوصه وخرج أحاديثه : يسري السيد محمد ، (د.ت) ، ج ٤ ، ٣٩٥ .

وسلم ، وأنا في ناحية من البيت ما أسع ما تقول ، فأنزل الله عز وجل " قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها " ^(١) .

وفي هذا تربية للنفس على مراقبة الله — سبحانه وتعالى — في السر والعلن وتقدير بسط هذه المسألة عند الحديث عن معية الله لعباده في الفصل الثالث ^(٢) .

٢— رعايته الخاصة — سبحانه وتعالى — لعباده المؤمنين وعناته بهم والتي تمثل في إجابته لهذه المرأة الفقيرة — خولة بنت ثعلبة — ، يقول السعدي في حديثه عن أحكام هذه الآيات ومنها : " لطف الله بعباده ، واعتناؤه بهم ، حيث ذكر شکوى هذه المرأة المصابة ، وأزالتها ، ورفع عنها البلوى ، بل رفع البلوى بحكمه العام عن كل مبتلى بمثل هذه القضية " ^(٣) .

٣— الرفع من شأن المرأة وحفظ حقوقها ويتمثل ذلك في شرع هذه الأحكام لحفظ كيان الأسرة من أحكام الجاهلية المضطهدة للمرأة والتي منها الظهار ^(٤) .

٤— إبطال وتحريم الظهار — وهو قول الرجل لزوجته : أنت على كظهر أمي أو غيرها من الألفاظ مما يأخذ حكمها مما فصله الفقهاء في كتبهم — وبيان أنه قائم على غير أصل فإنه من منكر القول وزوره .

٥— بيان كفارة الظهار وهي على الترتيب كما ذكرت في الآيات الإعتاق فالصيام فالإطعام .

٦— الوقوف عند حدود الله والتزام أحكامه والعمل بها من الإيمان ، وتعدي حدوده والعمل على خلاف أحكامه من الكفران .

١— البخاري : مراجع سابق ، تعليقاً بصيغة الجزم باب قوله تعالى : (وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيرَاً) [النساء : ١٣٤] ، ص ١٤٠٨ ، ووصله وصححه : ابن حجر ، أحمد بن علي : تغليق التعليق على صحيح البخاري ، المكتب الإسلامي ، ط١ ، لبنان ، بيروت ، (١٤١٥ هـ—) ، ج ٥ ، ص ٣٣٨ .

٢— أنظر : الفصل الثالث ص ٤١ .

٣— السعدي : مراجع سابق ، ص ٧٨٤ .

٤— عرض : مراجع سابق ، ص ٨٤—٩٠ .

هذه جملة من التوجيهات التربوية تضمنتها الآيات ، ويمكن بيان المضمون التربوي للكافارات في الشريعة والتي يمثلها في هذه السورة كفارة الظهار على النحو التالي :

أولاً : تعريف الكفارة التعريف اللغوي :

الكافارة في اللغة : مأخوذه من الكفر و معناه : الستر والتغطية .. و الكافر الليل المظلم ، لأنّه يغطي بظلمته كل شيء ، وكل شيء غطى شيئاً فقد كفره . قال ابن السكيت : ومنه سمي الكافر لأنّه يستر نعم الله عليه ، والكافر الزراع ، لأنّه يستر الحب ، وتکفير اليمين فعل ما يجب بالخت فيها ، والاسم الكفارة^(١) . فالكافارة : بالتشديد : ما كُفِرَ به من صدقة وصوم ، ونحوهما ، كأنّ هذا المُكْفَرُ غطى ما ارتكبه بهذه الكفارة لأنّها تکفر الذنوب أي تسترها^(٢) .

تعريف الكفارة في الاصطلاح الشرعي :

يعرف أهل التفسير الكفارة في الاصطلاح الشرعي بمدلولها اللغوي فمن ذلك قول

أبو حيان :

" الكفارة الفعلة التي من شأنها أن تکفر الخطيئة أي تسترها "^(٣) .

ويقول الألوسي :

" هي الفعلة التي من شأنها أن تکفر الخطيئة وتسترها ، المراد بالستر الخ لأن المحو لا يُرى كالمستور "^(٤) .

ويعرفها رضا في الاصطلاح الشرعي بأنّها :

" اسم لأعمال تکفر الذنوب والمؤاخذات أي تغطيها وتخفيها حتى لا يكون لها أثر يؤخذ بها في الدنيا ولا في الآخرة "^(٥) .

١- الأزدي ، محمد : مرجع سابق ، ص ص ٥٧٣ - ٣٧٤ .

٢- ابن منظور : مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ص ٤٦٢ - ٤٦٤ ؛ الأزهري ، محمد بن أحمد : قذيب اللغة ، مطابع سجل العرب ، مصر ، القاهرة ، تحقيق : علي حسن هلالي ، (د.ت) ، ج ١٠ ، ص ٢٠٠ .

٣- أبو حيان ، أثير الدين محمد بن يوسف : التفسير الكبير المسيحي بالبحر المحيط ، دار إحياء التراث العربي ، ط ٢ ، لبنان ، بيروت ، (١٤١١هـ -) ، ج ٤ ، ص ١٠ .

٤- الألوسي : مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ١٠ .

٥- رضا ، محمد رشيد : تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المثار ، دار المعرفة ، ط ٢ ، لبنان ، بيروت ، (د.ت) ، ج ٧ ، ص ٣٦ .

فمن التعريفات السابقة يتضح أن المعنى الاصطلاحي للكفارة عبارة عن المدلول اللغوي لها . ولا يضيق هذا المعنى إلا إذا أردنا بالمعنى الاصطلاحي المعنى الفقهي للكفارة فهنا تظهر بعض الحدود التي تضيق المعنى اللغوي للكفارة ، فهذا النووي يرى أن الكفارة في الاصطلاح الشرعي :

" تستعمل فيما وجد فيه صورة مخالفة أو انتهاك ، وإن لم يكن إنماً كمن قتل خطأً وغيره "^(١) . ويعلق المطري على هذا التعريف بأن مقصود النووي : بعض ما وجد فيه مخالفة أو انتهاك وليس كل ما فيه مخالفة أو انتهاك فيه كفارة ^(٢) . ويعرف أحد الباحثين الكفارة في الاصطلاح الفقهي بقوله : " اسم لأشياء مخصوصة طلبها الشارع عند ارتكاب مخالفات معينة " ^(٣) .

ثانياً : أنواع الكفارات

من خلال الأخذ بالتعريف اللغوي للكفارة وكذلك ما ذكر من حدود في التعريفات الاصطلاحية وبالنظر في النصوص الشرعية يمكن القول أن الكفارات تتسع إلى ثلاثة أنواع ^(٤) :

النوع الأول :

ما يقوم به المسلم من فرائض ونواقل من مختلف أنواع العبادات وقد جاءت النصوص دالة على ذلك ومنها : قوله صلى الله عليه وسلم : " ألا أدلكم على ما يُكفرُ الله به الخطايا ويزيد به في الحسنات ؟ قالوا بلى يا رسول الله ! قال: إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطأ إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة " ^(٥) .

١- النووي ، محى الدين بن شرف : المجموع شرح المذهب ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، (د.ت) ، ج ٦ ، ص ٣٣٣ .

٢- المطري ، رجا عابد : الكافارات في الفقه الإسلامي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الإسلامية ، المملكة العربية السعودية ، المدينة المنورة ، شعبة الفقه ، (١٤٠٥هـ) ، ج ١ ، ص ٣ .

٣- فرج ، محمود إبراهيم : بحث مقارن في الكفارة ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، جامعة الأزهر ، مصر ، القاهرة ، كلية الشريعة والقانون ، (١٣٩١هـ) ، ص ٢٣ .

٤- انظر : المطري : مراجع سابق ، ص ٤ .

٥- ابن ماجه : مراجع سابق ، ح ٤٢٧ ، ص ٦٠ ؛ والحديث: حسن صحيح قاله الألباني : " صحيح سنن ابن ماجه " ، مراجع سابق ، ح ٣٤٢ ، ص ٧٢ .

— ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : "الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، مكفرات ما بينهن إذا اجتبست الكبائر " ^(١) .

— ومنه كذلك قوله صلى الله عليه وسلم : "العمرة إلى العمرة تکفر ما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة " ^(٢) .

— ومن هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم : "من قال سبحان الله وبحمده في يومٍ مائة مرة حطت خطایاه ، وإن كانت مثل زبد البحر" ^(٣) .

والنصوص في هذا النوع من الكفارات كثيرة جداً كلها تفيض تکفير السیئات وزيادة الدرجات من : طلب العلم ، وحضور مجالسه ، وإطعام الطعام ، ومساعدة الحاجين والسماحة في البيع والشراء إلى غير ذلك مما يبين أن القيام بالفراص والتوافل تکفير لما يقع من الإنسان من خطایا وسیئات ، فما أحوج المربين لفقہ هذه المسألة والعمل بها وتربيۃ النشء على فقهها والعمل بها لتزکیۃ النفوس وتطهیرها من الذنوب والمعاصي والآثام .

النوع الثاني :

ما يقع على المؤمن من البلایا والمصائب سواءً كان ذلك في نفسه أو أهله أو ماله وقد دلت على ذلك النصوص فمنها : قوله صلى الله عليه وسلم : "ما من مرض أو وجع يصيب المؤمن إلا كان کفارة لذنبه حتى الشوکة يشاكھا أو النکبة ينكبھا" ^(٤) .

— ومنها كذلك قوله صلى الله عليه وسلم : "ما يصيب المسلم من نصب ولا

١- النيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ٢٢٣ ، ص ١٢٢ .

٢- الترمذی : مرجع سابق ، ح ٩٣٣ ، ص ١٧٠ ؛ وصحیح الألبانی : "صحيح سنن الترمذی" ، مرجع سابق : ج ١ ، ح ٩٣٣ ، ص ٤٧٨ .

٣- البخاری : مرجع سابق ، ح ٦٤٠٥ ، ص ١٢٣٠ .

• النکبة ينكبھا : ما يصيب الإنسان من الحوادث ؟ انظر : ابن الأثير : مرجع سابق ج ٥ ، ص ١١٣ .

٤- ابن حنبل : مرجع سابق ، ج ٨ ، ح ٢٥٨٥٢ ، ص ٣١٢ .

وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم ، حتى الشوككة يشاكلها إلا كفر الله بما من خطاياه ^(١) .

— ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : "ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وما له حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة" ^(٢) .

— وكذلك يدخل في هذا الباب إقامة الحدود ، يقول صلى الله عليه وسلم : "بَايَعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا ، وَلَا تُسْرِقُوا ، وَلَا تُزَرِّنُوا ، وَلَا تُقْتَلُوا أُولَادَكُمْ ، وَلَا تُأْتُوا بِهَتَانٍ تُفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ ، وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ ، فَمَنْ وَفَى مَنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوْقَبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَارَةً لَهُ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ" ^(٣) .

وغير هذا من النصوص كثيرة كلها تدل على أن ما يصيب العبد المؤمن من الأمراض والهموم ومختلف المصائب بل حتى الحدود مكفرات لسيئاته ، فما أعظمه من منهج تربوي يشيع في النفس الصبر والرضا فلا تتزعج بما يحل بها من البلایا والمصائب طالت أم قصرت فكل ذلك خير له فعلى كل مرب أن يلحظ هذا الملحظ فهو من أعظم ما يعين على الصبر والرضا بالقضاء والقدر .

النوع الثالث :

كفارات خاصة ، وهذه الكفارات هي محل بحث الفقهاء حيث تكون في أفعال مخصوصة بخصال محددة وتشمل : كفارة الظهور ، كفارة الأيمان ، كفارة القتل ، كفارة الوطء في نهار رمضان ، كفارة الوطء في الحيض .

ومن الكفارات التي تذكر في هذا الباب أيضاً ما يتعلق بالمناسك : من ترك نسك أو ارتكاب محظور ، وكذلك منها ما يتعلق بالحرم من قطع شجره واصطياد صيده ومنها ما يتعلق بالصوم من كفارة الحامل والمرضع والهرم وتأخير القضاء .

?الوصب : دوام الوجع وإنومه / النصب : التعب ؛ انظر : ابن الأثير : مرجع سابق ج ٥ ، ص ١٩٠ .

١— البخاري : مرجع سابق ، ح ٥٦٤٢ ، ٥٦٤١ ، ص ١١٠٩ .

٢— الترمذى : مرجع سابق ، ح ٢٣٩٩ ، ص ٣٩٣ ؛ والحديث حسن صحيح قاله : الألبانى : "صحيح سنن الترمذى" ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ح ٢٣٩٩ ، ص ٥٦٥ .

٣— البخاري : مرجع سابق ، ح ١٨٧ ، ص ٢٧ .

فهذه جملة من الكفارات الخاصة وهي محل بحث الفقهاء . وهي المقصودة إذا أطلق لفظ الكفارات وأريد به المصطلح الفقهي .
والملاحظ أن جهل الناس وخاصة العامة منهم بمسائل الكفارات الفقهية كبير جداً ، فوجب على العلماء وظيفة العلم والدعاة أن يقوموا بواجبهم في مثل هذا الأمر من تبصير الناس بأمور دينهم بأسلوب مبسط يفهمه العامة ليتمكنوا من إقامة شرع ربهم على نور وبصيرة ، ويُبين الباحث هنا أربع أنواع من الكفارات الفقهية مما يحتاج إليه الناس في حيالهم وهي :

١— كفارة اليمين : إطعام عشرة مساكين أوكسوهم أو عتق رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام . كما قال تعالى : ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَا يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُهُمْ إِطَاعَمُ عَشَرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيَكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصَيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ [سورة المائدة : آية ٨٩] .

٢— كفارة الظهور : عتق رقبة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين فمن لم يستطع إطعام ستين مسكيناً . كما قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُظْهِرُونَ مِنْ نِسَاءِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَ ذَلِكُمْ تُوعَذُوْرَتِ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصَيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ إِطَاعَمُ سَتِينَ مَسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَلَكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ [سورة الجادلة : آية ٣-٤] .

٣— كفارة الجماع في نهار رمضان : نفس كفارة الظهور السابقة : عتق رقبة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين فمن لم يستطع إطعام ستين مسكيناً . فعن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال : " بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل فقال : يا رسول الله ، هلكت . قال : مالك . قال : وقعت على امرأة وأنا صائم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل تجد رقبة تعتقدها ؟ قال : لا . قال : فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ قال : لا . فقال : فهل تجد إطعام ستين مسكيناً ؟ قال : لا . قال : فمكث النبي صلى الله عليه وسلم . فبياناً نحن على ذلك أتي النبي صلى الله عليه وسلم

بِعَرَقٍ فِيهَا تُمْرٌ ، وَالْعَرَقُ الْكَتَلُ ، قَالَ : أَينَ السَّائِلُ ؟ فَقَالَ : أَنَا . قَالَ : خَذْهَا فَتَصَدِّقْ بِهِ . فَقَالَ الرَّجُلُ : أَعْلَى أَفْقَرِ مَنِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لَابْتِيهَا ، يُوَيْدُ الْحَرَتَيْنِ ، أَهْلَ بَيْتِ أَفْقَرِ مَنِ أَهْلَ بَيْتِي . فَضَحِّكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ ثُمَّ قَالَ : أَطْعَمْهُ أَهْلَكَ^(١) .

٤— كفارة قتل الخطأ : عتق رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين . كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطًئًا وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطًئًا فَتَخْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدِّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَخْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيقَاتٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَخْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصَيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [سورة النساء: آية ٩٢] ^(٢) .

ثالثاً : الآثار التربوية للكفارات

إن الله — سبحانه وتعالى — العليم الحكيم ما شرع حكماً من الأحكام إلا حكمة، والمتأمل لحكمة تشريع الكفارات يجد لها مجموعة من الآثار التربوية والتي يمكن أن نقسمها إلى قسمين :

- ١— آثار تربوية من الناحية النفسية .
- ٢— آثار تربوية من الناحية الاجتماعية .

الآثار التربوية للكفارات من الناحية النفسية :

الكافارات في التربية الإسلامية لها مدلولها العجيب وآثارها في نفسية المُكْفَر وصلاحه وتظهر الآثار في الأمور التالية :

أ. تقويم الغرائز :

لما كانت بعض النفوس البشرية قد يغلب عليها — بحكم فطرتها — دواعي الشهوة والغضب فستعمد ما حد الشرع لها؛ اقتضت حكمـة الله — سبحانه

١— البخاري : " صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ح ١٩٣٦ ، ص ٣٦٧ ؛ النسابرلي ، مسلم : مرجع سابق ، ح ١١١١ ، ص ٤٣٠ .

٢— انظر : الجار الله ، عبدالله بن جار الله : إنجاف الأمة بفوائد مهمة ، مكتبة دار السلام ، ط ١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٢هـ) ، ص ٢٧ .

وتعالى — أن يشرع هذه النفوس في دار الدنيا ما هو كفيل بمقوعها فكان تشريع الكفارات صدى لما جاءت به الشريعة الإسلامية من تقويم الغرائز الإنسانية في سلوكها ^(١).

بـ . تزكية للنفوس وراحة القلوب [الجبر] :

إن العبد المؤمن عندما يقع فيما يوجب الكفاراة سرعان ما يندم ويشعر أنه قد ارتكب أمراً يقل كاشه وأحدث زلة تجاه ربه ^(٢) وهذا ما يصوّره النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : " إن المؤمن يرى ذنبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه " ^(٣) .

وفي هذه الحال لا شيء أحب إليه من شيء يزيل هذا الذنب ومحوه ليعود طيباً مطمئناً القلب ، فكانت الكفارات علاجاً له تبعث فيه الرجاء بعد أن خضع لغرائزه فجاوز حدود الله فلا يستسلم لل Yas أو يعيش في هجير من لفح الشعور بالخطيئة ^(٤) .

جـ . الزجر والردع :

إن الله — سبحانه وتعالى — وعد وأوعد ورغم ورهب وأبان طريق الخير وطريق الشر ولكن لما كان الترهيب القولي قد لا يكفي رغم جلال قدره وعظيم تأثيره ، وذلك لأن هناك نفوساً معاندة ، الضراب في عقوفهم أعمق من أن تؤثر فيه كلمات ترهيبية ، وهناك نفوس غافلة يتاثرون بالكلمات عند السماع ، فتندرف الدموع ، وتتشعر الجلد ، لكن سرعان ما يتبعثر أثر تلك الكلمات ^(٥) .
كان لا بد من ترهيب عملي لهذه النفوس يزجرها ويردعها وغيرها عن تعدي حدود الله فكان من هذا الترهيب العملي الكفارات زجراً عملياً

١ـ فرج : مرجع سابق ، ص ص ٢٥ - ٢٦ .

٢ـ عوض : مرجع سابق ، ص ١٠١ .

٣ـ البخاري : مرجع سابق ، ح ٦٣٠٨ ، ص ١٢١٣ .

٤ـ فرج : مرجع سابق ، ص ٢٧ .

٥ـ القرضاوي : يوسف : الحل الإسلامي فريضة وضرورة ، دار وهبة ، مصر ، القاهرة ، " ١٩٧٧ م " ، ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

للمُكْفِرِ وَمَنْعَالَهُ مِنَ الْعُودَةِ إِلَى مَا ارْتَكَهُ وَرَدْعًا لِغَيْرِهِ مِنَ التَّشَبُّهِ وَسُلُوكِ طَرِيقَه^(١).

٢- الآثار التربوية للكفارات من الناحية الاجتماعية :

إن الكفارات لها إسهاماتها في بناء المجتمع وإصلاحه وتظهر الآثار التربوية للكفارات من الناحية الاجتماعية من خلال النقاط التالية :

أ. المحافظة على النظام الذي تقوم عليه الجماعة :

إن مما أجمع عليه الشرائع وجوب حفظ الضرورات الخمس - الدين والنفس والسل والمال والعقل - ومن أجل ذلك فرض سبحانه وتعالى عقوبات مختلفة لحماية هذه الضرورات كالمحدود والتعزيرات والكافارات .

وبهذا تسهم الكفارات في " المحافظة على النظام الذي تقوم عليه الجماعة ، وحماية مصالح الأمة من أن يتهدها مستهترٌ وعابث " ^(٢) .

بـ. الإسهام في القضاء على مشكلة الرق :

عندما جاء الإسلام كان الرق نظاماً معترفاً به في جميع أرجاء العالم آنذاك " بل كان عملية اقتصادية واجتماعية لا يستنكرها أحد ، ولا يفكر في إمكان تغييرها أحد ؛ لـذا شرع الإسلام التشريعات لتحرير الأرقاء ^(٣) ، وكان من هذه التشريعات الكفارات التي كان عنق الرقبة يتتصدر جميع أنواعها ^(٤) حيث نجد أن الإسلام أوّجب على من حصل منه القتل الخطأ عتق رقبة مؤمنة ، وخير من حلف وحث أن يكفر بواحدة من ثلاث ومنها تحرير رقبة ، وأوّجب على من ظاهر من زوجته ثم عاد لها عتق رقبة ^{*} ، وأمر من ضرب

١ـ نیاز ، رقیة نصر الله محمد : الترهیب فی الدعوة فی القرآن والسنۃ ، دار اشیلیا ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢٠ھـ) ، ص ٩٣-١٤٢ .

٢ـ المطري : مرجع سابق ، ص ٢٨ .

٣ـ قطب ، محمد : شهادات حول الإسلام ، دار الشروق ، ط٤ ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠١ھـ) ، ص ٣٦ .

٤ـ الأهدل ، عبدالله أحمد قادری : المسوالية في الإسلام ، دار العمير ، ط٢ ، المملكة العربية السعودية ، جدة ، (١٤١٢ھـ) ، ص ١٥٨-١٦٤ .

* انظر أدلة هذه المسائل ص ١٠١-١٠٠ .

ملوکه فأوجعه أن يعتقد ، وجعل ذلك كفارة له وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من لطم ملوکه أو ضربه فكفارته أن يعتقد " ^(١) . فيتبين مما سبق حرص الإسلام على تحرير الإرقاء وكيف ساهمت الكفارات في هذا الجانب ، ويعلق الحميد على هذا الأمر وهو يتحدث عن عقوبة انكفارات فيقول :

وما يستدعي الانتباه ، ويلفت النظر أن تتصدر جميع هذه العقوبات " عتق الرقبة " ..
ولا بد من ميزة تمتاز به هذه العقوبة عن غيرها من العقوبات .. والذي يظهر لنا من ذلك —
والله أعلم — هو حرص الإسلام الشديد على تحرير الرقاب من قيود الرق و العبودية وخاصة
المؤمنين لأنه يشترط في أكثر الكفارات ذلك لكرامة المؤمن وجلال قدره وقيمة على سواه ..
فتشرع كفارة العتق ذو شأن عظيم ابتداء من أكبر جريمة وهي القتل إلى أصغر جريمة وهي
" الحنث " ... فالإسلام يلح في هذا المقام إلى أفضلية عتق الرقاب ، وتحرير المالك ويحث
عليه ويرغب فيه وذلك أن الإسلام دين العدالة والمساواة ، وتحرير الإمام ينطوي تحت ذلك
لأن في الرق خصوصاً شخصياً .. وأن الأرقاء مزدرون ممتهنون إذا ظلوا كذلك والإسلام لا
يريد أن يقوا كذلك دائماً .. بل يريد أن يسعدوا في الحياة ، وينطلقوا أحراضاً أعزاء مثلهم
مثل غيرهم من الأحرار الطلقاء إذ لا فرق بينهم وبين أولئك إلا بالتفوى قال تعالى: «إِنَّ
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْقَدُكُمْ» ، وقال صلى الله عليه وسلم : " لا فرق بين عربي ولا أجمي ،
ولا أسود ولا أحمر إلا بالتفوى " فهدف الإسلام من وراء هذا عميق ، ونظرته دقيقة وذات
أهداف سامية نبيلة كعادته في كل تشرعياته الحكيمة ^(٢) .

وبهذا ساهمت الكفارات في علاج مشكلة الرق أكبر مساهمة وكان لها في ذلك أكبر
الأثر .

ج. الإسهام في علاج مشكلة الفقر :

إن من أعظم المشاكل الاجتماعية في كل زمان مشكلة الفقر ، ولعلاج هذه المشكلة
" سلك الإسلام سبيل التكافل الاجتماعي بين الأسرة وبين الأمة وفي المجتمعات
الصغيرة ، وجعل لهذا التكافل منابع وطرق عديدة نذكر منها على سبيل الاستشهاد
غير محاولين الاستقصاء والاستيعاب ، الزكاة ، وزكاة الفطر ، والنفقات على الأقارب
وإحياء الموات والجزية ، والخراج ، والعشور ، والوقف والكافارات " ^(٣) ، فالكافرات في

١— النسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ١٦٥٧ ، ص ٦٨٢ .

٢— الحميد : مرجع سابق ، ص ١٢٧ .

٣— عبد العال ، عبدالعال أحمد : التكافل الاجتماعي في الإسلام ، الشركة العربية للنشر والتوزيع ، مصر ، القاهرة ، " ١٤١٨ هـ " ، ص ١١٣ .

الإسلام من طرق التكافل الاجتماعي ذلك لأن الإسلام جعل " كفاره كثير من الذنوب إطعام الفقراء والمساكين أو كسوتهم وفي ذلك نفع لهم وسد للحاجة الطارئة وجبر للخلل الاجتماعي الذي قد يكون بعد جمع الزكاة أو لعدم علم ولـي الأمر بحال أولئك الفقراء " ^(١)، وبهذا تسهم الكفارات في علاج مشكلة الفقر ويكون لها هذا الأثر الاجتماعي العظيم .

١— المرجع السابق : ص ١٤٤ ؛ وانظر : أبو زهرة ، محمد : التكافل الاجتماعي في الإسلام ، دار الفكر العربي " د . ت " ، ص ٩٨ .

التطبيقات التربوية للكفارات

إن الإسلام يتسم بنظرته الواقعية للإنسان ، فالإنسان في نظر الإسلام ليس ملكاً لا يخطئ ، وكذلك ليس شيطاناً متمراً لا يطيع ، بل الإنسان في نظر الإسلام كائن عاقل رفيع كريم ، فيه من أشواق الروح وتطلعاتها ما يرتفع به إلى علين ، وبالمقابل فيه من رغبات الجسم وأهواء النفس ما يقرنه بالمخربين من الشياطين .. فمن طبيعته التسامي والارتقاء ، ومن طبيعته كذلك السقوط والالتواء ، وقد خلق هكذا بقضاء الله الكوين ، وإرادة الله وحكمه الديني جاء منسجماً مع قصائه الكوين ، فما دامت طبيعة البشر قابلة للوقوع في الذنب والخطأ " كل ابن آدم خطاء " ^(١) ، فإن الباب لا يوصد أمامه ، وإن الرحمة لا يطرد عنها لئلا يظل في شقاء دائم وخطئات يتبع بعضها بعضاً ^(٢) . بل فتح أمامه باب تكفير الذنوب عن طريق المكريات المتعددة مما سبقت الإشارة إليه ^(٣) من أنواع المكريات وهنا يذكر الباحث طرفاً من التطبيقات التربوية لتلك الأنواع مما يعين المربيين على تحقيق المضامين التربوية للكفارات الشرعية فمن الجوانب التطبيقية ما يلي :

١. التوبة

لا شك أن التوبة من أعظم المكريات ومن هنا أمر الله بها جميع عباده المؤمنين بقوله : « وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَئِهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » [سورة النور : آية ٣١] .

وأمر بها رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم بل كان هو الأنموذج التطبيقي حيث قال صلى الله عليه وسلم :

" يا أيها الناس ، توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة " ^(٤) .

فعلى كل مرب أن يوجه من يربيه إلى التوبة باستمرار بل عليه أن يكون هو القدوة في ذلك كما جاء في هذا الحديث . والتوبة لا تقتصر على أحدٍ

١— سبق تخربيه ، ص ٩٤.

٢— العبرى ، أكرم ضياء : التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام ، دار أشبيليا ، ط ١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٧ـ) ، ص ٨٠ .

٣— انظر : أنواع المكريات ، ص ٩٨-١٠٢ .

٤— النسابوري ، مسلم : مراجع سابق ، ح ٢٧٠٢ ، ص ١٠٨٣ .

دون أحد أو فئة دون غيرها بل بباب التوبة مفتوح أمام الجميع حتى أولئك الذين أسرفوا على أنفسهم بالذنب والخطايا بل وتشمل حتى من خرج عن دائرة الإيمان وكان من أهل الكفر والعصيان يقول سبحانه : « * قُلْ يَعِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْتَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الْذُنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّاجِحُ » [سورة الزمر : آية ٥٣] ، فإن بباب التوبة مفتوح أمام الجميع ، نقل الطبرى في تفسيره عن علي بن أبي طالب أنه قال : إن هذه الآية أوسع ما في القرآن من الآيات معنى ، تسع العباد وتجبرهم وتحيى آمالهم في العودة إلى الله ، ونقل عن ابن مسعود : أنها أكثر آية فرجاً في القرآن ^(١) . والتائب موعود بتبدل السيئات حسنات فضلاً من فاطر الأرض والسموات يقول تعالى : « إِلَّا مَنْ تَابَ وَأَمْنَ . وَعَمِلَ عَمَلًا صَلِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا » [سورة الفرقان : آية ٧٠] .

وما ينبغي على المسلم في هذا الجانب تعجيز التوبة من الذنب فإن الإنسان قد يفاجئه الموت وهو لم يتتب فيتمني التوبة عندئذ بل ويعلن التوبة فلا تقبل منه ففي الحديث : " إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر " ^(٢) . الغرغرة : بلوغ الروح الحلقوم عند الموت قال تعالى : « وَلَيَسْتَ إِلَّا تَوَبَّةُ الظَّالِمِينَ يَعْمَلُونَ الْسَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرُوا حَدَّهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبَتُّ الْكُفَّارَ وَلَا الظَّالِمِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا » [سورة النساء : آية ١٨] .

والتبعة لها شروط ذكرها أهل العلم في كتبهم يقول النووي :

قال العلماء : التوبة واجبة من كل ذنب ، فإذا كانت المعصية بين العبد وبين الله

تعالى لا تتعلق بحق آدمي ، فلها ثلاثة شروط :

أحدها : أن يقلع عن المعصية .

والثاني : أن يندم على فعلها .

١- الطبرى : مرجع سابق ، ١٢٣ ، ج - ٢٤ ، ص ص ٢٠-٢١ .

٢- الترمذى : مرجع سابق ، ح ٣٥٣٧ ، ص ٥٥٦ ؛ حسنة الألبانى : " صحيح سنن الترمذى " ، مرجع سابق ، ج - ٣ ، ح ٣٥٣٧ ، ص ٤٥٤ .

والثالث : أن يزعم أن لا يعود إليها أبداً . فإن فُقدَ أحد الثلاثة لم تصح توبته . وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة : هذه الثلاثة ، وأن يبرأ من حق صاحبها ، فإن كانت مالاً أو نحوه رده إليه ، وإن كانت حدّ قذف ونحوه مكنته منه أو طلب عفوه ، وإن كانت غيبة استحلل منها^(١) .

وليعلم بعد هذا أن فتح باب التوبة في الإسلام له أهدافه السامية ومن أعظم أهدافه التربوية هو ربط أتباعه به حتى في حالات ضعفهم وانتكاسهم يبين ذلك العمري بقوله :

ولا شك أن فتح باب التوبة في الإسلام يحقق هدفاً استراتيجياً مهمّاً هو استمرار ربط الأتباع في حالات ضعفهم وارتكابهم الذنوب والمعاصي أو ترددتهم على بعض تعاليمه ، فحتى أولئك الذين بلغ بهم العداء إلى حد شهر السلاح لقتاله أو شهر القلم واللسان ضده أبقى الإسلام باب التوبة مفتوحاً أمامهم ، فرحمة الله وسعت كل شيء ، وبالطبع فإن نتيجة ذلك هو الاستمرار في الاستقطاب للأتباع وعدم اليأس من كسب الخصوم ، ففي لحظة تألق واستبصار ينفذ النور الإلهي إلى القلب فيحييه ، وعندئذ تحول السكين الموجهة للإسلام للدفاع عنه^(٢) .

فليلحظ المربون هذا الأمر فلا يأسوا من العصاة والمذنبين وليستمروا في طريق التربية مؤمنين رحمة رب العالمين .

٢. المحافظة على فرائض العبادات والإكثار من النوافل

إن المحافظة على فرائض العبادات والإكثار من نوافلها بباب من أبواب المكررات ربّي عليه النبي صلّى الله عليه وسلم أصحابه بقوله و فعله والنصوص في ذلك أكثر من أن تحصر وقد تقدم بعضها عند ذكر أنواع المكررات^(٣) ونذكر هنا جوانب يظهر فيها التطبيق لهذا الأمر فمن ذلك : ما جاء عن أبي عثمان قال : " كنت مع سلمان رضي الله

* هذا إذا لم يترتب على الاستحلال نفسه مفسدة أخرى ، وإلا فالواجب الاكتفاء بالدعاء له . الترمي : " رياض الصالحين " ، مرجع سابق ، ص ١١ ، حاشية ١ .

١— الترمي : " رياض الصالحين " ، مرجع سابق ، ص ١١ .

٢— العمري : مرجع سابق ، ص ٨٤ .

٣— انظر ص ٩٨-٩٩ .

عنه تحت شجرة ، فأخذ غصناً منها يابساً فهزه ، حتى تحات ورقه ، ثم قال : يا أبا عثمان ! ألا تسألني لِمَ أفعل هذا ؟ قلت : ولم تفعله ؟ قال : هكذا فعل بي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا معه تحت الشجرة ، فأخذ منها غصناً يابساً فهزه ، حتى تحات ورقه ، فقال : يا سلمان ! ألا تسألني لِمَ أفعل هذا ؟ " قلت : ولم تفعله ؟ قلل : " إنَّ المُسْلِمَ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوضوءَ ، ثُمَّ صَلَّى الصَّلَوةَ الْخَمْسَ ، تَحَاتَ خَطَايَاكَ كَمَا تَحَاتَ هَذَا الورقُ ، وَقَالَ : ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَقِ الْنَّهَارِ وَرُلَفًا مِنْ أَلَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَةَ يُدْهِنُ الْسَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلَّذِكْرِينَ﴾ [سورة هود : آية ١١٤] " ^(١) .

ومن الصور التطبيقية كذلك ما جاء عن معاذ بن جبل قال : " احتبس عنّا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة عن صلاة الصبح ، حتى كدنا نتراءى عين الشمس ، فخرج سريعاً ، فتّوّب بالصلاحة ، فصلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتجوّز في صلاته ، فلما سلّم ؛ دعا بصوته ، فقال لنا : " على مصافكم كما أنتم " ، ثم انفلّ إلينا ، ثم قال : " أما إين سأحدّثكم ما حبسني عنكم الغداة ؛ أتّي قمت من الليل ، فتوّضأت وصلّيت ما قدرّ لي ، فتعسّت في صلالي ، فاستقلّت ؛ فإذا أنا برّتي - تبارك وتعالى - في أحسن صورة ، فقال : يا محمد ! قلت : لَبِّيْكَ ربّ ! قال فيم يختصّ الملاّ الأعلى ؟ قلت : لا أدرّي ربّ ! قالها ثلاثة - قال - ، فرأيته وضع كفّه بين كتفيّ ، حتى وجدت بود أنامله بين ثدييّ ، فجعلّ لي كل شيء وعرفت ، فقال : يا محمد ! قلت : لَبِّيْكَ ربّ ! قال : فيم يختصّ الملاّ الأعلى ؟ قلت : في الكفارات ، قال : ما هنّ ؟ قلت : مشي الأقدام إلى الجماعات ، والجلوس في المساجد بعد الصلوّات ، وإسباغ الوضوء في المكروهات - قال - ، ثم فيم ؟ قلت : إطعام الطعام ، ولين الكلام ، والصلاحة بالليل والناس نيام ، قال : سل ، قُل : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فَعْلَ الخَيْرَاتِ ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ ، وَأَنْ تغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي ، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةَ قَوْمٍ ؛ فَتُوفِّنِي غَيْرَ مُفْتَوِنٍ ، أَسْأَلُكَ حِبَّكَ ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ ، وَحُبَّ عَمَلٍ يَقْرَبُ

١- الألباني : " صحيح الترغيب والترهيب " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ح ٣٦٣ ، ص ٢٦٨ .

إلى حبك — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — ؛ إنما حرق ؛ فادرسوها ، ثم تعلمُوها " ^(١) .

فهذا الحديث وغيرهما كثير يبينان كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى أصحابه على الحافظة على الفرائض والإكثار من النوافل وأن ذلك من أعظم المكرارات وفي هذا الأمر منهج تربوي لكل مرب في هذا الجانب .

٣. العمل بمقتضى الكفارات الفقهية في مواطنها

تقدمن أن من أنواع الكفارات : الكفارات الخاصة في الاصطلاح الفقهي ، وهي كما عرفها أحد الباحثين كما تقدم بأنها : " اسم لأشياء مخصوصة طلبها الشارع عند ارتكاب مخالفات معينة " ^(٢) ، وتقدم أن هذه الكفارات تشمل أنواع كثيرة في أبواب متعددة ^(٣) ذكرها الفقهاء في كتبهم ، ومن المؤسف أن الكثير يجهل أحكام هذه الكفارات حتى في بعض الأنواع التي يكثر وقوع المرء فيها ويحتاج إلى معرفة أحكامها مثل : كفارة اليمين فتجد كثير من الناس يظن أن كفارة اليمين على التخيير فله أن يصوم ثلاثة أيام تكفيأ ليمينه بل بعضهم يظن أن صيام ثلاثة أيام هي فقط كفارة اليمين ، لذلك وجب على كل مسلم أن يتفقه في هذه المسائل فهي أمور تعبدية توقيفية ليس للمرء أن يجتهد فيها رأيه ، كما يجب على العلماء وطلبة العلم وأئمة المساجد أن يقوموا بدورهم في مثل هذه الأمور بتبصير الناس وتفقيههم في أمور دينهم عن طريق الخطبة والمواعظ والمحاضرة والندوة مستخدمين في ذلك وسائل الإعلام المرئية والمسموعة ليؤدوا هذا الواجب المناط بهم . وعلى رب كل أسرة أن يقوم بتعليم أهل بيته في مثل هذه المسائل التي يحتاجون إليها . وكذلك على المعلم وخاصة معلم التربية الإسلامية أن يكون لديه إمام بيشل هذه المسائل ليعلمها للامذته عند حاجتهم إليها عن طريق الإذاعة المدرسية أو جماعة التوعية الإسلامية أو غيرها من الأنشطة المدرسية .

١— الترمذى : مرجع سابق ، ح ٣٢٣٥ ، ص ٥١٤ ؛ وصححه الألبانى : " صحيح سنن الترمذى " ، مرجع سابق ، ح ٣ ، ح ٣٢٣٥ ، ص ٣١٨ .

٢— فرج : مرجع سابق ، ص ٢٣ .

٣— انظر : ص ص ١٠٢—١٠٠ .

الفصل الخامس

((التوجيهات المُتضمنة في الجانب الاجتماعي))

- المحور الأول : آداب النجوى .
- المحور الثاني : آداب التحية .
- المحور الثالث : آداب المجالس .

مدخل :

لقد حرص الإسلام على توجيه أفراده إلى أكمل الآداب وأفضل الأخلاق ، ولم يترك مجالاً من مجالات الحياة دون توجيه وتربيه وإرشاد ، وهذا من تمام النعمة ، وكمال الدين الذي ذكره — سبحانه وتعالى — في قوله : ﴿الَّيْوَمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [سورة المائدة : آية ٣]

فالمسلم في جميع شؤونه ينطلق من خلال آداب شرعية تلقاها من التوجيهات الربانية من كتاب ربه الكريم ، أو سنة سيد المرسلين — صلى الله عليه وسلم — الذي لم يترك خيراً إلا دلنا عليه ، ولم يترك شرًا إلا حذرنا منه ، وقبل كل ذلك كان الأفواذ العملي لما جاء في القرآن من آداب حتى قالت عنه عائشة — رضي الله عنها — للسائل الذي سألاها عن خلقه صلى الله عليه وسلم : ألسنت تقرأ القرآن؟ فقال لها : بلـى : قالت : " فإن خلق نبـي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن " ^(١)

ومن هنا وجب على المسلم الحرص على أن يكون في جميع أموره متبـعاً لـآداب الشرعية التي لا تنفك عن جميع أموره عـبادات أو معاملات ، إقداماً أو إـحجاماً ، حريصاً على الفقه فيها ، وما تستوجهـه من حـكم شـرعي ، فـمن الآدـاب ماـهو واجـب وآخر على نقـيـضـه محـرم ، ومنـها ماـهو مستـحب ويـقـابلـه آخر مـكـروـه ، ومنـها ماـهو مـباح .

وعـلمـاء الإـسـلام لم يـترـكـوا هـذـا الـبـاب دونـ تـصـنيـفـ بلـ أـلـفـتـ فـيـه الرـسـائـلـ وـالـكـتـبـ الـكـثـيرـ لـعـلـ منـ أـشـهـرـهـ : كـتابـ الـآـدـابـ الـشـرـعـيـةـ لـابـنـ مـفـلحـ ، وـغـذـاءـ الـأـلـبـابـ لـلـسـفـارـيـنـ ، وـغـيرـهـماـ منـ الـمـصـنـفـاتـ .

والباحث في هذا الفصل سوف يقف مع المضامين التربوية لثلاثة آداب من الآداب الاجتماعية مما اشتملت عليه سورة المجادلة ، وهي : آداب النجوى ، آداب التحية ، آداب المجالس . نسأل الله التوفيق والسداد .

١— النـيـساـبـوريـ ، مـسـلـمـ : مـرـجـعـ سـابـقـ ، جـ ٧٤٦ـ ، صـ ٢٩٣ـ .

آداب النجوى

يقول تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ خَطَبَى ثَلَاثَةٌ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٌ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا أُتُّمْ يُتَبَيَّهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُمُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُمُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدُوَّانِ وَمَعَصَيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيْوَكَ بِمَا لَمْ تُخْيِكْ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلُوْهَا فَيُئْسِنَ الْمَصِيرَ ﴾ ﴿ يَتَأْمُمُ الَّذِينَ إِذَا آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَنَاجِحُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدُوَّانِ وَمَعَصَيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجِحُوا بِالْبَرِّ وَالْتَّقْوَى وَأَنَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُخَشِّرُونَ ﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ إِذَا آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارٍ لَهُمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة الحادثة : آية ٧ - ١٠]

تتضمن الآيات السابقة الحديث عن ثلاثة أمور :

- ١— معية الله لعباده وتقدم الحديث عنها في المبحث الثاني في الفصل الثالث .
- ٢— مخالفة اليهود والمنافقين لأداب تحية الإسلام وهو موضوع المخور الثاني في هذا الفصل .
- ٣— آداب النجوى وهو المخور الأساس لهذه الآيات الأربع وهو موضوع الحديث في هذا المخور .

فهذه الآيات الأربع المخور الأساس لها — كما تقدم — هو الحديث عن النجوى فالآلية الأولى تصور وتقرر علم الله الشامل بالمتناجين وما يدور بينهم مثلاً لإحاطة علم الله بكل شيء فهي كالتنبيه والتحذير للمتناجين بأمر غير مشروع لأن الله يعلم ما يقولون ومن ثم تبين الآية الثانية ما بدر من المنافقين واليهود في هذا الموضوع وما كان يقوم به اليهود من تحريف تحية الإسلام ومن ثم تحدّر الآية الثانية المؤمنين من أن يصنعوا صنيع اليهود والمنافقين وتأمرهم بأن يكون تناجيهم بالبر والتقوى وتبين الآية الرابعة أن النجوى المنهي عنها إنما هي من أمر الشيطان ليحزن الذين آمنوا وأنه ليس له سلطان

عليهم وليس بضارهم شيئاً إلا بشيء قد كتبه الله ومن ثم على المؤمن أن يفوض أمره إلى الله ويتوكل عليه وبذلك ينجلب همه ويدهب حزنه وينشرح صدره^(١).

تعريف النجوى

جاء في اللسان "النجو": السر بين اثنين، يقال: نجوته نجواً أي ساررته وكذلك ناجيته، والاسم النجوى^(٢).

النجوى والسر

من أهل التفسير من يسوى بين الكلمتين في المعنى فيفسر النجوى بالسر ويقول: كل سرار نجوى، وبعضهم يفرق بينهما فيقول: النجوى ما يكون في خلوة ثلاثة أو أكثر يسرون شيئاً يتاجون به، والسرار ما كان بين اثنين كما جاء عن ابن سراقة: "السرار ما كان بين اثنين والنجدوى ما كان بين أكثر"^(٣).

أقسام النجوى:

بالنظر في الضوابط الشرعية مما جاء في سورة المجادلة وما يعده من النصوص الشرعية الأخرى فإنه يمكن القول بأن النجوى تنقسم إلى قسمين: نجوى منهي عنها ونجوى مباحة.

أولاً: النجوى المنهي عنها:

تكون النجوى في دائرة المنهي عنه إذا اشتملت على أمرٍ من الأمور التالية:

١. الإثم:

يقول تعالى في صفة اليهود والمنافقين:

﴿أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ هُنَّا عَنِ النَّجَوِيِّ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُنَّا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ﴾ [سورة المجادلة: آية ٨]

ويقول أمراً المؤمنين: ﴿يَتَأَكَّلُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ﴾ [سورة المجادلة: آية ٩].

١— الراشد: مرجع سابق، ص ١٦١

٢— ابن منظور: مرجع سابق، ج ٢٠، ص ١٧٩.

٣— أبو حيان: مرجع سابق، ج ٨، ص ٢٣٥؛ القرطبي: مرجع سابق، ج ١٧، ص ص ٢٨٩ — ٢٩٠.

في هاتين الآيتين ينهى الله — سبحانه وتعالى — عن التناجي بالإثم فيبين في الآية الأولى أنه من صفات اليهود والمنافقين ، وفي الآية الثانية يأمر المؤمنين بمخالفة طريق اليهود والمنافقين في المناجاة فعليهم إذا تناجووا أن يتجنبوا الإثم في نجواهم .

يقول الأصفهانى في بيان معنى الإثم : " الإثم والآثام : اسم للأفعال المبطئة عن الثواب . وجمعه آثام، وقبيل الإثم بالبر ، فقال صلى الله عليه وسلم : " البر ما اطمأن إليه النفس ، والإثم ما حاك في صدرك " وهذا القول منه حكم البر والإثم لا تفسيرهما " ^(١) . وجاء في اللسان " هو أن يعمل مالا يحل له ^(٢) وفي التزيل « وَإِلَّا ثُمَّ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ »

[سورة الأعراف : آية ٣٣] .

ويقول الشوكاني : " ومعنى الإثم ما هو إثم في نفسه كالكذب والظلم " ^(٣) . وبهذا يكون الإثم يشمل كل ما حرمه الله ، وكانت مناجاة اليهود والمنافقين إثم لاشتمالها على ما حرم الله ^(٤) .

٢. العدوان :

العدوان هو المخدر الثاني المنهي عنه في المناجاة فهو كذلك من صفات اليهود والمنافقين **« وَيَتَنَجَّوْنَ بِإِلَئِيمٍ وَالْعُدُوَّنِ »** [سورة المجادلة : آية ٨] والمؤمن مأمور بتجنبه **« فَلَا تَتَنَجَّوْنَ بِإِلَئِيمٍ وَالْعُدُوَّنِ »** [سورة المجادلة : آية ٩]

"والعدوان والاعتداء والتعدى : الظلم ، والعادي الظالم ، وأصله من تجاوز الحد في الشيء " ^(٥) .

فاليهود والمنافقين عدوا لهم بتعديهم شرع الله وتحريض بعضهم بعضاً على إيداء المسلمين ومخالفة تعاليم الدين وما جاء به خاتم المرسلين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ^(٦) .

١— الأصفهانى : مرجع سابق : ص ص ٦٣—٦٤ .

٢— ابن منظور : مرجع سابق ، جـ ١٤ ، ص ٢٧٠ .

٣— الشوكاني ، محمد بن علي : *فتح القدير* ، دار المعرفة ، لبنان ، بيروت ، (د . ت) ، جـ ٥ ، ص ١٨٧ .

٤— شلبي ، عبد الجليل : " مع سورة المجادلة " ، *الأزهر* ، السنة ٦٧ ، الجزء ٧ ، (رجب ١٤١٥ هـ) ، ص ٨٨١ .

٥— ابن منظور : مرجع سابق ، جـ ١٩ ، ص ٢٥٩ .

٦— شلبي : مرجع سابق ، ص ٨٨١ .

علاقة الإثم بالعدوان

يقول ابن القيم مبيناً العلاقة بين الإثم والعدوان :

وأما " الإثم والعدوان " فهما قريسان ، قال الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُونِ ﴾ [سورة المائدة : آية ٢] وكل منهما

إذا أفرد تضمن الآخر ، فكل إثم عدوان ، إذ هو فعل ما نهى الله عنه ، أو ترك ما أمر الله به ، فهو عدوان على أمره ونفيه ، وكل عدوان إثم ، فإنه يأثم به صاحبه ، ولكن عند اقتراحهما فهما شيئاً بحسب متعلقهما ووصفهما . فالإثم ما كان حرم الجنس كالكذب ، والزنا ، وشرب الخمر ، ونحو ذلك . والعدوان ما كان حرم القدر والزيادة .

فالعدوان تعدى ما أبيح منه إلى القدر الحرم والزيادة ، كالاعتداء فيأخذ الحق من هو عليه ، إما بأن يتعدى على ماله أو بدنه أو عرضه ، فإذا غصبه خشبة لم يرض عوضها إلا داره ، وإذا اختلف عليه شيئاً اختلف عليه أضعافه ، وإذا قال فيه كلمة قال فيه أضعافها ، فهذا كله عدوان وتعد للعدل .

وهذا العدوان نوعان : عدوان في حق الله ، وعدوان في حق العبد ، كما إذا نعدى ما أباح الله له من الوطء الحلال في الأزواج والمملوکات إلى ما حرم عليه من سواهما ، كما قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُم لِفُرُوجِهِمْ حَفَظُونَ ﴾ ﴿ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ ﴿ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ [سورة المؤمنون : آية ٥ - ٧] وكذلك تعدى ما أبيح له من زوجته وأمه إلى ما حرم عليه منها ، كوطئها في حيضها أو نفاسها أو في غير موضع الحرج ، أو في إحرام أحدهما ، أو صيامه الواجب ، ونحو ذلك ^(١) .

٣. معصية الرسول صلى الله عليه وسلم :

من المحاذير الوارد النهي عنها في النجوى اشتتماها على معصية الرسول صلى الله عليه وسلم فإن هذا الأمر كذلك كان من صفات اليهود والمنافقين . وما نهى عنه الشرع الحكيم يقول تعالى في اليهود والمنافقين : ﴿ وَيَتَنَجَّرُكُمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدُونِ وَمَعَصَيَتِ الرَّسُولِ ﴾ [سورة المجادلة : آية ٨] ويقول في نهيه للمؤمنين : ﴿ فَلَا تَتَنَجَّرُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدُونِ

١— ابن القيم : " مدارج السالكين " : مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ٣٦٨ .

وَمَعَصَيْتَ أَرْسُولِهِ [سورة الحادلة : آية ٩] . "والعصيان خلاف الطاعة ، يقال عصى العبد ربها إذا خالف أمرها"^(١) . ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم هنا تعني ما كان يدبره اليهود والمنافقين ويتوافقون به من مخالفة رسول الله صلی الله عليه وسلم^(٢) .

٤. تناجي اثنين دون الثالث :

يضاف إلى ما سبق من المخاذير المنهي عنها في النجوى من الإثم والعدوان ومعصية الرسول صلی الله عليه وسلم أمر رابع وهو تناجي اثنين دون ثالث أو جماعة دون فرد ، وهذا الخذور بينته السنة الصحيحة عن رسول الله صلی الله عليه وسلم حيث يقول : "إذا كانوا ثلاثة ، فلا يتناجي اثنان دون الثالث"^(٣) . وفي رواية "إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجي اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه"^(٤) .

والنهي هنا يشمل كل عدد يختلف فرداً واحداً بعيداً عن المناجاة وفي هذا يقول القرطبي : "يستوي في ذلك كل الأعداد ، فلا يتناجي أربعة دون واحد ولا عشرة ولا ألف مثلاً ؛ لوجود ذلك المعنى في حقه بل وجوده في العدد الكبير أمكن وأوقع ، فيكون بالمنع أولى . وإنما خص الثلاثة بالذكر ؛ لأنه أول عدد يتأتى بذلك المعنى فيه"^(٥) . ويرتفع هذا النهي ويذهب لهذا المخظور الوارد في الحديث إذا اخطلوا بالناس حيث يقول رسول الله صلی الله عليه وسلم :

"إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجي رجالان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس ، أجل أن يحزنه"^(٦) .

ثانياً : النجوى المباحة :

النجوى المباحة هي على الضر从 من النجوى المنهي عنها لذلك يشترط لإباحة النجوى أن تكون حالية من الأمور المتقدمة في النجوى المنهي عنها وهي : الإثم والعدوان

١— ابن منظور : مرجع سابق ، جـ ١٩ ، ص ٢٩٧ .

٢— شلبي : مرجع سابق ، السنة ٦٧ ، الجزء ٨ ، (شعبان ١٤١٥ھـ) ، ص ١٠٣ .

٣— البخاري : مرجع سابق ، ح ٦٢٨٨ ، ص ١٢١١ ؛ النسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ٢١٨٣ ، ص ٨٩٩ .

٤— النسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ٢١٨٤ ، ص ٩٠٠ .

٥— القرطبي : مرجع سابق ، جـ ١٧ ، ص ٢٩٥ .

٦— البخاري : مرجع سابق ، ح ٦٢٩٠ ، ص ١٢١١ ؛ النسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ٢١٨٤ ، ص ٨٩٩ .

ومعصية الرسول وتناجي اثنين دون الثالث وأن يكون موضوعها البر والتقوى كما قال

سبحانه :

﴿وَتَنَجَّوَا بِالْبَرِّ وَالْتَّقَوِيِّ وَأَنْقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [٩] .

فيبيت الآية الكريمة ما يجب أن تكون عليه نبوى المؤمنين ألا وهو البر والتقوى ،

فما هو البر؟ وما هي التقوى؟

البر : جاء في مفردات ألفاظ القرآن في بيان معنى البر أنه " التوسيع في فعل

الخير " ^(١) .

يقول السعدي : " البر اسم جامع لكل خير وطاعة ، وقيام بحق الله وحق

عباده " ^(٢) .

أما التقوى فيقول ابن رجب في جامع العلوم والحكم : " وأصل التقوى أن يجعله

العبد بينه وبين ما يخافه ويحذر وقاية تقيه منه " ^(٣) .

ويقول السعدي : " والتقوى اسم جامع لترك جميع المحaram والمأثم " ^(٤) .

في بهذا يجب أن تكون نبوى المؤمن في خير وطاعة وتؤدي إلى خير وطاعة .

من الآثار التربوية للنبوى

ال الحديث والكلام وسيلة للتنفيس عن مكبوتات النفوس ، فكثيراً ما تحمل الصدور
أكداساً من الشجون ، لا يخفف عنها غير البث والنبوى من هنا كانت أحاديث الناس
ونبواهم في مجتمعاتهم عامة كانت أو خاصة ضرورة نفسية بل علاجاً شافياً ؛ حيث يتم
عن طريقها التفريغ الانفعالي ، وعن طريقها يتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعن
طريقها يؤمر بالصدقة — صدقة المال للمحتاجين من فقراء ومساكين وصدقية العلم
لطلابه ولعامة المسلمين — وعن طريقها يتم الإصلاح بين الناس في الأنفس والأموال

١— الأصفهانى : مرجع سابق ، ص ١١٤ .

٢— السعدي : مرجع سابق ، ص ٧٨٥ .

٣— ابن رجب : مرجع سابق ، ص ١٥٧ .

٤— السعدي : مرجع سابق ، ص ٧٨٥ .

والأديان ، كل ذلك يتم إذا اتجهت النجوى في مسارها الصحيح حسب الضوابط الشرعية التي بينها لنا الشارع الحكيم .

أما إذا عدلت المناجاة عن طريقها السديد ولم تتقيد بالضوابط الأخلاقية والشرعية فإنه يقع بذلك الانحراف عن تحقيق هدفها ويحصل بذلك المحظور مما يشتمل على مفاسد وأضرار^(١) من إثم كالكذب والغيبة والزور والبهتان ، وعدوان كالظلم والتعدى على الآخرين .

التطبيقات التربوية :

إن التطبيق التربوي للمضمون التربوي للنجوى يتمثل في الأخذ بالضوابط المذكورة في النجوى المباح والابتعاد عن الأمور المنهي عنها في النجوى ، ويدرك الباحث صورة من كتاب الله الكريم يظهر فيها هذا الأمر جلياً ويتبين لكل مربٍ كيف يمكنه أن يُفعل النجوى لتكون في دائرة المباح خارجة عن دائرة المحرم وهذه الصورة هي ما جاء في قوله تعالى : ﴿ لَا خَيْرٌ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [سورة النساء : آية ١١٤] ، ففي هذه الآية يبين الله أن نجوى كثير من الناس لا خير فيها فهي إما لا فائدة فيها كفضول الكلام المباح . وإما شر ومضره مضرة كالكلام المحرم بجميع أنواعه من غيبة ونميمة وزور وبهتان إلى غير ذلك من الكلام المحرم . ثم استثنى تعالى من النجوى المنهي عنها الأمر بالصدقة فقال : ﴿ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ ﴾ والصدقة هنا عامة تشمل المال ، والعلم ، وأي نفع كان . بل لعله يدخل فيه العبادات القاصرة كالتسبيح ، والتحميد ، ونحوه . كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن بكل تسبيحة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل هليلة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، وهي عن النكر صدقة ، وفي بعض أحدكم صدقة^(٢) الحديث .

١— البيومي ، محمد رجب : " الناجي في سورة المجادلة " ، التضامن الإسلامي ، السنة ٤٦ ، الجزء ٣ ، (رمضان ١٤١١هـ) ، ص ١٧ — ٢٠ .

٢— النيسابوري ، مسلم : مراجع سابق ، ح ١٠٠٦ ، ص ٢٨٩ .

وكذلك استثنى سبحانه الأمر بالمعروف «أو مَعْرُوفٍ» والمعروف هنا يشمل كل إحسان وطاعة ، وكذلك يشمل النهي عن المنكر ؛ وذلك أنه إذا أطلق الأمر بالمعروف من غير أن يقرن بالنهي عن المنكر دخل فيه النهي عن المنكر ؛ وذلك لأن ترك النهيات من المعروف . وأيضاً لا يتم فعل الخير إلا بترك الشر .

وكذلك استثنى سبحانه الإصلاح بين الناس «أو إِصْلَاحٌ بَيْنَ النَّاسِ» والإصلاح هنا يشمل الإصلاح بين الناس في الدماء والأموال والأعراض بل وفي الأديان ، كما قلل تعالى : «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَنْرَقُوا» [سورة آل عمران : آية ١٠٣] . وقال تعالى : «إِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوهُا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوهُ أَلَّا تَتَفَنَّى حَتَّىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوهُا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» [سورة الحجرات : آية ٩] . وقال تعالى : «وَالصُّلُحُ خَيْرٌ» [سورة النساء : آية ١٢٨] . والداعي في الإصلاح بين الناس أفضل من القاتل بالصلوة ، والصيام ، والصدقة . والمصلح لا بد أن يصلح الله سعيه وعمله . كما أن الداعي في الإفساد لا يصلح الله عمله ، ولا يتم له مقصوده كما قال تعالى : «إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ» . وهذه المستثنىات من الأمر بالصدقة والمعروف والإصلاح بين الناس حيثما فعلت فهي خير كما دل على ذلك الاستثناء ^(١) .

وبعد عرض هذه الصورة المضيئة من كتاب الله وجب التبيه على القائمين على الأسرة والمدرسة ومؤسسات المجتمع المختلفة بتطبيق هذه الضوابط والأخذ بها :

ففي الأسرة :

وجب على القائمين عليها من أب وأم أن تكون نجواهم مع أفراد أسرتهم وأولادهم وفق الضوابط الشرعية المذكورة آنفاً ، بعيدة عما حرمه الله من إثم أو عدوان وأن يربوا على ذلك جميع أفراد الأسرة .

— السعدي : مرجع السابق ، ص ١٦٥ .

وفي المدرسة :

يجب على القائمين عليها من إدارة و معلمين أن يربوا الناشئة على ما مر ذكره من ضوابط تجعل النجوى في دائرة المباح خارجة عن دائرة المحرم مستخدمين في ذلك مختلف الوسائل والأساليب من إذاعة ومطوية ومجلة ومحاضرة وندوة ، وقبل ذلك كله أن يكونوا هم قدوة حسنة للاممذهم في هذا الجانب .

وفي المجتمع :

يجب على جميع مؤسساته المختلفة من مسجد وإعلام وناد أن ينشروا هذه الآداب بين أفراد المجتمع بالوسائل المختلفة ، فالمسجد عن طرق الخطبة والمحاضرة والندوة والدرس ، والإعلام بالبرامج المباشرة والمفتوحة من ندوات وغيرها والنادي بالدورات والمسابقات إلى غير ذلك .

آداب التحية

يقول تعالى : « وَإِذَا جَاءُوكَ حَيْوَكَ بِمَا لَمْ تُحِبِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْهَا » فِيئَسَ الْمَصْرِيُّ ﴿٨﴾ [سورة المجادلة : آية ٨] .

جاء في بيان سبب نزول هذه الآية ما روتته عائشة - رضي الله عنها - إذ تقول^(١) : " أتى النبي صلى الله عليه وسلم أناس من اليهود فقالوا السام عليك يا أبا القاسم ، قال : وعليكم ، قالت عائشة : قلت بل عليكم السام والذام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عائشة لا تكوني فاحشة ، فقالت : ما سمعت ما قالوا !؟ فقال : أو ليس قد ردت عليهم الذي قالوا ؟ قلت وعليكم . وفي رواية ففطنت بهم عائشة فسبتهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مه يا عائشة فإن الله لا يحب الفحش والتفحش وزاد فأنزل الله عز وجل « وَإِذَا جَاءُوكَ حَيْوَكَ بِمَا لَمْ تُحِبِّكَ بِهِ اللَّهُ » إلى آخر الآية^(٢) .

فيتین من هذه الرواية في سبب التزول مخالفة اليهود - عليهم لعنة الله - لآداب التحية مع سيد الأولين والآخرين نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم . يقول الطبری في تفسیره لهذه الآية : " حیوک بغير التحية التي جعلها الله لك تحية " ^(٣) . فما هي التحية التي شرعها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ، ولعباده المؤمنين . وما أحکامها وما آدابها ؟

تعريف التحية :

تطلق التحية ويراد بها عدة معانٍ يقال الزاوي : " والتحية السلام والبقاء

والملك" ^(٤)

١— الوحدی ، علی بن احمد : أسباب نزول القرآن ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، ط٢ ، تحقيق : السيد أحمد صفر ، (١٤٠٤ھ—١٤٣٦ص) .

٢— النسابوري ، مسلم : مراجع سابق ، ح ٢١٦٥ ، ص ٨٩٤ .

٣— الطبری : مراجع سابق ، م ١٤ ، ج ٢٨ ، ص ١٩٤ .

٤— الزاوي ، مراجع سابق ، ص ١٦٥ .

والذي عليه مدار البحث في هذا المحور من معنى التحية هو السلام وهو ما نقله ابن منظور عن ابن الهيثم في اللسان إذ يقول : "وروى عن ابن الهيثم أنه يقول : التحية في كلام العرب ما يجيئي بعضهم بعضاً إذا تلقوها . قال : وتحية الله التي جعلها في الدنيا والآخرة لمؤمني عباده إذا تلقوها ودعا بعضهم لبعض بأجمع الدعاء أن يقولوا : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، قال الله عز وجل ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [سورة الأحزاب : آية ٤٤] ، وقال في تحية الدنيا ﴿وَإِذَا حُيَّتُم بِتَحْيَيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [سورة النساء : آية ٨٦] .^(١)

إذاً فالمقصود بالتحية "السلام" ، الاسم من التسليم ^(٢) وهو مرادف للتحية بالمعنى الذي أراده الباحث ، جاء في اللسان "وقال أبو الهيثم : السلام والتحية معناهما واحد ومعناهما السلامة من جميع الآفات" ^(٣) .

فالخلاصة أن المراد من التحية في هذا المحور هو السلام من التسليم وهو قول المسلم : "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته" .

حكم التحية "السلام" :

١. أبتداء السلام :

يقول ابن مفلح : "السلام سنة عين من المنفرد وسنة على الكفاية من الجماعة ، والأفضل السلام من جميعهم ولا يجب إجماعاً ، نقله ابن عبد البر وغيره" ^(٤) . وهذا القول الذي قال به ابن مفلح هو قول عامة أهل العلم تقريباً ^(٥) .

١— ابن منظور : مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ٢٣٧ .

٢— الرازي ، محمد : مرجع سابق ، ص ٣١١ .

٣— ابن منظور : مرجع سابق ، جـ ١٥ ، ص ١٨١ .

٤— ابن مفلح ، عبدالله محمد : الأداب الشرعية ، موسسة الرسالة ، ط ٣ ، لبنان ، بيروت ، تحقيق : شعيب الأرنووط وعمر القيام ، (١٤١٩ هـ—) ، جـ ١ ، ص ٣٥١ .

٥— الفالح ، مساعد قاسم : فتح السلام في أحكام السلام ، مكتبة العيikan ، ط ١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٦ هـ—) ، ص ص ٢٩ — ٣٢ .

٢. رد السلام :

أ— إذا كان المسلم عليه فرداً تعين عليه الرد^(١) وفي ذلك يقول البهوي : " ورد فرض عين على المسلم عليه المنفرد "^(٢).

ب— أما إذا كان المسلم عليه جماعة فهل هو فرض على الكفاية فيكتفي الرد من أحدهم لإسقاط الوجوب ؟ أم فرض عين ؟ خلاف بين أهل العلم مع اتفاقهم على أفضلية الرد من الجميع . والجمهور على أن الرد فرض كفاية^(٣) . قوله الجمهور هو الراجح ودليل ذلك ما جاء عن علي ابن أبي طالب — رضي الله عنه — قال : " يجزئ عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم ، ويجزئ عن الجلوس أن يرد أحدهم "^(٤).

فضل تحية الإسلام وأثرها التربوي

جاءت النصوص الشرعية تحت على تحية الإسلام وتبيّن فضلها وأثرها التربوي ومن تلك النصوص :

— ما رواه عبد الله بن عمرو — رضي الله عنهما — أن رجلاً سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الإسلام خير ؟ قال : " تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف "^(٥).

— ومنها ما رواه أبو هريرة — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تباووا ، أولاً أدلكم على شيء إذا فعلتموه تباوتم ؟ أفسحوا السلام بينكم "^(٦).

١— المرجع السابق ، ص ٣٧.

٢— البهوي ، منصور بن يونس إدريس : كشاف القناع عن متن الإقناع ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٢هـ—) ، ج ٢ ، ص ١٥٢.

٣— الفلاح : مرجع سابق ، ص ٣٩.

٤— أبو داود ، مرجع سابق ، ح ٥٢١٠ ، ص ٥٦٠ ؛ وصححه الألباني : " صحيح سنن أبي داود " ، مرجع سابق ، ح ٤٣٤٢ ، ص ٩٧٨.

٥— البخاري : مرجع سابق ، ح ٢٨ ، ص ٢٩ ؛ النسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ٣٩ ، ص ٤٩.

٦— النسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ٥٤ ، ص ٥٣.

— ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : " إن السلام اسم من أسماء الله تعالى وضعه الله في الأرض فأفشووا السلام بينكم " ^(١) .

إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة التي تحدث على تحية الإسلام — السلام — وبين فضلها وأثرها التربوي . فالسلام من الأمور التي تجلب المحبة ، وتنشر المودة بين الناس : فكم دفع من شرٍ بسبب السلام ، وكم حل من خيرٍ وبركةٍ بسبب السلام ، وكم وصلت من رحمٍ بسبب السلام ، وفي المقابل : كم حل من نكديٍّ وبلاءٍ وبؤسٍ وشقاءٍ وقطيعة رحمٍ وإدبارٍ وتناحرٍ بسبب ترك السلام !⁽³⁾ من هنا كان حري بكل مسلم الحرص على إفشاء هذا الشعار العظيم تحية الإسلام "السلام" .

كيفية السلام ومراتبه :

جاء النص بأن السلام على ثلاثة مراتب : أعلاها وأكملها وأفضلها " السلام عليكم ورحمة الله وبركاته " ، ثم يليها " السلام عليكم ورحمة الله " ثم يليها " السلام عليكم " .

والأصل في ذلك ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - أن رجلاً مر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مجلس فقال : السلام عليكم ، فقال : "عشر حسنات" . فمر رجل آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فقال : "عشرون حسنة" . فمر رجل آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وببركاته فقال : "ثلاثون حسنة" (٤) .

^١ البخاري ، محمد بن إسماعيل : الأدب المفرد ، دار مكتبة الحياة ، لبنان ، بيروت ، (١٩٨٠ م) ، ص ١٩٨؛ وحسنه الألباني ، محمد ناصر الدين : صحیح الأدب المفرد ، مکتبة الدليل ، ط ٤ ، المملكة العربية السعودية ، الجبل ، (١٤١٨هـ) ، ح ٧٦٠ ، ص ٣٨٠.

^٢ — النيسابوري ، مسلم : مراجع سابق ، ح ٢١٦٢ ، ص ٨٩٣ .

^٣ العدوی ، مصطفی : فقه الأخلاق والمعاملات مع المؤمنین ، دار ابن رجب ، ط١ ، (١٤١٨هـ) ، ص ص ٥٣-٥٧ .

^٤—البخاري : "الأدب المفرد" ، مرجع سابق ، ص ١٩٧ ؛ وصححه الألباني : "صحيح الأدب المفرد" ، مرجع سابق ، ح ٩٨٦ ، ص ٣٧٨ .

هذا في صفة إلقاء السلام وابتدائه أما صفة الرد فإنها تكون بمثل السلام أو بأحسن منه^(١) وذلك لما جاء في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا حُيِّمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [سورة النساء : آية ٨٦]

إذا اقتصر المسلم على قوله "السلام عليكم" رد عليه بـ "وعليكم السلام" أو زيد على ذلك "ورحمة الله" وكذا إذا قال "السلام عليكم ورحمة الله" فيرد عليه بـ "وعليكم السلام ورحمة الله" أو يزداد عليها "وبركاته" فإذا جاء بالسلام الأكمل "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته" فإنه يرد عليه بـ "وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته" ولا يزداد على برकاته هذا ما عليه جمهور الفقهاء أن السلام ينتهي عند برکاته ابتداءً وأداءً ولا تستحب الزريادة على ذلك^(٢) ، يقول ابن عبد البر : "قال ابن عباس وابن عمر : انتهى السلام إلى البركة ، كما ذكر الله عز وجل عن صالح عباده رحمت الله وبركته عليهكم أهل البيت" [سورة هود : آية ٧٣] ، وكان يكرهان أن يزيد أحد في السلام على قوله : وبركاته^(٣) .

ويين ابن القيم — عليه رحمة الله — الحكمة في نهاية السلام عند البركة وعدم شرعية الزريادة عليها فيقول :

"كمال التحية عند ذكر البركات إذ قد استواعت هذه الألفاظ الثلاثة جميع المطالب من رفع الشر وحصول الخير وثباته وكشرته ودوامه فلا معنى للزيادة عليها ، ولهذا جاء في الأثر المعروف : "انتهى السلام إلى وبركاته" ^(٤) .

١— الشلهوب ، فؤاد بن عبد العزيز : كتاب الآداب ، دار القاسم ، ط ١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢٠—١٤٢١ھ) ، ص ٤١ .

٢— الفالح : مراجع سابق ، ص ٦٣ — ٨١ .

٣— ابن عبد البر : "التمهيد" ، مراجع سابق ، ج ٥ ، ص ٢٩٣ .

٤— ابن القيم ، محمد بن أبي بكر أيوب : بدائع الفوائد ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، ط ١ ، المملكة العربية السعودية ، مكة المكرمة ، (١٤١٦—١٤٢١ھ) ، ج ٢ ، ص ٤٠٦ .

من آداب التحية :

١. أن تكون بالصيغة المشروعة وقبل الكلام :

إن الصيغة المشروعة للتحية — كما تقدم — هي لفظ " السلام عليكم ورحمة الله وبركاته " لذا وجب على المسلم أن يتقيدها ومن هنا نهى النبي — صلى الله عليه وسلم — من خالفها فعن جابر بن سليم الهجيمي — رضي الله عنه — أنه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت عليك السلام . فقال : " لا تقل عليك السلام ، ولكن قل : السلام عليك " ^(١) .

كما ينبغي للمسلم أن تكون تحيته بالسلام قبل كل كلام وكل ترحيب فإذا حيَا بتحية الإسلام فله أن يرحب بذلك بما شاء من الترحيب الجائز . يقول النووي : " السنة أن المسلم يبدأ بالسلام قبل كل كلام ، والأحاديث الصحيحة وعمل سلف الأمة وخلفها على وفق ذلك مشهورة ، فهذا هو المعتمد في دليل الفصل " ^(٢) .

٢. الجهر بالتحية " السلام " أداءً وردأً :

لقد كان من هديه صلى الله عليه وسلم أن يرفع صوته بالسلام وكذلك رده ^(٣) . ومن هنا قال جمهور العلماء بسننية الجهر بالسلام ابتداءً مع وجوب الجهر ردًا ^(٤) ويستثنى من سنن الجهر بالسلام ما إذا كان السلام على أيقاظ عندهم نiam فيس في هذه الحال خفض الصوت بحيث يُسمع اليقطان ولا يُوقظ النائم وقد جاء ذلك في هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول القداد بن الأسود حاكياً عن حال رسول الله صلى الله عليه وسلم في سلامه في الليل " فيسلم تسليماً لا يُوقظ نائماً ، ويُسمع اليقطان " ^(٥) .

١— الترمذى : مرجع سابق ، ح ٢٧٢٢ ، ص ٤٣٩ ؛ وصححه الألبانى : " صحيح سنن الترمذى " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ح ٢٧٢٢ ، ص ٨٨ .

٢— النووي ، محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف : الأذكار النبوية ، دار الفكر ، ط ١ ، سوريا ، دمشق ، تحقيق : أحمد راتب حموش ، (١٤٠٣ـ) ، ص ٣٦٥ .

٣— ابن القيم ، محمد بن أبي بكر : زاد المعاد في هدى خير العباد ، موسسة الرسالة ، ط ٤ ، ١ ، لبنان ، بيروت ، حققه : شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط ، (١٤١٠ـ) ، ج ٢ ، ص ٤١٩ .

٤— الفلاح ، مرجع سابق ، ص ٨٩ .

٥— النيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ٢٠٥٥ ، ص ٨٥١ .

٣. تكرار السلام ثلاثةً :

ويكون ذلك إذا كان الجموع كثيرةً أو شك في سماع المسلم عليه فعن أنس رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سلم سلم ثلاثةً ، وإذا تكلم أعادها ثلاثةً^(١) . قال النووي : " وهذا محمول على ما إذا كان الجموع كثيرةً "^(٢) . ويضيف ابن حجر : " وكذا لو سلم وظن أنه لم يسمع فتسن الإعادة فيعيد مرة ثانية وثالثة ولا يزيد على الثالثة "^(٣) .

وما يدخل في مشروعية تكرار السلام ولكن بدون قيد الثلاث إذا سلم على إنسان ثم لقيه من قرب يعني إذا تكرر اللقاء وذلك مثل ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه ، فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ثم لقيه فليسلم عليه أيضاً "^(٤) .

٤. التعميم :

إن تعميم التحية وعدم قصرها على المعرفة من الآداب التي جاء بها الشرع وحيث عليها ، وهو ما يقتضيه قوله صلى الله عليه وسلم : " افشووا السلام " ^(٥) وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " وتقروا السلام على من عرفت ومن لم تعرف " ^(٦) إلى غير ذلك من النصوص بل جاءت النصوص تبين أن السلام على المعرفة فقط هو من أشراط الساعة كما جاء في الحديث " إن من أشراط الساعة إذا كانت التحية على المعرفة " ^(٧) ومن حكم مشروعية تعميم السلام وعدم تخصيصه " ليكون المؤمنون كلهم أخوة فلا يستوحش أحد من أحد ، ومن التخصيص ما قد يقع في الاستيحاش " ^(٨) .

١- البخاري : " صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ح ٦٢٤٤ ، ص ١٢٠٢ .

٢- النووي ، محي الدين بن شرف ، رياض الصالحين ، دار الجليل ، لبنان ، بيروت (د . ت) ، ص ٢٩٠ .

٣- ابن حجر ، أحمد بن علي : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار المعرفة ، لبنان ، بيروت ، (د . ت) ، ج ١١ ، ص ٢٩ .

٤- أبو داود : مرجع سابق ، ح ٥٢٠٠ ، ص ٥٥٩ ؛ وصححة الألباني : " صحيح سنن أبي داود " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ح ٤٣٣١ ، ص ٩٧٦ .

٥- تقدم تخربيه ص ١٢٥ .

٦- تقدم تخربيه ص ١٢٥ .

٧- ابن حنبل : مرجع سابق ، ج ٢ ، ح ٣٦٤ ، ص ٣٦ ؛ وصححة الألباني : " السلسلة الصحيحة " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ح ٦٤٨ ، ص ٢٤٨ .

٨- ابن حجر : " فتح الباري " ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص ٢٢ .

ويجب التبيه على أن : تعميم السلام يكون على المسلمين فقط أما الكفار من أهل الكتاب وغيرهم فإنهم لا يبدأون بالسلام يقول صلى الله عليه وسلم : " لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام " ^(١) وأما إذا دعت الحاجة إلى بدعهم بالتحية لمصلحة فإنه يكون بغيب السلام ، كصبح الخير ونحوها يقول ابن مفلح : قال شيخ الإسلام : " إن خطابه بكلام غير السلام مما يؤنسه به فلا بأس بذلك " ^(٢) وهذا الحكم فيما إذا كانوا — أي الكفار — وحدهم أما إذا كان هناك خليط من المسلمين ومعهم كفار فيسلم على المجموعة بنية السلام على المسلمين يقول التوسي :

" إذا مر واحد على جماعة فيهم مسلمون ، أو مسلم وكفار ، فالسنة أن يسلم عليهم ويقصد المسلمين أو المسلم " ^(٣) .

هذا في ابتدائهم بالتحية أما الرد عليهم إذا سلمو علينا فيكون بما أمرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن نرد عليهم بقولنا : وعليكم أو عليكم كما جاءت بذلك الروايات يقول البهوي : " وإن سلم أحدهم — أي : أهل النذمة — لزم رده فيقال له : " عليكم " أو " عليكم بلا واو ، وبالواو أولى لكترة الأخبار " ^(٤) .

٥. سلام الراكب على الماشي ، والماشي على القاعد ، والقليل على الكثير ، والصغير على الكبير :

ويدل على هذا الأدب قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " يسلم الراكب على الماشي ، والماشي على القاعد ، والقليل على الكثير " ^(٥) وفي رواية : " ويسلم الصغير على الكبير ، والماء على القاعد ، والقليل على الكثير " ^(٦) .

١— النسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ٢١٦٧ ، ص ٨٩٤ .

٢— ابن مفلح : مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٣٩١ .

٣— التوسي : " الأذكار التزووية " ، مرجع سابق ، ص ٣٧١ .

٤— البهوي : مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٣٠ .

٥— البخاري : " صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ح ٦٢٣٢ ، ص ١٢٠٠ ؛ النسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ٢١٦٠ ، ص ٨٩٢ .

٦— البخاري : " صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ح ٦٢٣١ ، ص ١٢٠٠ .

هذا في حال التلاقي ، أما في حال القدوم فلا ينظر إلى كبير أو صغر ولا كثرة ولا قلة بل السنة أن يسلم القادم على كل حال يقول النووي : " أما إذا ورد على قعود أو قاعد ، فإن الوارد يبدأ بالسلام على كل حال ، سواء كان صغيراً أو كبيراً ، قليلاً أو كثيراً " ^(١) .

٦. السلام عند المفارقة :

السلام سنة عند الانصراف كما هو سنة عند اللقاء ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم فإذا أراد أن يقوم فليسلم ، فليس الأولى بأحق من الآخرة " ^(٢) .

٧. السلام عند دخول المنزل :

يبين النبي صلى الله عليه وسلم فضل هذا الأدب بقوله : " ثلاثة كلامهم ضامن على الله إن عاش كفى ، وإن مات دخل الجنة : من دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله عز وجل . ومن خرج إلى المسجد فهو ضامن على الله . ومن خرج في سبيل الله فهو ضامن على الله " ^(٣) .

٨. السلام عند دخول المكان الخالي :

روى البخاري في الأدب المفرد عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - أنه قال : " إذا دخل البيت غير المسكون فليقل : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين " ^(٤) .

١- النووي : " الأذكار النبوية " ، مرجع سابق ، ص ٣٧٤ .

٢- الترمذى : مرجع سابق ، ح ٢٧٠٦ ، ص ٤٣٧ ؛ والحديث : حسن صحيح قاله الألبانى : " صحيح سنن الترمذى " ، مرجع سابق ، ح ٢٧٠٦ ، ج ٣ ، ص ٨٢ .

٣- البخارى : " الأدب المفرد " ، مرجع سابق ، ص ٢١٧ ؛ وصححه الألبانى : " صحيح الأدب المفرد " ، مرجع سلبيق ، ح ١٠٩٤ ، ص ٤٢٢ .

٤- البخارى : " الأدب المفرد " ، مرجع سابق ، ص ٢١٠ ؛ وحسن إسناده الألبانى : " صحيح الأدب المفرد " ، مرجع سابق ، ح ١٠٥٥ ، ص ٤٠٧ .

٩. السلام بالإشارة لعذر :

ورد النهي عن السلام بالإشارة في قوله صلى الله عليه وسلم : " لا تسلموا تسليم اليهود فإن تسليمهم بالرؤوس والأكف "^(١) وهذا النهي مخصوص بمن قدر على اللفظ حسأً أو شرعاً أما إذا كان هناك عذر من السلام على بعيد أو أصم ونحوه فإنه يقرن بين التلفظ والإشارة ، يقول الحافظ ابن حجر : " والنهي عن السلام بالإشارة مخصوص بمن قدر على اللفظ حسأً وشرعاً . وإلا فهي مشروعة لمن يكون في شغل يمنعه من التلفظ بجواب السلام كالمصلني . والبعيد والأخرين ، وكذا السلام على الأصم "^(٢) وما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سلم إشارة محمول على أنه جمع بين اللفظ والإشارة ^(٣) .

١٠. السلام على الصبيان :

ويدل على هذا الأدب ما رواه أنس بن مالك — رضي الله عنه — : " أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله " ^(٤) .

١١. رد المسلم عليه السلام على من حمل إليه السلام ومن حمله السلام :

هذا الأدب قد جاءت به السنة ففي الحديث أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن أبي يقرئك السلام ، فقال : " عليك وعلى أبيك السلام " ^(٥) .

١٢. المصادفة :

المصادفة سنة عند التلاقي وهي من قرائن السلام يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهم قبل أن يتفرقوا " ^(٦) .

١— ابن حجر : "فتح الباري" ، مرجع سابق ، جـ ١١ ، ص ٢١ .

٢— المراجع السابق ، جـ ١١ ، ص ٢١ .

٣— الترمذى : "الأذكار الترمذية" ، مرجع سابق ، ص ٣٥٩ .

٤— البخارى : " صحيح البخارى" ، مرجع سابق ، ح ٦٢٤٧ ، ص ١٢٠٣ ؛ النيسابورى ، مسلم : مرجع سابق ، ح ٢١٦٨ ، ص ٨٩٤ .

٥— أبو داود : مرجع سابق ، ح ٥٢٣١ ، ص ٥٦١ ؛ وحسنة الألبانى : " صحيح سنن أبي داود" ، مرجع سابق ، ح ٤٣٥٨ ، ص ٩٨٢ .

٦— أبو داود : مرجع سابق ، ح ٥٢١٢ ، ص ٥٦٠ ؛ وصححه الألبانى : " صحيح سنن أبي داود" ، مرجع سابق ، ح ٤٣٤٣ ، ص ٩٧٩ .

١٣. البشاشة وطلقة الوجه :

إن البشاشة وطلقة الوجه والإبتسامة عند التحية من الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المسلم ، يقول صلى الله عليه وسلم : " لا تحرقن من المعروف شيئاً ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق " ^(١) .

التطبيقات التربوية :

إن التطبيقات التربوية لآداب التحية تمثل في الأخذ بهذه الآداب ففي الأسرة :

يكون الوالدان قدوة لأولادهما فإذا دخلا عليهم سلموا وإذا انصرفوا عنهم سلموا ، وإذا دخل الصغير ولم يسلم نبه إلى ذلك كما عليهما أن يعلما أولادهما آداب التحية عند الحضور إلى المجالس وعند الإنصراف عنها من إلقاء السلام والمصافحة والبشاشة وغيرها من الآداب مما تقدم ذكره في ثنايا هذا البحث .

في المدرسة :

كذلك على المعلم في المدرسة أن يكون قدوة للاميذه في الأخذ بآداب السلام من ابتدائهم بالسلام عند الدخول والسلام عليهم عند الانصراف مع البشاشة وطلقة الوجه كما عليه أن يغرس ذلك في نفوس تلاميذه بتعليم وتعويذ من لا يواكب على السلام عند الدخول والانصراف كما ينبغي أن تقوم الأنشطة المدرسية بالمساهمة في ذلك من خلال الإذاعة المدرسية والمطويات وال المجالس التي تبين فضل تحية الإسلام وأثرها التربوي وآدابها وتطبيقاتها .

في المجتمع :

من الصور التطبيقية لمضمون التحية بيان فضلها وآدابها عن طريق الإعلام وعن طريق الأئمة والدعاة وعن طريق تعليمها بين جميع أفراد المجتمع .

١— النيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ٢٦٢٦، ص ١٠٥٤ .

آداب المجالس

يقول تعالى : هُنَّائِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ دَرَجَتٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ [سورة المجادلة : آية ١١].

في هذه الآية الكريمة من هذه السورة العظيمة أدب آخر مما اشتغلت عليه هذه السورة من الآداب يؤدبنا به ربنا سبحانه وتعالى ، ألا وهو أدب المجلس . يقول السعدي في تفسيره لهذه الآية :

" هذا أدب من الله لعباده ، إذا اجتمعوا في مجلس من مجتمعاتهم ، واحتاج بعضهم أو بعض القادمين للتفسح له في المجلس ، فإن من الأدب أن يفسحوا له تحصيلاً لهذا المقصود . وليس ذلك بضار للواسع شيئاً ، فيحصل مقصود أخيه من غير ضرر يلحقه ، والجزء من جنس العمل ، فإن من فسح لأنبيه ، فسح الله له ، ومن وسع لأنبيه ، وسع الله عليه . " وإذا قيل انشروا ، أي : ارتفعوا وتنحوا عن مجالسكم ، حاجة تعرض . " فانشروا ، أي : فبادروا للقيام لتحصيل تلك المصلحة . فإن القيام بمثل هذه الأمور من العلم والإيمان " (١) .

من هنا وجب على المؤمنين أن يراعوا في مجالسهم تطبيق آداب المجالس مما جاء في هذه الآية وفي غيرها من النصوص الشرعية ومن هذه الآداب ما يلي :

١. السلام عند القدوم على المجلس وعند الانصراف عنه :

إن من الآداب التي ينبغي على المؤمن أن يتأنب بها في هذا الجانب السلام عند القدوم على المجلس وعند الانصراف عنه لما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم فإن بدا له أن يجلس فليجلس ، ثم إن قام فليسلم ، فليست الأولى بأحق من الآخرة " (٢) وما أكثر من يغفل عن السلام عند القيام

١— السعدي : مرجع سابق ، ص ٧٨٥ .

٢— تقدم تخرجه : ص ١٣١ .

من المجلس بل أن الكثيرون قد يتعجبون من المسلم حال قيامه وما علم أنه أدب نبوى كريم وفيه من الأجر الشيء الكثير .

٢. القيام للقادم :

للقيام للقادم على المجلس أحوال مختلفة ، وللعلماء في ذلك كلام طويل بين مانع ومحيز ، والكلام في هذا الأمر يطول جداً^(١) وليس هذا مكان بسطه ولكن يمكن تلخيص هذا الأمر في القول بأن القيام على قسمين من نوع وجائز^(٢) :

فالمنوع : القيام لمن يحب أن يقام إليه تكريراً وتعاظماً فهذا لا يجوز وفيه يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " من سره أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبواً مقعده من النار "^(٣) .

والجائز على ضربين :

الأول : القيام لمن قدم من سفر ، أو إلى من تجددت له نعمة ليهناً ، أو أصحابته مصيبة فيعزى ، ومن هذا ما جاء في قصة كعب بن مالك عند البخاري في الحديث الطويل وفيه قال : " قال كعب : حتى دخلت المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس ، فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهناني ، والله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره ، ولا أنساها لطحة "^(٤) .

الثاني : القيام للقادم إكراماً أو براً وإحساناً يقول النووي : " وأما إكرام الداخل بالقيام فالذي يختاره أنه مستحب لمن كان فيه فضيلة ظاهرة من علم أو صلاح أو شرف أو ولادة مصحوبة بصيانة أو له ولاده أو رحم مع سن ونحو ذلك ويكون هذا القيام للبر والإكرام والاحترام لا للرياء والإعظام وعلى هذا الذي اخترناه استمر عمل السلف والخلف "^(٥) .

١- انظر : ابن حجر : " فتح الباري " . مرجع سابق ، ج - ١١ ، ص ص ٥٦ - ٥١ ؛ ابن مفلح : مرجع سابق ، ج - ١ ، ص ٤٦٠ ؛ الهرمي : مرجع سابق ، ج - ٢ ، ص ١٥٦ .

٢- انظر : الفلاح : مرجع سابق ، ص ٢٧٢ ؛ الراشد : مرجع سابق ، ص ٢٣٦ .

٣- الترمذى : مرجع سابق ، ح ٢٧٥٥ ، ص ٤٤٤ ؛ وصححه الألبانى : " صحيح سنن الترمذى " ، مرجع سابق ، ج - ٣ ، ح ٢٧٥٥ ، ص ١٠٠ .

٤- البخارى : " صحيح البخارى " ، مرجع سابق ، ح ٤٤١٨ ، ص ٨٣٤ .

٥- النووي : " الأذكار النووية " ، مرجع سابق ، ص ص ٣٨٧ - ٣٨٨ .

ومن قبيل هذا القيام ما روتة عائشة — رضي الله عنها — قالت : " كانت فاطمة إذا دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قام إليها فأخذ يديها وقبلها وأجلسها في مجلسه ، وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت يديه فقبلته وأجلسته في مجلسها " ^(١) .

وهذا لا يكون في اللقاء المتكرر والمعتاد ما لم يستوجب الأمر ذلك ، من جلب مصلحة أو درء مفسدة ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية فيما نقله عنه ابن مفلح : " ينبغي ترك القيام في اللقاء المتكرر المعتاد ونحوه ، لكن إذا اعتاد الناس القيام وقدم من لا يرى كرامته إلا به ، فلا بأس به ، فالقيام رفعاً للعداوة والفساد خيراً من تركه المفضي إلى الفساد ، وينبغي مع هذا أن يسعى في الإصلاح على متابعة السنة " ^(٢) .

ويخلص الباحث بعد هذا البيان إلى أن القيام للقادم على المجلس يعتبر من آداب المجلس إذا كان للمسافر أو من تجددت له نعمة أو أصابته مصيبة وكذلك يقام من أجل الإكرام والبر والإحسان ولكن لا يكون ذلك على سبيل الدوام في كل لقاء متكرر .

٣. كراهة إقامة الرجل من مجلسه ثم الجلوس مكانه :

هذا الأدب مأْخوذ مما رواه ابن عمر — رضي الله عنهم — أن النبي صلى الله عليه وسلم : " نهى أن يُقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه آخر ولكن تفسحوا وتوسعوا " ^(٣) وهذه الكراهة تزول إذا تنازل صاحب المجلس عن مجلسه لغيره ، وذلك أن الحق له وقد تنازل عنه ^(٤) .

٤. عدم التفريق بين اثنين إلا بإذنهما :

هذا الأدب جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم : " لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما " ^(٥) . فهذا أدب نبوي عظيم ، والعلة منع الرجل أن يجلس بين اثنين

١— أبو داود : مرجع سابق ، ح ٥٢١٧ ، ص ٥٦٠ ؛ وصححه الألباني : " صحيح سنن أبي داود " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ح ٤٣٤٧ ، ص ٩٧٩ .

٢— ابن مفلح : مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٤٣٣ .

٣— البخاري : " صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ح ٦٢٧٠ ، ص ١٢٠٧ ؛ النسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ٢١٧٧ ، ص ٨٩٧ .

٤— الشهوب : مرجع سابق ، ص ١٠٤ .

٥— أبو داود : مرجع سابق ، ح ٤٨٤٥ ، ص ٥٢٧ ، والحديث حسن صحيح قاله الألباني : " صحيح سنن أبي داود " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ح ٤٠٥٥ ، ص ٩١٨ .

إلا يأذنهما كما يقول صاحب عون المعبود " أنه قد يكون بينهما محبة ومودة وجريان سر وأمانة فيشق عليهما التفريق بجلوسه بينهما " ^(١) .

٥. الجلوس حيث ينتهي به المجلس :

إن من آداب المجلس أن يجلس القادر حيث ينتهي به المجلس وعدم تكفل الجلوس في المقدمة أو مضايقة ومزاجة الجالسين وهذا الأدب العظيم ثابت من فعل الصحابة - رضي الله عنهم - في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول سرة رضي الله عنه : " كنا إذا أتينا النبي صلى الله عليه وسلم جلس أحدنا حيث ينتهي " ^(٢) .

٦. مراقبة الله وتجنب المحرمات :

إن مما ينبغي على المسلم مراعاته في مجلسه مراقبته سبحانه و عدم الغفلة عن ذكره فيتجنب في مجلسه ما حرم الله من الكذب والغيبة والنسمة وغير ذلك مما حرم الله بل يكون مجلسه عامراً بذكر الله وما يعود عليه بالنفع في الدنيا والآخرة يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان لهم حسرة " ^(٣) .

٧. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم الجلوس مع وجود المنكر :

إن من أولى الصفات التي امتدح الله بها هذه الأمة أمرها بالمعروف وهيها عن المنكر يقول تعالى : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَاوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [سورة آل عمران : آية ١١٠] ، لهذا كان من آداب المجلس هذا الأدب العظيم وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال باليقى هي أحسن يقول تعالى : ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَنِدْلَهُمْ بِالْتَّقْوَى هَيْ أَحْسَنُ﴾ [سورة التحل : آية ١٢٥] ، فإذا رأى المسلم في مجلسه منكراً سارع إلى تغييره امتثالاً

١- العظيم أبادي ، أبي الطيب محمد شمس الحق : عون المعبود شرح سنن أبي داود ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، لبنان ، بيروت ، (١٤١٩هـ) ، م ٧ ، ج ١٣ ، ص ١٣٣ .

٢- أبو داود : مراجع سابق ، ح ٤٨٢٥ ، ص ٥٢٥ ؛ وصححه الألباني : " صحيح سنن أبي داود " ، مراجع سابق ، ج ٣ ، ح ٤٠٤٠ ، ص ٩١٦ .

٣- أبو داود : مراجع سابق ، ح ٤٨٥٥ ، ص ٥٢٧ ؛ وصححه الألباني : " صحيح سنن أبي داود " ، مراجع سابق ، ج ٣ ، ح ٤٠٦٤ ، ص ٩٢٠ .

لقوله صلى الله عليه وسلم : "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فليس بـ
فإن لم يستطع فقلبه ، وذلك أضعف الإيمان " ^(١) .

إذا بذل المسلم جهده في تغيير المنكر الموجود في المجلس ولم يستطع على ذلك ولم
يستجب له فإنه في هذه الحالة يغادر هذا المجلس ولا يرضي بالعقوود امثالاً لقوله تعالى :
﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ تَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ تَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُسَيِّئُكَ
الشَّيْطَنُ فَلَا تَقْعُدَ بَعْدَ الْذِكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ
مِّنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَهُ لَعْنَهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [سورة الأنعام : آية ٦٨ - ٦٩]

وكذلك قوله سبحانه : « وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنِ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكَفِّرُهَا وَيُسْتَهْزِئُ
بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ تَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُتَّافِقِينَ
وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [سورة النساء : آية ١٤٠]

٨. عدم سماع الحديث بدون إذن :

كثيراً ما يحدث في المجالس الكثيرة العدد أن يتاجي اثنان أو أكثر دون المجموعة ،
فتتجدهم يتتحققون في جانب من المجلس مع خفض أصواتهم ففي هذه الحالة لا يجوز
الاستماع إليهم دون إذنهم وفي هذا جاء الوعيد على لسان رسول الله صلى الله عليه
وسلم إذ يقول : " من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون أو يفرون منه صُبّ في
إذنه الآنك * يوم القيمة " ^(٢) .

٩. المحافظة على أسرار المجلس :

هذا أدب عظيم قد فرط فيه الكثير من الناس فتجدهم ما يكادون يخرجون من
مجلس من المجالس إلا ويبدأون بإعلان ونشر ما قد قيل في ذلك المجلس وقد يكون من
ذلك أسرار لأهل المجلس يكرهون أن يطلع عليها أحدٌ من لم يكن حاضراً وقد صح عن

١- النسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ٤٩ ، ص ٥١ .

٢- البخاري : " صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ح ٧٠٤٢ ، ص ١٣٤٥ .

*الآنك : هو الرصاص المذاب وقيل هو خالص الرصاص وقيل القصد انظر : ابن حجر : " فتح الباري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، ص ٤٤٧ .

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهـي أمانة " ^(١) . فـمـا يـنـبـغـي عـلـى الـمـسـلـمـ أنـ يـتـأـدـبـ بـهـ فـي هـذـا الـجـانـبـ حـفـظـ أـسـرـارـ الـجـلـسـ وـمـا قـيلـ فـيـهـ .

١٠. العناية بكـبـيرـ الـقـومـ عـلـمـاـ أوـ سـنـاـ أوـ جـاهـاـ إـكـرامـهـ :

يـقـولـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ : " إـنـ مـنـ إـجـالـ اللـهـ إـكـرامـ ذـيـ الشـيـةـ الـمـسـلـمـ ، وـحـامـلـ الـقـرـآنـ ؛ غـيـرـ الـغـالـيـ فـيـهـ ، وـلـاـ الـجـافـيـ عـنـهـ ، وـإـكـرامـ ذـيـ السـلـطـانـ الـمـقـسـطـ " ^(٢) وـجـاءـ عـنـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ قـوـلـهـ : " أـرـأـيـ فـيـ النـامـ أـتـسـوـكـ بـسـوـاـكـ ، فـجـذـبـيـ رـجـلـانـ أـحـدـهـماـ أـكـبـرـ مـنـ الـآـخـرـ ، فـنـاـوـلـتـ السـوـاـكـ الـأـصـغـرـ مـنـهـماـ ، فـقـيـلـ لـيـ : كـبـرـ ، فـدـفـعـتـهـ إـلـىـ الـأـكـبـرـ " ^(٣) ، وـقـالـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ : " لـيـسـ مـنـ لـمـ يـرـحـمـ صـغـيرـنـاـ ، وـيـعـرـفـ حـقـ كـبـيرـنـاـ " ^(٤) .

فـهـذـهـ النـصـوصـ تـدـلـ عـلـىـ سـنـيـةـ إـكـرامـ كـبـيرـ الـقـومـ عـلـمـاـ أوـ سـنـاـ أوـ جـاهـاـ ، فـإـذـاـ كـانـ فـيـ مـجـلـسـ خـصـ بـعـزـيـدـ عـنـيـةـ ، فـيـيـدـأـ بـهـ عـنـدـ تـقـدـيمـ الشـرـابـ أـوـ الطـعـامـ ثـمـ مـنـ عـلـىـ يـمـينـهـ لـمـ رـوـاهـ سـهـلـ بـنـ سـعـدـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ : " أـنـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـتـيـ بـشـرـابـ فـشـرـبـ مـنـهـ ، وـعـنـ يـمـينـهـ غـلامـ ، وـعـنـ يـسـارـهـ الـأـشـيـاـخـ ، فـقـالـ لـلـغـلامـ : أـتـأـذـنـ لـيـ أـنـ أـعـطـيـ هـؤـلـاءـ ؛ فـقـالـ الغـلامـ : وـالـلـهـ يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ ، لـاـ أـوـثـرـ بـنـصـيـيـ مـنـكـ أـحـدـاـ ، قـالـ : فـتـلـهـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـيـ يـدـهـ " ^(٥) . وـهـذـاـ الـحـدـيـثـ وـإـنـ كـانـ يـقـيـدـ تـقـدـيمـ الـأـيـمـنـ فـالـأـيـمـنـ أـيـاـ كـانـ إـلـاـ أـنـهـ لـاـ يـعـارـضـ أـحـادـيـثـ تـقـدـيمـ الـكـبـيرـ عـلـىـ مـنـ دـونـهـ ، حـيـثـ يـمـكـنـ الـجـمـعـ بـيـنـهـ بـأـنـ تـقـدـيمـ الـأـيـمـنـ يـتـزـلـ عـلـىـ مـنـ شـرـبـ شـيـئـاـ وـبـقـيـ مـنـهـ فـضـلـةـ ، فـيـعـطـيـ مـنـ عـلـىـ يـمـينـهـ إـلـاـ أـنـ يـأـذـنـ ، وـتـقـدـيمـ الـأـكـبـرـ يـتـزـلـ عـلـىـ تـقـدـيمـ الشـرـابـ وـالـطـعـامـ اـبـتـدـاءـ ، ثـمـ يـلـيـهـ مـنـ كـانـ عـلـىـ يـمـينـهـ " ^(٦) .

١ـ التـرـمـذـيـ : مـرـجـعـ سـابـقـ ، حـ ١٩٥٩ـ ، صـ ٣٢٨ـ ؛ وـحـسـنـ الـأـلـيـانـيـ : " صـحـيـحـ سـنـنـ التـرـمـذـيـ " ، مـرـجـعـ سـابـقـ ، جـ ٢ـ ، حـ ٢ـ ، صـ ٣٦٤ـ .

٢ـ الـبـخـارـيـ : " الـأـدـبـ الـمـفـرـدـ " ، مـرـجـعـ سـابـقـ ، صـ ٧٥ـ ؛ وـحـسـنـ الـأـلـيـانـيـ : " صـحـيـحـ الـأـدـبـ الـمـفـرـدـ " ، مـرـجـعـ سـابـقـ ، حـ ٣٥٧ـ ، صـ ١٤٣ـ .

٣ـ الـيـسـابـورـيـ ، مـسـلـمـ : مـرـجـعـ سـابـقـ ، حـ ٣٠٠٣ـ ، صـ ١٢٠١ـ ؛ الـبـخـارـيـ : " صـحـيـحـ الـبـخـارـيـ " ، مـرـجـعـ سـابـقـ ، مـعـلـقاـ ، حـ ٢٤٦ـ ، صـ ٧٠ـ .

٤ـ التـرـمـذـيـ : مـرـجـعـ سـابـقـ ، حـ ١٩٢٠ـ ، صـ ٣٢٤ـ ؛ وـصـحـحـ الـأـلـيـانـيـ : " صـحـيـحـ سـنـنـ التـرـمـذـيـ " ، مـرـجـعـ سـابـقـ ، جـ ٢ـ ، حـ ٢ـ ، صـ ٣٤٩ـ .

٥ـ الـبـخـارـيـ : " صـحـيـحـ الـبـخـارـيـ " ، مـرـجـعـ سـابـقـ ، حـ ٥٦٢٠ـ ، صـ ١١٠٥ـ ؛ الـيـسـابـورـيـ ، مـسـلـمـ : مـرـجـعـ سـابـقـ ، حـ ٢٠٣٠ـ ، صـ ٨٤ـ .

٦ـ الشـلـهـوبـ : مـرـجـعـ سـابـقـ ، صـ ٩٨ـ .

١١. التيامن عند الدخول والخروج :

إن من آداب المجالس أن يبدأ في الدخول والخروج بالأئمين وهذا يحدث عندما يكون الداخلون والخارجون جماعة اثنان فأكثر فهنا يطبق هذا الأدب فيبدأ بالأئمين فالإئمين ويشهد لهذا حديث عائشة: "أنه صلى الله عليه وسلم كان يحب التيمن ما استطاع، في شأنه كلّه، في طهوره وترجله وتعلمه" ^(١).

١٢. التخلق بالأخلاق الحسنة والخصال الكريمة أثناء المجالسة :

إن مما ينبغي أن يتخلّى به المسلم أثناء مجالسته الآخرين التخلّي بالأخلاق الحسنة وفي هذا يقول الجزائري في كتابه منهاج المسلم عند حديثه عن آداب الجلوس والمجلس: "أن يجلس عليه وقار وسكنية، ولا يشك أصابعه، ولا يبعث بلحبيته أو خاتمه، ولا يخلل أسنانه أو يدخل إصبعه في أنفه أو يكثّر من البصاق والتتنّخ أو يكثّر من العطس والشّاؤب، وليكن مجلسه هادئاً قليلاً الحركة، وليكن كلامه منظوماً متزناً، وإذا تحدث فليتحرّ الصواب، ولا يكثّر من الكلام، وليتجنّب المزاح والمراء، وأن لا يتحدث بإعجاب عن أهله وأولاده، أو صناعته، أو إنتاجه المادي والأدبي، من شعر وتأليف، وإذا حدث غيره أصغى يسمع، غير مفرط في الإعجاب بحديث من يسمعه، وأن لا يقاطع الكلام أو يطلب إليه إعادةه، لأن ذلك يسوء المحدث" ^(٢).

١٣. مراعاة حق الطريق للجالس فيه :

إن الجلوس في الطرقات مما نهى عنه الإسلام وكراهه ولكن إذا كان ليس منها بد فعلى الجالس فيها أن يراعي حقوق الطريق وقد جاءت هذه الحقوق مبينة في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا يقول: "إياكم والجلوس على الطرقات" فقالوا: مالنا بد ، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها . قال : "إذا أبیتم إلا المجالس ، فأعطوا الطريق حقها . قالوا : وما حق الطريق ؟ قال : "غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر" ^(٣) .

١— البخاري : " صحيح البخاري " ، المرجع سابق ، ح ٤٢٦ ، ص ١٠٣ .

٢— الجزائري ، أبي بكر حابر : منهاج المسلم ، مكتبة العلوم والحكم ، ط ١ ، المملكة العربية السعودية ، المدينة المنورة ، (١٤٢٠هـ) ، ص ٩٧ .

٣— البخاري : " صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ح ٢٤٦٥ ، ص ٤٦٤ .

٤. ختم المجلس بـكفاره المجلس :

إن أحاديث المجالس قد لا تخلو من اللعنة أو قول ما لا ينبغي أو فعله في غفلة وسهو ؛ من هنا شرع لنا في ديننا الحنيف بفضل الله ورحمته ما سمي بـكفاره المجلس لتكون ماحية لما يكون قد بدر من الإنسان في ذلك المجلس وفي هذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " من جلس في مجلس ، فكثر فيه لعنه ، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهم ، وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، استغفر لك وأتوب إليك ؛ إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك "^(١) . فيبغي على المسلم ملازمة ختم مجلسه بهذا الدعاء العظيم ليكون نقياً تقىً إن شاء الله تعالى .

الآثار التربوية لتطبيق آداب المجالس:

إذا قامت المجالس على الآداب السالفة ذكرها فإن ذلك ينبع آثار تربوية عظيمة

من أهمها :

- ١ - انتشار الألفة والحبة بين أصحاب المجلس .
- ٢ - نيل الأجر والثواب من الله تعالى بما حصل من امتناع أمره واجتناب نهيه .
- ٣ - الإسهام في نشر العلم والقضاء على الجهل .
- ٤ - الإسهام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- ٥ - الإسهام في الإصلاح بين الناس .
- ٦ - الإسهام في مساعدة الفقراء والمحاجين .

١- الترمذى : مرجع سابق ، ح ٣٤٣٣ ، ص ٥٤٣ ؛ وصححه الألبانى : " صحيح سنن الترمذى " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ح ٣٤٣٣ ، ص ٤١٤ .

التطبيقات التربوية :

إن التطبيق التربوي لأي أدب من الأداب يتمثل في الأخذ بتلك الأداب وتطبيقها على أرض الواقع كما تقدم في آداب النجوى وآداب التحية ؛ فيكون التطبيق التربوي لآداب المجلس هو الأخذ بتلك الأداب عند مجالستنا للآخرين وتربية الناشئة عليها ، ويمكن تفعيل هذا التطبيق على النحو التالي :

في الأسرة :

يقوم الوالدان ب التربية أولادهما على آداب المجلس من خلال تلقينهما ذلك وتوضيح الآثار العظيمة المترتبة على تطبيق هذه الأداب كما يتم ذلك عن طريق اصطحاب الوالد لأبنائه إلى المجالس فيكون هو قدوة لأبنائه في الأخذ بآداب المجلس ومن ثم توجيهه لأبنائه إلى تلك الأداب من السلام على أهل المجلس والجلوس حيث ينتهي المجلس وعدم إقامة أحد والجلوس مكانه أو التفريق بين اثنين بدون إذنها إلى غير ذلك من الأداب المتقدم ذكرها كما على الوالد تنبية أبنائه إذا ما وقعوا فيما يخالف آداب المجلس وذلك بأسلوب تربوي حكيم يشجع الأبناء على الأخذ بهذه الأداب ، ولا يكون بالشدة والتغير ، كما يجب على الأم أن تقوم بنفس الدور مع بناتها لينشأن على الأخذ بآداب المجالس .

في المدرسة :

إن المدرسة تقوم بدور مهم وفعال في تربية الناشئة على الأداب الاجتماعية وذلك من خلال المناهج والمقررات والأنشطة اللاصفية وبالنسبة لآداب المجلس فإن المعلم يكون قدوة لتلاميذه أثناء جلوسه معهم في لقاءات الأنشطة المفتوحة أو غيرها من اللقاءات ، كما عليه أن يربى الناشئة على آداب المجلس مما يحتاجون إليه في حجر الدراسة من السلام عند الدخول والجلسة هيئة حسنة والإنصات للمتحدث إلى غير ذلك من الأداب التي يمكن أن يعلّمها لطلابه من خلال الفصل الدراسي ، كما يمكن للأنشطة اللاصفية المتنوعة المساعدة في هذا الجانب من خلال الإذاعة المدرسية والمطويات والمجلات

الحائطية ، كما يمكن للمعلم أن يستغل الرحلات الخارجية والمعسكرات الداخلية في تربية الناشئة على الآداب الاجتماعية ومنها آداب المجلس .

في المجتمع :

إن دور المجتمع بمؤسساته التربوية المختلفة لا يقل أهمية عن دور الأسرة والمدرسة في نشر الآداب الاجتماعية بين أفراد المجتمع بل ربما تعجز الأسرة والمدرسة عن القيام بدورهما إذا لم تتكاشف وتنازر معهما بقية مؤسسات المجتمع المختلفة ؛ لذلك فإن من الواجب أن تتعاون جميع المؤسسات التربوية في هذا الجانب ومن الجوانب التطبيقية التي يمكن أن تقوم بها مؤسسات المجتمع التربوية المختلفة في بث ونشر الآداب الاجتماعية المختلفة ومنها آداب المجلس ما يلي :

— يمكن للإعلام أن يعمل سلسلة من الندوات والبرامج المفتوحة حول الآداب الاجتماعية وكيفية تطبيقها ، وتبين الآثار التربوية المترتبة على تطبيقها بين أفراد المجتمع . كما يمكن لصاحب القلم من كاتب ومؤلف وغيرهما أن يقوم بكتابة سلسلة من المقالات التربوية حول الآداب الاجتماعية وآثارها التربوية .

— يقوم المسجد كذلك بدور مهم في هذا الجانب حيث يمكن للإمام أن يفعل خطبة الجمعة في بث الآداب الاجتماعية بين أفراد المجتمع وبيان عظم آثارها التربوية .

— كذلك يمكن تفعيل المراكز الثقافية والعلمية لتقوم بدورها في نشر الآداب الاجتماعية التي يحتاج إليها أفراد المجتمع ، وذلك عن طريق الدورات والكتب والنشرات .

الأخضر والأسود

((التوجيهات المُتضمنة في الجانب الفكري))

- المحور الأول : الحوار .
- المحور الثاني : فضل العلم ومنزلة أهله .

مدخل :

إن جانب التربية العقلية أو الفكرية له مكانته الرفيعة ، وأهميته البالغة بين جوانب التربية ؛ وذلك أنه يهتم بجانب رئيس من جوانب شخصية الإنسان ، حيث إن شخصية الإنسان تتكون من ثلاثة جوانب أساسية جانب جسدي ، وجائب روحي ، وجائب عقلي . والطريقة الصحيحة هي التي تقوم على تنمية هذه الجوانب الثلاثة ليتحقق للإنسان النمو المترن في جميع هذه الجوانب ، من هنا حظي هذا الجانب — كغيره من جوانب التربية — باهتمام التربية الإسلامية ، وأولته العناية الخاصة به ؛ فالناظر في الكتاب والسنّة يجد أن عدداً كبيراً من النصوص الشرعية تنصب على هذا الجانب مبيناً أهمية إمعان العقل وتفعيل ملكة التفكير وفق ضوابط شرعية يستطيع الإنسان من خلالها أن يحقق التفكير السليم ، وتصبح لديه القدرة على النظر والتأمل بحيث يستطيع فهم ما يحيط به ، والتعامل معه تعاملًا مناسباً، وفي هذا الفصل سوف يكون الحديث عن موضوعين من الموضوعات المهمة في جانب التربية العقلية الفكرية هما :

— الحوار .

— فضل العلم ومرتبة أهله .

وسيكون الحديث عن هذين الموضوعين من خلال آيات سورة المجادلة .

المحور الأول : الحوار

يُعدُّ الحوار من أبرز موضوعات السورة ولذلك كان من أسمائها المشهورة **المجادلة** بمعنى المخاورة وذلك نسبة إلى الحوار الذي حدث بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين خولة بنت ثعلبة - رضي الله عنها - وورد موضوع الحوار في مطلع السورة حيث يقول سبحانه : « قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُخَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَخَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ » [سورة المجادلة : آية ١] .

يقول النسفي في تفسيره لقوله { تجادلك } أي : " تحاورك وقرئ بها " والله يسمع تحاوركمأ أي : " مراجعتكم الكلام من حار إذا رجع " ^(١) ، ويقول أبو السعود " أي تراجعك الكلام في شأنه وفيما صدر عنه في حقها من الظهار وقرئ تحاورك وتحاولك أي تسائلك ، { والله يسمع تحاوركمأ } : " أي يعلم تراجعتكم الكلام " ^(٢) .

وقد وردت هذه المخاورة في كتب التفسير بصيغ مختلفة بعض الشيء في ألفاظها وقد تقدمت إحدى هذه الروايات عند ذكر سبب نزول السورة في الفصل الثاني ^(٣) ويتسلو الباحث في هذا المحور **الحوار** ماهيته وأهميته وأهدافه التربوية وأنواعه وآدابه وآثاره وتطبيقاته التربوية وذلك على النحو التالي :

ماهية الحوار :

الحوار في اللغة مأخذ من **الحور** وهو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء ، والمخاورة المجادلة ، والتحاور التجاوب ، وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام ^(٤) وجاء في المفردات للأصفهاني : " والمخاورة والحوار : المراد في الكلام ، ومنه التحاور ، قال تعالى : « وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَخَاوُرَكُمَا » [سورة المجادلة : آية ١] وكلمته **فما رجع إلى حواراً** ، أو حoyerأ أو محوررة أي جواباً " ^(٥) هذا تعريف الحوار من حيث اللغة أما من حيث الاصطلاح

١- النسفي ، أبي البركات عبدالله بن أحمد : تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التغريب وحقائق التأويل ، المكتبة الأموية ، لبنان ، بيروت ، (د ، ت) ، جـ ٥ ، ص ١٦١ .

٢- أبو السعود : مراجع سابق ، جـ ٧ ، ص ٢١٥ .

٣- انظر ص ١٦ .

٤- ابن منظور : مراجع سابق ، جـ ٥ ، ص ٢٩٦ - ٢٩٨ .

٥- الأصفهاني : مراجع سابق ، ص ٢٦٢ .

فيعرفه زرمي بقوله : " مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين " ^(١) ومن تعريفات الحوار في الاصطلاح : أنه نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين ، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر ، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب " ^(٢) .

وقد اشتمل القرآن الكريم على نماذج كثيرة للحوار ، منها ما دار بين الله عز وجل وملائكته في موضوع خلق آدم ، ومنها ما دار بين الله سبحانه ورسله ، ومنها ما دار بين الرسل وأقوامهم ، ومنها ما دار بين المؤمنين والكافرين ، ومنها ما دار بين الأتباع والمتبعين إلى غير ذلك ، والأمثلة في هذا المجال كثيرة جداً كلها تدل على أهمية الحوار وخطورته ^(٣) ، ولكن لفظ الحوار لم يرد في القرآن الكريم إلا في ثلاثة مواضع :

الأول : في الآية مدار البحث في هذا الحوار وهي : ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ أَلَّتِ تُجَنِّدُ لَكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [سورة الجادلة : آية ١] .

الثاني : في سورة الكهف في قوله تعالى : ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ تَحَاوِرُهُ أَكَمْ أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعْزَزُ نَفْرًا﴾ [سورة الكهف : آية ٣٤] .

الثالث : في نفس السورة في قوله تعالى : ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ تَحَاوِرُهُ أَكَفَرَتْ بِاللَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّلَكَ رَجُلًا﴾ [سورة الكهف : آية ٣٧] .

مصطلحات متقاربة للحوار :

من المصطلحات المقاربة لصطلاح الحوار : الجدل والمحاجة والمناظرة .
فاجدال هو : " المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم " ^(٤) ، وقد وردت مادة الجدال في تسعه وعشرين موضعًا كلها في سياق النم إلا في أربعة مواضع :

١— زرمي ، يحيى بن محمد حسن بن أحمد : الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة ، دار التربية والتراجم ، ط ١ ، المملكة العربية السعودية ، مكة المكرمة ، (١٤١٤هـ) ، ص ٢٢ .

٢— الندوة العالمية للشباب الإسلامي : في أصول الحوار ، ط ٣ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٠٨هـ) ، ص ١١ .

٣— المرجع السابق : ص ١٣ .

٤— الألبي ، زاهر عواض : مناهج الجدل في القرآن الكريم ، مطبوع الفرزدق التجارية ، ط ٣ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٠٤هـ) ، ص ٢٤ .

الأول : في قوله تعالى : « فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرُّوْحُ وَجَاءَهُ الْبُشْرُى تُجَنِّدُ لَنَا فِي قَوْمٍ لُوطٍ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ » [سورة هود : آية ٧٤ - ٧٥].

الثاني : في قوله تعالى : « أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَنَدُهُمْ بِالَّتِي هُنَّ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ » [سورة النحل : آية ١٢٥].

الثالث : في قوله تعالى : « وَلَا تُجَنِّدُوا أَهْلَ الْكِتَابَ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا إِنَّا أَمَنَّا بِالَّذِي أُنْزَلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » [سورة العنكبوت : آية ٤٦].

الرابع : في الآية مدار البحث في هذا المخور وهي قوله تعالى : « قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ أَلَّى تُجَنِّدُ لَكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ » [سورة المجادلة : آية ١١].

فيتضمن الآيات السابقة أن الجدل لم يؤمر به ولم يدح على الإطلاق بل قيد بالإحسان في الموضعين الثاني والثالث مجردًا منه بمعنى الخوار المادئ في الموضعين الأول والرابع ^(١).

وال الحاجة قريبة من الجدل وهي : "أن يطلب كل واحد أن يرد الآخر عن حجته ومحجته" ^(٢) ، وقد ورد مصطلح الحاجة أو التحاج في القرآن الكريم عشرين مرة ، حيث أنت بمعنى التخاصم والجدال في بعضها مثل قوله تعالى : « هَنَّا تُمْ هَتَّلُؤُءَ حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » [سورة آل عمران : آية ٦٦] ، وأنت بمعنى البرهان أو ما دفع به الخصم مثل قوله تعالى : « وَتَلَكَ حُجَّتَنَا إِتَّيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرَفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ شَاءَ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ » [سورة الأنعام : آية ٨٣].

١- الحبيب ، طارق بن علي : كيف تجاور دليل عملي للحوار ، توزيع مؤسسة الجرينس ، ط ٣ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢١ھـ) ، ص ٩ ؛ ديماس ، محمد : فنون الحوار والإقناع ، دار ابن حزم ، ط ١ ، لبنان ، بيروت ، (١٤٢٠ھـ) ، ص ١٣ .

٢- الأصفهاني : مراجع سابق ، ص ٢١٩ .

أما الماناظرة فهي : " تردد الكلام بين شخصين يقصد كل واحد منها تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه ، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق "^(١) ، والماناظرة بهذا المعنى لم ترد في القرآن الكريم ^(٢) .

وبهذا يتبيّن أن الحوار لفظ عام يشمل عدة صور منها : الماناظرة والمحادلة والمحااجة ^(٣) حيث تشتراك هذه المصطلحات مع الحوار في أن الجميع عبارة عن مراجعة للكلام ومداولة له بين طرفين ، ثم تفترق الماناظرة في دلالتها على النظر والتفكير ، والجدال والمحااجة في دلالتهما على المخاصمة والمنازعة ^(٤) .

أهداف الحوار

لكل حوار هدف ، وهدف الحوار هو ثمرته ، وهو الذي يحدد أساليبه وآدابه ، ومن ثم كان تحديد هدف الحوار أهميته ، وتحديد الهدف يخضع لطبيعة المتحاورين وطبيعة القضايا المطروحة ^(٥) ، ومن أهم أهداف الحوار ما يلي :

- ١— إثبات الحق وإيصاله .
- ٢— رد الباطل وتفنيده شبهه .
- ٣— إيجاد حل يرضي الأطراف المتحاورة .
- ٤— تصحيح المفاهيم .
- ٥— تهذيب السلوك .
- ٦— البحث والتنقيب والاستقصاء .
- ٧— التعليم .
- ٨— التفريغ الانفعالي .

١— الألعلوي : مرجع سابق ، ص ٣٠ .

٢— زمزمي : مرجع سابق ، ص ٢٧ .

٣— الصوبيان ، أحمد بن عبد الرحمن : الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية ، دار الوطن ، ط ١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٤١٣هـ ، ص ١٧ .

٤— زمزمي : مرجع سابق ، ص ٣١ .

٥— المراجع سابق ، ص ٤٢ - ٤٧ .

أنواع الحوار :

لقد تعددت أنواع الحوار وأساليبه في النصوص الشرعية من الكتاب والسنّة ومن أهم هذه الأنواع أربعة^(١) :

النوع الأول : الحوار الخطابي

هذا النوع من الحوار يبدو لأول وهلة أنه خطاب من طرف واحد حيث لا يظهر الطرف الثاني ، ولكن في الحقيقة أن الطرف الثاني يستجيب بعواطفه ووجوده وانفعاليه وتفكيره^(٢) ، وهذا مبني على أن كل مؤمن مخاطب بنصوص الشرع كما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه إذ قال : "إذا سمعت الله يقول "يأيها الذين آمنوا" فأولها سمعك فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه"^(٣) ، فيمكن القول بأن الحوار الخطابي عبارة عن محاورة طرفها الأول : الشارع الحكيم وطرفها الثاني : استجابة العبد بعواطفه ووجوده وانفعاليه وتفكيره ، وهي استجابة واقعية مؤثرة ومقنعة^(٤) .

وللحوار الخطابي ستة أشكال^(٥) :

١- **الحوار الخطابي الموجه للمؤمنين** : وهو ما يصدر بناء الإيمان {يأيها الذين آمنوا} ، وقد حوى القرآن الكريم تسعين خطاباً بهذه الصيغة^(٦) وهي في مثل قوله تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَعِنَا وَقُولُوا أَنْظَرْنَا وَأَسْمَعْنَا وَلِلَّهِ الْكَفَرُ إِنَّ عَذَابَ

أَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة : آية ١٠٤] .

٢- **الحوار الخطابي التذكيري** : ويقوم على التذكير بنعم الله مثل قوله تعالى : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَآذُكُرُوا بِنَعْمَتِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ

١- انظر : التحلاوي ، عبد الرحمن : أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، دار الفكر ، ط ١ ، سوريا ، دمشق ، (١٣٩٩هـ) ، ص ص ١٨٥ - ٢١٠ .

٢- المراجع السابق ، ص ١٩٧ .

٣- الشوكاني : "فتح الباري" ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٢٥ .

٤- جبار ، سالم سعيد بن مسفر : الاقطاع في التربية الإسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، مكة المكرمة ، كلية التربية ، قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، (١٤١٦هـ) ، ص ٨٤ .

٥- التحلاوي : مرجع سابق ، ص ص ١٨٩ - ١٩٦ .

٦- الجزائري ، أبو بكر جابر : نداءات الرحمن لأهل الإيمان ، مكتبة لينة ، ط ١ ، مصر ، دمنهور ، (١٤١٤هـ) ، ص ٥ .

بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِي إِخْرَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَانْقَذَكُمْ مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهَتَّدُونَ ﴿٤﴾ [سورة آل عمران : آية ١٠٣] ، أو تذكر بعض الطوائف بذنب أسلافهم والخرافات التي مازالوا يتصرفون بها . وذلك مثل قوله تعالى فيبني إسرائيل : ﴿سَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ ءاَتَيْنَاهُمْ مِّنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةً وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة البقرة : آية ٢١١] .

٣- الحوار الخطابي التبيهي أو الإيضاحي : وصورته أن يرد سؤال يليه جوابه من أجل لفت الأنظار إلى أمر هام ومن ثم بيانه وشرحه كقوله تعالى : ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُوَ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ [سورة النبأ : آية ٣-١] .

٤- الحوار الخطابي الوج다كي أو العاطفي : وهو خطاب يقوم على إثارة عواطف الإنسان ووجداه مما يؤثر فيه فيجعله ينقاد للسلوك الحسن والعمل الصالح وذلك عن طريق الترغيب والترهيب ونحوها والأمثلة على هذا النوع كثيرة ومتنوعة ومتنوعة مثل قوله تعالى : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ الَّيَلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٢﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوَانًا وَإِذَا خَاطَبُهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيُّونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيمًا﴾ [سورة الفرقان : آية ٦١ - ٦٤] .

٥- الحوار الخطابي الترديدي وهو الذي يتعدد فيه سؤال مثير للعواطف ويتكرر مراراً وذلك مثل قوله تعالى : فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تَكذِّبَانِ حَيْثُ تَكْرُرَتِ في سورة الرحمن "٣١" مرة في كل مرة تثير العواطف نحو صفة معينة من شكر أو خوف أو نحوها .

٦- الحوار الخطابي التعريضي : وهو خطاب من الله سبحانه وتعالي إلى رسوله صلى الله عليه وسلم يتضمن التعريض بالشركين من استهزاء بباطلهم ووصف لساوئهم وتقديس لهم بعذاب الله وتحذير من سلوكهم كقوله تعالى : ﴿أَفَرَءَيْتَ الَّذِي تَوَلَّ ﴿١﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا﴾

وَأَكْدَىٰ ﴿٦﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ ﴿٧﴾ أَمْ لَمْ يُتَبَّأِ بِمَا فِي صُحْفِ مُوسَىٰ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَهِيمَ الَّذِي
وَقَىٰ ﴿٩﴾ أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وَزَرَ أَخْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَأَنَّ لَيْسَ لِلنَّاسِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿١١﴾ [سورة النجم : آية ٣٣ - ٣٩].

النوع الثاني : الحوار الوصفي :

ويقوم على وصف حي حالة نفسية أو واقعية للمتحاورين بغرض الاقتداء بهم في الخير والاتعاظ بهم من الواقع في الشر . والأمثلة على هذا النوع كثيرة منها قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا يَوْمَئِنَا هَذَا يَوْمُ الْدِينِ ﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِمِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ * أَحَشْرُوا
الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَرْوَاحَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَآهَدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ وَقَفُوا هُمْ
إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصِرُونَ ﴾ بَلْ هُمْ الْيَوْمُ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
يَتَسَاءَلُونَ ﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَا عَنِ الْيَمِينِ ﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ وَمَا كَانَ لَنَا
عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَنٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِيْنَ ﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَدَائِقُونَ ﴾ فَأَغْوَيْنَاهُمْ إِنَّا
كُنَّا غَوْيِينَ ﴾ [سورة الصافات : آية ٢٠ - ٣٢].

النوع الثالث : الحوار القصصي :

وهو الحوار الذي يأتي ضمن قصة ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿إِنَّا بَلَوَنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا
أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لِيَصْرِمُنَا مُصْبِحِينَ ﴾ وَلَا يَسْتَئْنُونَ ﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائبٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ
نَاهِمُونَ ﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴾ أَنْ أَغْدُوْا عَلَىٰ حَرَثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَرِمِينَ
فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَّتُونَ ﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَنَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ ﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرَدٍ قَنْدِيرِينَ
فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَّمَ أَقْلَ لَكُمْ لَوْلَا تُسَيِّحُونَ
قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَوَّمُونَ ﴾ قَالُوا يَوْمَئِنَا
إِنَّا كُنَّا طَاغِيْنَ ﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ
الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة القلم : آية ١٧ - ٢٣].

النوع الرابع : الحوار الجدلي من أجل إثبات الحجة :

وهو حوار يكون الغاية منه إثبات الحجة على أهل الباطل والرد على شبههم ودحض دعاوهم وإلزامهم بالحق ومن أمثلة هذا النوع قوله تعالى : ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِعِنْدِكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مُجَنِّونٍ﴾ ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَرَصُ بِهِ رَبِّ الْمَنْوَنِ﴾ قُلْ تَرَبَصُوا فَإِنِّي مَعْكُم مِنْ بَعْدِ الْمُتَرَبَصِينَ﴾ ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلُهُمْ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فَلَيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَدِيقِينَ﴾ ﴿أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَلِقُونَ﴾ ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَرَابٌ مِنْ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ ﴿أَمْ هُمْ سُلْطَنٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلَيَأْتُ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿أَمْ لَهُ أَبْنَتُ وَلَكُمُ الْأَبْنُونَ﴾ ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرِبِ مُتَنَقْلُونَ﴾ ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ أَغْيَبٌ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ ﴿أَمْ هُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾ وَإِنْ يَرْوَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابَةٌ مَرَكُومٌ﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الطور : آية ٢٩ - ٤٧].

آداب الحوار :

إن المري والداعية إذا لم يلم بأداب الحوار ويطبقها في حواراته فلن يتحقق له ما يصبو إليه من وراء حواره ، فكثيراً من الحوارات لا تتحقق أهدافها أو تتحقق في تحقيق جماع أهدافها بسبب عدم العمل بأداب الحوار ، والخلل في هذا الجانب ؛ من هنا كان معرفة آداب الحوار وتطبيقاتها في حواراتنا التربوية والدعوية أهمية بالغة تتطلب من كل مرب وكل داعية أن يولي هذا الجانب عناية خاصة ، وآداب الحوار كتبت فيها الكتابات الكثيرة بعضها لها صيغتها الخاصة كحوار الكفار من أهل الكتاب وغيرهم وبعضها

حوارات دعوية وأخرى تربوية وأخرى اقتصادية وغيرها سياسية وهكذا ، والدراسة الحالية سوف تعالج هذا الموضوع بذكر أهم الآداب مما يعتبر من أصول آداب الحوار بشكل عام بغض النظر عن نوع الحوار الذي يُطرح وذلك أن الحديث عن جميع آداب الحوار مع كثرة تنوّعه أمر يطول جداً وليس هذا مكان بسطه ، فمن أهم أصول آداب الحوار في نظر الباحث ما يلي :

١. التجرد في طلب الحق "الإخلاص"

إن مما ينبغي أن يتخلّى به المخاور المسلم في حواره الإخلاص والتجرد في طلب الحق ، فهدفه بلوغ الحق سواءً على لسانه أو لسان من يحاوره ، فالحكمة ضالته . ومن أعظم ما يوصل إلى الحق التجرد في طلبه . وللتجرد في طلب الحق مقتضيات من أهمها^(١) :

- أ — الدخول في الحوار مع الاستعداد لتقبل الحق مهما يكون قائله .
- ب — الإنصاف والعدل .
- ج — الخبرة رغم الخلاف .
- د — الصدق والأمانة .
- ه — الشبت .
- و — الرجوع إلى الحق والتسليم بالخطأ .

٢. البعد عن المراء "الجدل"

هذا أصلٌ فهمه مهم للغاية ، فالحوار إذا تحول إلى جدل عقيم لا يشعر ثمرة طيبة يكون قفله وإيقافه خيراً من استمراره^(٢) ، وقد تقدم أن الجدال لا يكون محموداً إلا إذا

* ومن أجمع الدراسات التي اطلع عليها الباحث في هذا الموضوع : دراسة بعنوان : الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة وهي عبارة عن رسالة ماجستير من جامعة أم القرى مقدمة من الباحث يحيى بن محمد بن حسن ززمي . جمع فيها الباحث أكثر آداب الحوار وقسمها إلى ثلاثة أقسام آداب نفسية وآداب علمية وآداب لفظية وذكر تحت كل قسم مجموعة من الآداب .

١— انظر : الصويان ، مرجع سابق ، ص ٨٠ ؛ ززمي ، مرجع سابق ، ص ص ١١٣ – ٤٧٧ .

٢— العقلا ، علي بن فراج بن علي : الخلاف وتأصيل آدابه في التربية الإسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، مكة المكرمة ، كلية التربية ، قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، (١٤١٥ هـ) ، ص ١٥٦ .

كان مقيداً بالحسنى أو كان بمعنى الخوار أما إذا تجرد الجدال عن الحسنى وتحضر في اللدد والخصوصة فهنا يكون أمراً محذراً ، وحدّ الجدال : "أن ينكر الحق الذي ظهرت دلالته ظهوراً لا خفاء فيه ، ويتعصب للباطل الذي ظهرت دلالته ظهوراً لا خفاء فيه" ^(١) ، فاجدل بهذا المعنى آفة خطيرة وله من الفتن والآثار السيئة أمور عظيمة من أهمها ^(٢) :

- أ— دخول الهوى والتعصب للباطل ورد الحق .
- ب— قسوة القلب والانشغال بالجدل عن العمل .
- ج— حب الشيطان وفرحة بذلك ، ودخوله من خلال هذه الفتنة للتحريش والتفريق .
- د— ظهور وانتشار كثير من البدع والضلالات .
- ه— الظلم والبغى والتكبر والعجب .

٣. حسن الخلق

هذا أصل عظيم ينبغي للمحاور أن يتحلى به ؛ حيث دلت الكثير من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة على ذلك ، فمن ذلك يقول تعالى في حق سيد المرسلين وإمام المتقين وقدوة المؤمنين «وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ» [سورة القلم : آية ٤] ويقول: «فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لِنَتَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَطَّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا نَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ شَيْبُ الْمُتَوَكِّلِينَ» [سورة آل عمران : آية ١٥٩] ، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : "إن من أخيركم أحسنكم خلقاً" ^(٣) ، ويقول : "ما شيء أتفقل في ميزان المؤمن يوم القيمة من خلق حسن ، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء" ^(٤) . إلى غير ذلك من النصوص الدالة على مكانة حسن الخلق في الدين ، راتزام حسن الخلق في الحوار له دور كبير في إقناع الطرف الآخر ، وقبوله للحق وإذعانه للصواب . فكل من

١— الصويان : مرجع سابق ، ص ٩٥ .

٢— الجليل : مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٤٩٥ .

٣— البخاري : " صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ح ٦٠٢٩ ، ص ١١٦٧ ؛ النسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ٢٣٢١ ، ص ٩٤٩ .

٤— الترمذى : مرجع سابق ، ح ٢٠٠٢ ، ص ٣٣٤ ؛ وصححه الألبانى : " صحيح سنن الترمذى " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ح ٣٧٨ ، ص ٣٧٨ .

يرى ويлемس من معاوره خلقاً فاضلاً فإنه لا يملك إلا أن يحترم معاوره ويتبنى فكرته، ويختضع لرأيه، أو على أقل تقدير يفتح قلبه لاستماع الرأي الآخر، ويعرضه على عقله بطيب نفس ورحابة صدر وسعة أفق^(١).

وحسن الخلق يقوم على عدة أمور يقول ابن القيم: "حسن الخلق يقوم على أربعة أركان لا يتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل"^(٢) ويقول الماوردي في صفة صاحب الخلق الحسن: "أن يكون سهل العريكة، لين الجانب طلاق الوجه، قليل النفور، طيب الكلمة"^(٣).

ويقول السعدي في بيان حسن الخلق: "هو خلق فاضل عظيم النفع، أساسه الصبر، والحلم، والرغبة في مكارم الأخلاق، وآثاره العفو، والصفح عن المسيئين، وإيصال المนาفع إلىخلق أجمعين، فهو احتمال الجنایات، والعفو عن الزلات، ومقابلة السيئات بالحسنات، وقد جمع الله ذلك في آية واحدة"^(٤) وهي قوله: «خُذْ الْعَفْوَ وَأْمِرْ

بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَهَلِينَ» [سورة الأعراف: آية ١٩٩].

ومما سبق يتضح أن حسن الخلق أصل لكل خلق فاضل واحتواه، والنفور من كل خلق رذيل ونبذه، ومن هنا يمكن القول بأن لحسن الخلق مقتضيات وله محترزات فمن مقتضياته التواضع ولين الجانب والحلم والصبر والعفة والعدل إلى غير ذلك من الأخلاق الفاضلة، أما محترزاته فمنها: الكبر والعجب والظلم والاستهزاء بالآخرين وتسفيه آرائهم إلى غير ذلك من الأخلاق الرذيلة.

٤. العلم

إن مما لا شك فيه أن الحوار لا يحقق غايته إلا إذا كان قائماً على علم وبصيرة، أما إذا فقد هذا الأمر فسيكون مآل الحوار إلى الفشل بل ويصبح ضرره أكثر من نفعه

١— زمزمي: مرجع سابق، ص ١٦١؛ العقلاء: مرجع سابق، ص ١٥٤.

٢— ابن القيم: "مدارج السالكين"، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٩٤.

٣— الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد: *أدب الدنيا والدين*، الدار المصرية اللبنانية، ط١، مصر، القاهرة، تحقيق: محمد فتحي، (١٤٠٨هـ)، ص ٢٩٢.

٤— السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: *الرياض الناضرة والحاقة النيرة الراحلة في العقائد والفتون المتوعة الفاخرة*، مكتبة المعارف، ط٣، المملكة العربية السعودية، الرياض، (١٤٠٥هـ)، ص ٧٤.

ويضاع فيه الجهد ويهدى في الوقت بلا فائدة تذكر أو ثمرة ترجى^(١) والعلم المقصود هنا يشمل جوانب عدّة من أهمها :

- العلم بالنصوص الشرعية المتعلقة بموضوع الحوار .
- العلم بتفاصيل موضوع الحوار وجزئياته المختلفة .
- العلم بشيء من أصول الاجتهاد وضوابط الاستباط وقواعد الترجيح مما يعين على التوصل إلى الحكم الصحيح والرأي الراجح في الأقوال المختلفة .
- العلم بالأراء المختلفة حول موضوع الحوار من مؤيد ومعارض ومستند كل رأي وما قيل في نقضه أو تعزيزه .
- العلم بالطرف الآخر من حيث مقدار علمه ومعرفة ظروفه وأحواله ومكانته ومدى قوته وضعفه .
- العلم بمنهجية الحوار وأصوله وآدابه وأساليبه المختلفة .

أهمية الحوار وقيمة التربوية :

إن للحوار أهمية بالغة في مجال التربية والدعوة وتظهر قيمة التربوية في عدّة جوانب ويمكن بيان أهمية الحوار وفي محتواه التربوية من خلال النقاط التالية :

- ١— إن الناظر في كتاب الله يجد أن القرآن الكريم حثّ على أسلوب الحوار ودعا إليه يقول تعالى : « أَذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَنِدُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ صَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ » [سورة التحليل : آية ١٢٥] ، وجاءت النماذج الكثيرة والمتنوعة للحوار وهذا كله يدل على أهمية الحوار وقيمة التربوية .
- ٢— أنه من منهج الأنبياء :

إن مما اشتمل عليه القرآن وأكثر من إيراده قصص الأنبياء ، وهذه القصص ما مليء بها القرآن حشوًّا ولم توجد عبئًا ؛ بل لها أهدافها العظيمة ومن ذلك الاقتداء بهديهم والسير على منهجهم ونحن مأموروون بذلك ففي سورة الأنعام بعد أن ذكر الله مجموعة

من الأنبياء أمر نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بهديهم فقال : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِدَنَاهُمْ أَفَتَدِهُ﴾ [سورة الأنعام : آية ٩٠]، يقول الطبرى في تفسيره لهذه الآية : " فالعمل الذي عملوا ، والمنهج الذى سلكوا وبالمهدى الذى هدينالهم والتوفيق الذى وفقناهم اقتده يا محمد : أي فاعمل وخذ به واسلكه فإنه عمل لله فيه رضا ، ومنهاج من سلكه اهتدى " ^(١) ، والأمر له صلى الله عليه وسلم أمر لأمته لقوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب : آية ٢١] .

والمتأمل لقصص الأنبياء يجد أن من أبرز أساليبهم في الدعوة والتربيـة أسلوب الحوار فلا تخلو قصة من قصص الأنبياء من هذا الأسلوب المهم ، ومن أوضح الأمثلة على ذلك قصة نوح – عليه السلام – الذى لبث في قومه ذلك الزمن الطويل وهو يجادلهم ويحاورهم بشـتى الصور والأـسـالـيب حيث يقول تعالى عنه : ﴿قَالَ رَبِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ﴾ ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبِعَهُمْ فِي أَذْنِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوْا وَأَسْتَكْبِرُوا أَسْتَكْبِرًَا ﴾ ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ حِهَارًا ﴾ ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَمْ بِهِمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ ﴿فَقُلْتُ أَسْتَغْفِرُ رَبِّكُمْ إِنَّهُ كَارِ غَفَارًا﴾ [سورة نوح: آية ٥ - ١٠] ، ف بهذه الأسـالـيب المتـنوـعة والـحـوارـ الجـادـ المستـمر ما كان من قـومـهـ المعـانـدـينـ الصـادـينـ عنـ الحـقـ إلاـ أنـ قـالـواـ : ﴿قَالُوا يَنْتُوحُ قَدْ جَنَدْنَا فَأَكْثَرَ حِدَانَا فَأَتَتْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [سورة هود: آية ٣٢] .

٣— أثره الإيجابي في الواقع :

إن مما يـبـينـ أهمـيـةـ الحـوارـ وـقيـمـتهـ التـربـويـةـ أـثـرـهـ الإـيجـابـيـ المـلمـوسـ فيـ أـرـضـ الـوـاقـعـ " فـكـمـ منـ كـافـرـ دـخـلـ الإـسـلاـمـ عنـ طـرـيقـ الـحـوارـ ، وـكـمـ منـ مـبـتـدـعـ ضـالـ رـجـعـ عنـ بـدـعـتـهـ بـسـبـبـ الـحـوارـ وـالـنـاظـرةـ ، وـكـمـ منـ عـاصـ قـاتـ إـلـىـ رـبـهـ وـرـجـعـ إـلـىـ عـقـلـهـ بـعـدـ مـحـاـورـتـهـ " ^(٢) والأمثلة علىـ هـذـاـ الـأـمـرـ أـكـثـرـ مـنـ أـنـ تـحـصـرـ ، وـيـكـتـفـيـ الـبـاحـثـ بـإـيـرـادـ مـثـالـاـ وـاحـدـاـ بـيـنـ هـذـاـ الـأـمـرـ أـلـاـ

١— الطبرى : مرجع سابق ، م ٥ ، ج ٧ ، ص ٣٤٥ .

٢— الززمى : مرجع سابق ، ص ٣٤ .

وهو حوار ابن عباس — رضي الله عنه — للخوارج ، فمما جاء في هذا الحوار أن ابن عباس أول ما دخل عليهم قالوا له : " ما جاء بك يا بن عباس ؟ وما هذه الحلة عليك ؟ قال : ما تعيبون من هذه ؟ فلقد رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما يكون من ثياب اليمنية ، قاتل ثم قرأت هذه الآية ﴿قُلْ مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [سورة الأعراف : آية ٣٢] ، فقالوا ما جاء بك ؟ فقال : جئتكم من عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فيكم منهم أحد ، ومن عند ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليهم نزل القرآن ، وهم أعلم بتأويله ، جئت لأبلغكم عنهم وأبلغهم عنكم ، فقال بعضهم : لا تخاصموا قريشاً فإن الله تعالى يقول : ﴿بَلْ هُرْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [سورة الزخرف : آية ٥٨] ، فقال بعضهم : بلى ! فلنكلمنه ، قال : فكلمني منهم رجلان أو ثلاثة ، قال : قلت : ماذا نقمتم عليه ؟ — أي على علي بن أبي طالب رضي الله عنه — قالوا : ثلاثة ، فقلت ما هن ؟ قالوا : حكم الرجال في أمر الله ، وقال الله عز وجل : ﴿إِنِّي أَحْكُمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [سورة الأنعام : آية ٥٧] ، قال : قلت : هذه واحدة ، وماذا أيضاً ؟ قالوا : فإنه قاتل فلم يسب ولم يغنم ؛ فلئن كانوا مؤمنين ما حل قتالهم ، ولئن كانوا كافرين لقد حل قتالهم وسيبهم ، قال : قلت : وماذا أيضاً ؟ قالوا : ومح بنفسه من أمير المؤمنين ، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين ، قال : قلت : أرأيتم إن أتيتكم من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينقض قولكم هذا ، أترجعون ؟ قالوا : وما لنا لا نرجع ؟ قلت : أما قولكم حكم الرجال في أمر الله ، فإن الله عز وجل قال في كتابه : ﴿يَتَائِبُ إِلَّا الَّذِينَ إِمَّا تَقْتُلُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَإِنْ شُرُّمْ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُهُ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ سَحْكُمُ بِهِ دَوَا عَدْلٌ مِنْكُمْ﴾ [سورة المائدة : آية ٩٥] ، وقال في المرأة وزوجها : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْتَعِثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِمْ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ [سورة النساء : آية ٣٥] فصيير الله تعالى ذلك إلى حكم الرجال ، فتشتتكم الله أتعلمون حكم الرجال في دماء المسلمين وفي صلاح ذات بينهم أفضل أو في دم أرنب ثمن ربع درهم وفي بضع امرأة ؟ قالوا : بلى ، هذا أفضل ، قال : أخرجت من هذه ؟ قالوا : نعم ،

قال : وأما قولكم : قاتل فلم يسب ولم يغنم أفسسون أمكم عائشة رضي الله عنها ؟ فإن قلت : نسيها فنستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم ، وإن قلت : ليست بأمنا فقد كفرتم فأنتم ترددون بين ضلالتين ، أخرجت من هذه ؟ قالوا بلى ! قال : وأما قولكم : مَا نفْسَهُ مِنْ أَمْرٍ لِّلْهُوْكَنْ فَأَنَّا أَنْيَكُمْ بِمَنْ تَرْضُونَ ، إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْحَدِيبِيَّةِ حِينَ صَالَحَ أَبَا سَفِيَّانَ وَسَهْلَ بْنَ عُمَرَ قَالَ " اكْتُبْ يَا عَلِيًّا : هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ .. فَقَالَ : أَبُو سَفِيَّانَ وَسَهْلَ بْنَ عُمَرَ : مَا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَلَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا قَاتَلْنَاكَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُكَ ، أَمْحِ يَا عَلِيًّا وَاكْتُبْ : هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبُو سَفِيَّانَ وَسَهْلَ بْنَ عُمَرَ " قَالَ : فَرَجَعَ مِنْهُمْ أَلْفَانٌ وَبَقِيَّ بَقِيَّهُمْ فَخَرَجُوا فَقَتَلُوا أَجْهَعِينَ " ^(١) .

٤— أنه أداة تصحيح وبناء وتقويم :

إن من الأمور المهم توافرها في المربى والداعية من أجل تحقيق ما يصبوا إليه أدوات الحوار وأساليبه ذلك أن الحوار يعتبر من أهم أدوات التصحيح والبناء والتقويم ومن خلاله يستطيع المربى والداعية أن يصل إلى تغيير كثير من السلوكيات الخاطئة ، لأن كثيراً من الأخطاء أو الانحرافات التي يقع فيها المرء مبنية على هوٰ وجهل وتقليد، وبشيء من الحوار الهدى الهدف من المربى أو الداعية تزول كثير من الانحرافات ^(٢) ، كما أنه من خلال الحوار يتم إيقاض الفطرة السليمة ليعود الإنسان عن خطئه وضلاله إلى الصواب والحق ، يقول لاوند : " وال الحوار جزء مهم في العلاقات الإنسانية ، إذ به تتحقق المواجهة المباشرة بين القلوب والعقول ، ولما كانت القلوب والعقول خاضعة للفطرة السليمة من ناحية ، وللتعاليم الخرفة التي تطرأ عليها من ناحية أخرى ، فقد وجَبَ أَنْ تَكُونَ الْغَلْبَةُ فِي النِّهَايَةِ لِلْحُوَارِ ، الَّذِي تَسْتَبِّنُ بِهِ الْفَطْرَةُ السَّلِيمَةُ " ^(٣) .

١— ابن عبد البر، أبي عمر يوسف : جامع بيان العلم وفضله ، دار ابن الجوزي ، ط ٤ ، المملكة العربية السعودية ، الدمام ، تحقيق : أبي الأسباب الزهربي ، (١٤١٩هـ) ، ج ٢ ، ص ٩٦٢ - ٩٦٤ .

٢— الحميدان ، ابراهيم بن صالح : الحوار والمناقشة والجدل في الدعوة الإسلامية ، بحث ضمن مجموعة بحوث ودراسات في الدعوة الإسلامية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٣هـ) ، ص ١٢٦ .

٣— لاوند ، محمد رمضان : الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية ، بحث مقدم للندوة العالمية للشباب الإسلامي ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٣٩٦هـ) ، ص ٢٤٢ .

٥— أن فيه دعم للنمو النفسي :

إن الحوار يعد من أرقى وسائل التربية الإسلامية حيث فيه تبادل وجهات النظر ، وتتلاقى الآراء ، وفيه حرية طرح الرأي وال فكرة ، وفرصة الرد والمناقشة ، فهو أداة وعي مشتركة تتكوّن فيها الآراء ، وتستعرض فيها المسائل ، ومن خلاله يتم التناصح والتشاور والتعاون ، وبهذا يكون له أكبر الأثر في دعم النمو النفسي والتخفيف من مشاعر الكبت ، وتحرير النفس من الصراعات والمشاعر العدائية والقلق والمخاوف ، فهو بهذا وسيلة علاجية بنائية في هذا الجانب .

الآثار التربوية للحوار :

تبين مما تقدم طرحة أهمية الحوار وقيمة التربية ، وهنا يلخص الباحث أهم الآثار التربوية المترتبة على الحوار ؛ ذلك أن الحوار إذا كان قائماً على أصوله الصحيحة مما تقدم في ثنياً هذا المحور فإنه يشمر نتائج تربوية عظيمة من أهمها :

١— تعزيز استراتيجيات بناء العلاقات الإيجابية بين المتحاورين وتأكيد الإقدام والتقبل ونبذ الصراع ويظهر هذا الأثر بشكل واضح في ميدان التربية في مثل حوار الأب لأبنائه أو الأستاذ لطلابه .

٢— تربية العقول على التفكير السليم والوصول للحقائق بطريقة صحيحة .

٣— يدرب الحوار على تقبل الاختلاف مع الآخرين .

٤— تعزيز الشجاعة الفضلى لقبول الحق والصواب عند ظهور الدليل .

٥— تصحيح المرأة أخطائه بنفسه بالاقتناع نتيجة الحوار .

التطبيقات التربوية للحوار :

إن أفضل من طبق الحوار التربوي ووظفه في تربيته ودعوته للآخرين سيد الأولين والآخرين نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وسيرته في تربيته لأصحابه أكبر دليل على ذلك والنماذج والأمثلة في هذا الجانب كثيرة جداً يكتفي الباحث بإيراد نموذج واحد فقط يتضح فيه كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوظف الحوار

تربويًا ليعالج الأخطاء ويعدل السلوك ويهذب النفوس ، فعن أبي أمامة قال : إن فتى شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ! ائذن لي بالزنى . فأقبل القوم عليه فرجوه ، وقالوا له ما ! فقال : ادْنُه . فدنا منه قريباً ، قال : فجلس .

— قال : أتحبه لأمك ؟

— قال : لا والله ، جعلني الله فداك .

— قال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم .

— قال : أفتحبه لابنك ؟

— قال : لا والله يارسول الله ! جعلني الله فداك .

— قال : ولا الناس يحبونه لبعدهم .

— قال : أتحبه لأنثلك ؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداك .

— قال : ولا الناس يحبونه لأخواتهم .

— قال : أتحبه لعمتك ؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداك .

— قال : ولا الناس يحبونه لعماهم .

— قال : أتحبه خالتك ؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداك .

— قال : ولا الناس يحبونه خالاتهم .

— قال : فوضع يده عليه ، وقال : اللهم ! اغفر ذنبه ، وظهر قلبه ، وحصن فرجه .
فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء ^(١) .

فهذا نموذج يتبيّن من خلاله كيف يستطيع المرء أن يوظف الحوار تربويًا ليعالج الأخطاء السلوكيّة والانحرافات الخلقية يقول القرضاوي معلقاً على هذا الحديث :

هذا شاب عارم الشهوة ، ثائر الغريرة ، صريح في التعبير عن نوازعه إلى الإغراب والإثارة . ورغم غرابة طلبه الذي أثار الجالسين عليه ، لم يكن منه صلّى الله عليه وسلم إلا أن لقيه بهذا الرفق العجيب والمحوار المادئ ، الذي يحمل المنطق المقنع والسرور الحبيب ، ثم أنهى هذا الحوار بلمسة حنان على صدر الفتى المتوقّد ، ووضع اللمسة

١— الألباني : "سلسلة الأحاديث الصحيحة" ، مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ٧١٢ ، ح ٣٧٠ .

دعوات خالصة لله تعالى أن يغفر للفتى ويظهره ويحصنه ، فإذا هو يخرج من مجلس الرسول الكريم ، كأنما كان هذا اللقاء لنار شهوته ، برداً وسلاماً^(١) .

ولتوظيف الحوار تربوياً هناك أمور ينبغي على المربi أن يراعيها من أهمها ما يلي :

- ١— أن يكون في نفسه قوّة صالحة يحتذى بها.
- ٢— عدم التركيز على جوانب القصور مع عدم التحقيق .
- ٣— على المربi أن يحرص على عدم التناقض بين فعله وبين ما يطرحه خلال حواره .
- ٤— على المربi مراعاة استراتيجيات الحوار وأدابه وأساليبه المختلفة .
- ٥— على المربi مراعاة طبيعة الحوار واختلافه من فئة إلى أخرى فحوار الصغار غير حوار المراهقين غير حوار الكبار وهكذا .

نماذج تطبيقية لبعض مجالات الحوار :

في الأسرة :

إن العوامل المؤدية إلى نجاح الحياة الأسرية كثيرة ، واستخدام أسلوب الحوار بين أفراد الأسرة يعد من العوامل المهمة في ذلك ؛ لهذا فإن الباحث يقترح على الأسرة المسلمة أن تخصص وقتاً معيناً للحوار فيما بين أفرادها فالآباء والأمهات يحتاجان إلى ذلك مع بعضهما وكذلك يحتاجون إليه في تربية أولادهما ، فمن المهم تخصيص هذا الوقت للحوار المفتوح مع الأولاد حيث يتم من خلال هذا الحوار المفتوح نقاش الأولاد عمما فعلوه خلال يومهم المدرسي ، ومعرفة ما يميلون إليه ويحبونه أو ينفرون منه ويكرهونه ، والإجابة عما يدور في أذهانهم من أسئلة ، ومناقشة ما قد يقع فيه الأولاد من أخطاء ومعرفة العوامل التي أدت إلى ذلك وطرح الحل المناسب لها من خلال حوار مفتوح مشتمل على المصارحة مؤطر بال النقد البناء ، بعيداً عن التجريح وتحفيز روح العندوانية ، مع التبيّن هنا على ضرورة أن يكون الوالدان في هذا الموقف القدوة الصالحة لأولادهما .

١— القرضاوي ، يوسف : الرسول والعلم ، مؤسسة الرسالة ، ط ٥ ، بيروت ، (١٤١١هـ) ، ص ص ١٢٢ – ١٢٣ .

في المدرسة :

إن أسلوب الحوار في المدرسة يأخذ مجالاً رحباً وصوره التطبيقية تتتنوع تبعاً لذلك فمن الصور التطبيقية لأسلوب الحوار في المدرسة ما يلي :

١ — استخدام أسلوب الحوار كطريقة من طرق التدريس والمعلم في هذا الأسلوب " لا يعمد إلى كشف الحقائق مباشرة بل يتحدد الحوار والمناقشة وإلقاء مجموعة من الأسئلة المترابطة حتى يتوصل بأذهان وعقول الطلاب إلى المعلومات والأفكار الجديدة . فشرح الدرس وتوضيح أفكاره من خلال هذه الطريقة يعتمد على تفاعل المعلم مع طلابه واستجوابه لهم " ^(١) .

٢ — المعاشرة وال الحوار القصصي أو التمثيلي من خلال الأنشطة المدرسية ويتم ذلك تحت إشراف رائد المعاشرة والمشرف عليها بالمدرسة ، والذي من أهم واجباته ما يلي ^(٢) :

— أن يتبع المعاشرة في انتباه واهتمام ويقظة .

— أن يحرص على صفاء الجو بين المعاشرتين خلال المعاشرة .

— أن يتيح الفرصة المتكافئة للراغبين في الكلام من الطرفين .

— أن يكون على جانب عظيم من ضبط الأعصاب وقوة الشخصية .

أن يكون موقفه موقف المعلم القدير ، والقائد الحكيم في توجيه المعاشرة نحو تحقيق الهدف .

— أن يراعي إنتهاء المعاشرة عندما يثبت له أن الموضوع قد أشبعه المعاشرون فيعلن حينئذ عن إنتهاء المعاشرة ، ثم يقوم بتحليل قصير لآراء الفريقين ، ويأخذ أصوات الجمهور ، ثم يعلن نتيجة المعاشرة .

٣ — الحوار الإرشادي والذي يتم بين المرشد الطلابي بالمدرسة وبين الطالب والذي يتم من خلاله معالجة الأخطاء السلوكية والخلقية وكذلك معالجة التقصير أو تدني المستوى

١ — وزارة المعارف : المختصر النفيس في مهارات وطرق التدريس ، الإدارية العامة للتعليم بمنطقة مكة المكرمة ، تعليم جدة ، إدارة الإشراف التربوي ، شعبة اللغة العربية ، ط ١ ، (١٤٢٣ هـ) ، ص ٤٦ .

٢ — وزارة المعارف : دليل المعلم في التعبير والإنشاء ، الإدارية العامة للتعليم بمنطقة مكة المكرمة ، تعليم جدة ، إدارة الإشراف التربوي ، شعبة اللغة العربية ، ط ١ ، (١٤٢٢ هـ) ، ص ٩٩ — ١٠٠ .

الدراسي لدى الطلاب إلى غير ذلك من خلال حوار مفتوح صريح كما تقدم بيانه في مجال الأسرة .

من خلال المجتمع :

إن أخوار كما تقدم في ثانياً هذا البحث يعد من أهم وأفضل الأساليب التربوية التي ينبغي تطبيقها في جميع مؤسسات المجتمع التربوية والصور التطبيقية في هذا المجال أكثر من أن تحصر ومن ذلك :

- ١— عن طريق الإعلام يمكن طرح برامج حوارية حول بعض قضايا المجتمع المختلفة العقدية والفكرية والسياسية والاقتصادية وغيرها من القضايا من أجل تصحيح المفاهيم وعلاج الأخطاء والانحرافات ومن أجل توسيع المدارك والأفهام من خلال برامج متخصصة في هذا المجال .
- ٢— من خلال المسجد عن طريق إقامة الندوات الحوارية .
- ٣— من خلال المؤسسات المختلفة الأخرى كالأندية الثقافية والمراکز الدعوية وغيرها .

المحور الثاني

فضل العلم ومنزلة العلماء

يُعد العلم هدفاً أساسياً في عملية التربية ، فبدونه لا تكامل شخصية الفرد ، ولا يصلاح حال الجماعة ، ولا تتم عملية التربية ذاتها على نحو شولي متكملاً ومتوازناً يراعي شتى أبعاد الشخصية الإنسانية : من روح وعقل وجودان وبدن .

ومن ثم فإن تحصيل العلم وكسبه وتنميته باستمرار وتوسيع مجالاته ، يعتبر من أهم أهداف العملية التربوية ب مختلف برامجها ومناهجها ونظمها وطرائقها .

والعلم يعد فوق ذلك ، من أهم الوسائل ، بل من أولاتها وأكثرها فاعلية ، لتحقيق تقدم الفرد والجماعة معاً ، ورفعهما ورقيهما وتطوير حياتهما وتحسين مستواها بشكل متواصل ، وصنع ازدهار الحياة البشرية ، وتعظيم الرخاء والرفاهية بين الجميع بحسن استثمار الكون بإمكانياته الظاهرة والمخبأة على أمثل وجه ممكن ^(١) .

لذلك نجد أن الإسلام ما دعا أبناءه إلى شيء ولا حثهم على الاهتمام به ، والحرص عليه ، وبذل الجهد والعمل في سبيله ، كدعوه إياهم لطلب العلم وتحصيله والاستزادة منه ، فجاءت النصوص تثرا من كتاب وسنة تدعو إلى العلم وتبيّن فضله ورفعه مكانة أهله ، فالناظر في كتاب الله يجد أن مادة "علم" تكررت ما يقارب سبعين مائة وسبعين وعشرين مرة ^(٢) ، ونصوص السنة في هذا المجال كذلك جاءت متکاثرة متابعة ومؤكدة لما جاء في القرآن الكريم من بيان شأن العلم العظيم وفضله العميم ومكانته الرفيعة . ومن النصوص العظيمة الواردة في بيان فضل العلم ورفعه مكانة أهله ما جاء في سورة المجادلة في قوله تعالى : « يَرْفَعَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ » [سورة المجادلة : آية ١١] .

١- الزناتي ، مرجع سابق ، ص ٢٩٢ .

٢- عبدالباقي ، محمد فؤاد : المعجم الفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الحديث ، مصر ، (د . ت) ، ص ص ٤٦٩ - ٤٨٠ .

يقول ابن مسعود رضي الله عنه : " ما خص الله العلماء في شيء من القرآن ما خصهم في هذه الآية ، فضل الله الذين آمنوا وأتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم " ^(١) .

وينقل ابن جماعة عن ابن عباس قوله في بيان رفعة درجات العلماء : " العلماء فوق المؤمنين مائة درجة ، ما بين الدرجتين مائة عام " ^(٢) .

ويقول القرطبي في تفسيره لمعنى الرفعة في الآية : " أي من الثواب في الآخرة ومن الكرامة في الدنيا ، فيرفع المؤمن على من ليس بمؤمن والعالم على من ليس بعالم " ^(٣) . ولما في هذه الآية من دلالة عظمى على فضل العلم ورفعة أهله نجد أن البخاري في صحيحه في باب فضل العلم في كتاب العلم اقتصر عليها مع قوله تعالى ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [سورة طه : آية ١١٤] وذلك لما في هاتين الآيتين من الدلالة الواضحة على فضل العلم .

ويذكر الرازي أن الله تعالى ذكر الدرجات لأربعة أصناف :

الصنف الأول : للمؤمنين من أهل بدر حيث قال سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلَيَّتْ عَلَيْهِمْ إِيمَانُهُمْ زَادَهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۚ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۚ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة الأنفال : آية ٢ - ٤] .

الصنف الثاني : المهاجرين حيث قال تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَئِكَ الظَّرِيرَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَلَّ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةٌ وَكُلُّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَلَّ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء : آية ٩٥] .

١- السيوطي ، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين : تفسير السر المشور في التفسير بالتأثر ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، (د. ت) ، جـ ٨ ، ص ٨٣ .

٢- ابن جماعة ، بدر الدين بن إبراهيم بن سعد الله : تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم ، دار المعلى ، ط ٣ ، الأردن ، عمان ، (١٤١٩هـ) ، ص ٢٧ .

٣- القرطبي : مراجع سابق ، جـ ١٧ ، ص ٢٩٩ .

الصنف الثالث : الصالحين حيث قال سبحانه : ﴿وَمَن يَأْتِه مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْدَّرَجَاتُ الْعُلُوُّ﴾ [سورة طه : آية ٧٥].

الصنف الرابع : العلماء وذكرهم في الآية مدار البحث ﴿يَرْفَعَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ حَبِيرٌ﴾ [سورة المجادلة : آية ١١].

ثم قال : " فالله فضل أهل بدر على غيرهم من المؤمنين بدرجات وفضل المجاهدين بدرجات وفضل الصالحين على هؤلاء بدرجات ثم فضل العلماء على جميع الأصناف بدرجات فوجب أن يكون العلماء أفضل الناس " ^(١).

فضائل العلم

ولبيان مزيد من فضل العلم ورفعه مكانة أهله يورد الباحث بعضًا من فضائله مما جاء في النصوص غير ما ذكر في هذه الآية فمن فضائل العلم ^(٢) :

١. أنه إرث الأنبياء

يقول النبي صلى الله عليه وسلم " وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر " ^(٣).

فالعلم هو إرث الأنبياء بعد موتهم كما كان من أخص خصائصهم في حياتهم حيث كان علمهم بمثابة اليغسوب الذي يلتقط حوطهم الناس بسببه ، والبلسم الشافي الذي يتهافت الناس عليهم من أجله ^(٤). فهذا إبراهيم عليه السلام لما أراد أن يدعوا أباءه إلى الحق بين له أن المؤهل العظيم الذي أهله الله تعالى به ليدعوه إليه هو العلم ؛ فقال : ﴿يَتَأَبَّتْ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنْ أَنْ أَعْلَمُ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَأَتَيْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [سورة مرثى : آية ٤٣].

١— الرازي ، الفخر ، مرجع سابق ، م ١ ، ج ٢ ، ص ١٩٥.

٢— انظر : العثيمين ، محمد بن صالح : كتاب العلم ، دار الثريا ، ط ٢ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، إعداد : فهد بن ناصر السليمان ، ١٤١٧هـ)، ص ص ١٦ - ٢٠ .

٣— أبو داود : مرجع سابق ، ح ٣٦٤١ ، ص ٤٠٣ ؛ وصححه الألباني : " صحيح سنن أبي داود " ، مرجع سابق ، ح ٣٦٤١ ، ج ٢ ، ص ٦٩٤ .

٤— الحمدان ، أحمد بن عبدالعزيز : نيل الأرب من أدب الطلب ، دار الأندلس الخضراء ، ط ١ ، المملكة العربية السعودية ، جدة ، ١٤١٩هـ)، ص ٧.

وهذا يعقوب عليه السلام امن الله تعالى عليه بالعلم وبين فضله به فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَمَنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة يوسف : آية ٦٨]. وهذا يوسف عليه السلام برباع العلم وبذر إخوانه فقد بشره أبوه باصطفاء الله له ، وجعله من العلماء ، وأن علمه سيكون نبراساً للناس ، وسبباً رئيساً للاشافهم حوله ، فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ سَجَّبْتِيلَكَ رَبُّكَ وَيُعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتَمَّنُ عِمَّتُهُ، عَلَيْكَ وَعَلَىٰ إِلَيْكَ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبُوئِيلَكَ مِنْ قَبْلٍ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة يوسف: آية ٦] ، ولما كبر عليه السلام آتاه الله تعالى ما بشره به أبوه: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشْدَهُهُ، أَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة يوسف : آية ٢٢].

وهذان داود وسلiman عليهمما السلام جعلهما الله تعالى أفضل الناس بما آتاهم من علم ؛ فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَيْنَا دَاؤِدَ وَسَلِيمَانَ عِلْمًا وَقَالَا لَحْمَدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة النمل : آية ١٥].

وهذا خاتم الأنبياء وسيدهم ، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، كانت أعظم منه امن الله تعالى عليه بها بعد الإيمان : العلم ^(١) يقول تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَمَّا طَأَيْفَةً مِّنْهُمْ أَنْ يُضْلِلُوكَ وَمَا يُضْلِلُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَضْرُونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنَزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [سورة النساء : آية ١١٣].

فالعلم أخص خصائص أنبياء الله وهو إرثهم الذي ورثوه للعلماء ، وفي هذا الأمر تنبيه على أن العلماء أقرب الناس لأنبياء ، وفيه إرشاد وأمر للأمة بطاعة العلماء وتعزيزهم وتوقيرهم وإجلالهم فإنهم ورثوا من هذه بعض حقوقهم على الأمة ^(٢) ، فحسب العالم بهذه الدرجة مجدًا وفخرًا وهذه المرتبة شرفاً وذكراً ، فكما لا رتبة فوق رتبة النبوة ؛ فلا شرف فوق شرف وإرث تلك الرتبة ^(٣).

١- المراجع السابق ، ص ص ٧ - ١٢ .

٢- العيد ، سليمان بن قاسم : النهاج النبوى في دعوة الشباب ، دار العاصمة ، ط ١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٥هـ) ، ص ١٤٢ .

٣- ابن حمامة ، مرجع سابق ، ص ٢٩ .

٢. اعتبر القرآن العلم الشطر الرئيس من أهداف الرسالة الإسلامية
يتضح هذا الأمر في جملة من آيات القرآن الكريم منها :

— قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا وَأَبَعَثْتَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَنْذُرُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة البقرة : آية ١٢٩] .

— قوله تعالى : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَنْذُرُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة آل عمران : آية ١٦٤] .

— قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ إِنَّ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَنْذُرُهُمْ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة الجمعة : آية ٢] .

فهذه الآيات وغيرها مما لم يذكر تبين أن الحكمة من إرسال النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل في أمرين :
الأول : العلم .
الثاني : التزكية .

فالعلم إذاً يعتبر شطر الرسالة الإسلامية ، بل هو الشطر الأساسي وذلك أن التزكية لا تقوم إلا على العلم ^(١) .

٣. شهادة العلماء بالوحدانية لله تعالى
يقول تعالى : ﴿شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُوتُوا الْعِلْمُ قَاتِلًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة آل عمران : آية ١٨] .

فهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام ، لقرفهم في شهادتهم بالتوحيد بشهادة الله سبحانه وتعالى وشهادة الملائكة ^(٢) .

وذكر ابن القيم أن هذه الآية تدل على فضل العلم من وجوه كثيرة منها :
— استشهادهم دون غيرهم من البشر .

١— عرض ، مرجع سابق ، ص ٢٦٠ .

٢— القاسمي ، محمد جمال الدين : محاسن التأويل ، دار الفكر ، ط ١ ، لبنان ، بيروت ، (١٣٩٨هـ) ، ج ٤ ، ص ٦٦ .

— اقتران شهادتهم بشهادة الله (سبحانه وتعالى) وشهادة الملائكة ^(١) .

٤. الحث على العلم في أول ما نزل من القرآن

إن أول أمر استثار اهتمام الإسلام هو الحث على طلب العلم والإقبال عليه والاستزادة منه ، وذلك أنه الطريق الموصى إلى معرفة الله ، والسبيل الهادي إليه ، لهذا كان أول خطاب في القرآن للنبي صلى الله عليه وسلم في أول آيات نزلت هي قوله سبحانه : ﴿أَقِرُّا بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ أَقِرُّا وَرَبُّكَ أَكْرَمُ ﴿٢﴾ الَّذِي عَلِمَ بِالْقَلْمَرِ ﴿٣﴾ عَلِمَ الْإِنْسَنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [سورة العنكبوت : آية ١ - ٥] وهذا يجعل الإسلام العلم مفتاح دعوته وعنوان رسالته ، ثم توالت الآيات ، وتتابع الحث على العلم وأثير الاهتمام به والتوجه إلى طلبه تأكيداً وتبسيطاً : ﴿الرَّحْمَنُ ﴿٤﴾ عَلِمَ الْقُرْءَانَ ﴿٥﴾ خَلَقَ الْإِنْسَنَ ﴿٦﴾ عَلِمَهُ الْبَيَانَ﴾ [سورة الرحمن : آية ١ - ٤] .

وقال سبحانه : ﴿رَبَّ وَالْقَلْمَرِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [سورة القلم : آية ١] .
إلى غير ذلك من الآيات .

٥. تعظيم الملائكة لطلاب العلم وحبها إياهم

يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ويتدارسوه بينهم إلا حفتهم الملائكة وغضبتهم الرحمة ، وذكرهم الله فيمن عنده " ^(٢) .

ويقول صلى الله عليه وسلم : " وإن الملائكة لنضع أجنحتها رضا لطلاب العلم " ^(٣) .

يقول القرضاوي معلقاً على الحديثين : " وحسب هذا العلم فضلاً أن مجالسه تحفها ملائكة الله ، وتقل عليها السكينة ، وتغشاها الرحمة ، ويدركها الله في الملايين الأعلى ،

١- ابن القيم ، محمد بن أبي بكر : مفتاح دار السعادة ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، (د. ت) ، ج ١ ، ص ص ٤٨ - ٤٩ .

٢- الألباني : " صحيح الرغب والترهيب " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ح ٦٩ ، ص ١٣٧ .

٣- أبو داود : مرجع سابق ، ح ٣٦٤١ ، ص ٤٠٣ ، ؛ وصححه الألباني : " صحيح سنن أبي داود " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ح ٣٠٩٦ ، ص ٦٩٤ .

وهذه الملائكة التي تحف مجالس العلم تضع أجنحتها لطالبيه ، فالوضع تواضع وتقدير وتبجيل ... والخف حفظ وحماية وصيانة . فتضمن الحديثان تعظيم الملائكة له ، وجها إياه ، وحمايتها له ، وكفى بهذا شرفاً وفضلاً^(١) .

٦. إن العلماء هم أحد صنفي ولاة الأمور المأمور بطاعتهم

يقول سبحانه في ذلك : ﴿ يَتَائِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطْبَعُوا اللَّهَ وَأَطْبَعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنْزَعُمُ فِي شَيْءٍ فَرْدُوْهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَاللَّيْلَ وَالآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [سورة النساء : آية ٥٩] .

يقول العشيمين : " إن ولاة الأمور هنا تشمل ولاة الأمور من الأمراء والحكام ، والعلماء وطلبة العلم ؛ فولاية أهل العلم في بيان شريعة الله ودعوة الناس إليها ، وولاية الأمراء في تنفيذ شريعة الله وإلزام الناس بها " ^(٢) .

٧. العلم داعٍ للإيمان ودليلًا عليه

يقول تعالى : ﴿ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخَبِّتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة الحج : آية ٥٤] .

يعلق القرضاوي على هذه الآية بقوله : " فهذه المعاني الثلاثة مترب بعضها على بعض . فالعلم يتبعه الإيمان تبعية ترتيب بلا تعقب ، ليعلموا فيؤمنوا . والإيمان تتبعه حركة القلوب من الإخبارات والخشوع لله تعالى ، وهكذا يشمر العلم والإيمان الإخبارات والتواضع لله رب العالمين " ^(٣) .

٨. استمرار ثواب العلم النافع بعد الممات

يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له " ^(٤) .

١— القرضاوي : " الرسول والعلم " ، مرجع سابق ، ص ١٠ .

٢— العشيمين : " كتاب العلم " ، مرجع سابق ، ص ١٧ .

٣— القرضاوي : " الرسول والعلم " ، مرجع سابق ، ص ص ١٤ - ١٥ .

٤— التيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ١٦٣١ ، ص .

يقول ابن جماعة في هذا الحديث :

وأنا أقول : إذا نظرت وجدت معانٍ الثلاثة موجودة في معلم العلم .

أما الصدقة فإن قرأه إياه العلم وإنفاته إياه ؛ ألا ترى إلى قوله — صلى الله عليه وسلم — في المصلي وحده : " من يتصدق على هذا " ؟ أي بالصلة معه ؟ لتحصل فضيلة الجماعة ؟ ومعلم العلم يحصل للطالب المتتفق به فضيلة العلم التي هي أفضى من صلاة الجماعة ، وبينما بها شرف الدنيا والآخرة .

وأما العلم المتتفق به ؛ فظاهر ؛ لأنك كان سبباً لإيصال ذلك العلم إلى كل من انتفع به .

وأما الدعاء الصالح له ؛ فالمعتاد المستقر على ألسنة أهل العلم والحديث قاطبة من الدعاء لمشايخهم وأئمتهم ، وبعض أهل العلم يدعون لكل من يذكر عنه شيء من العلم ، وربما يقرأ بعضهم الحديث بسنته ، فيدعوا لجميع رجال السنن ، فسبحان من اختص من شاء من عباده بما شاء من جزيل عطائه ^(١) .

١٠. العلم دليل العمل

ترجم الإمام البخاري في جامعه الصحيح : " باب العلم قبل القول والعمل " وذكر تخته قوله تعالى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [سورة محمد : آية ١٩] .
فبدأ بالعلم وثني بالعمل ^(٢) .

وقال معاذ رضي الله عنه في شأن العلم : " وهو إمام العمل والعمل تابعه ، يلهمه السعادة وينحرمه الأشقياء " ^(٣) .

وروى سفيان بن عيينة عن عمر بن عبد العزيز — رحمه الله — قال : " من عمل في غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح " ^(٤) .

١١. طلب العلم طريق للجنة

دل على ذلك حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ومن سلك طريقاً يلتمس فيه حلماً سهل الله له به طريراً إلى الجنة " ^(٥) .

١— ابن جماعة : مرجع سابق ، ص ١٠٥ .

٢— البخاري : " صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ص ٣٨ .

٣— ابن عبد البر : " جامع بيان العلم وفضله " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٣٩ .

٤— المراجع السابق ، ج ١ ، ص ١٣١ .

٥— التيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ج ٢٦٩٩ ، ص ١٠٨٢ .

١٢. العلماء هم أهل خشية الله

كلما ازدادت معرفة العبد بربه كلما زادت خشيته له وإنابته إليه ورهبته منه ، من هنا كانت الخشية لله أكمل ما تكون من العلماء لمعرفتهم به سبحانه وفي ذلك يقول سبحانه : ﴿ إِنَّمَا تَخْشَىُ اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [سورة فاطر : آية ٢٨] .

١٣. منزلة العالم فوق منزلة العابد

صح بذلك الخبر عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ، من حديث أبي أمامة الباهلي قال : " ذَكَرَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ثم قلل رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير " ^(١) .

فهذه جملة من فضائل العلم ورقة مكانة أهله وغيرها كثيراً جداً وليس هذا مكان بسطه وإنما المقصود ذكر طرفاً منها يدل على المقصود في هذا الباب العظيم .

العلم الذي يريد الإسلام ويدعو إليه :

لقد هيأ الإسلام كل السبل لإطلاق الطاقات والكفايات الإنسانية ، من ذلك دعوته للعلم بمفهومه الواسع الشامل فتجد أن الإسلام كثيراً ما يلفت الأنظار إلى أسباب العلم القراءة والنظر والتأمل في ملوكوت الله والسير في الأرض .

ففي القراءة يقول سبحانه : ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي حَقَّ ﴿ ﴿ حَقَّ الْإِنْسَنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ أَقْرَأْ وَرَبِّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ الَّذِي عَلِمَ بِالْقَلْمَرِ ﴿ عَلِمَ الْإِنْسَنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [سورة العلق : آية ١ - ٥] .

وفي النظر والتأمل يقول سبحانه : ﴿ قُلِّ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

[سورة يونس : آية ١٠١] .

١- الترمذى : مرجع سابق ، ح ٢٦٨٥ ، ص ٤٣٤ ؛ وصححه الألبانى : " صحيح سنن الترمذى " ، مرجع سابق ، ح ٢٦٨٥ ، ج ٣ ، ص ٧٢ .

وفي السياحة والسير في الأرض يقول سبحانه : «**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقُ ثُمَّ أَنَّ اللَّهَ يُنْشِئُ النَّسَاءَ إِلَّا خَرَةً إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»** [العنكبوت : ٢٠] ^(١) .

ومن هذه النصوص العامة وغيرها كثير يتضح أن الإسلام يحث ويدعو إلى العلم في شتى مجالات الحياة يدعو إلى العلم الدنيوي كما يدعو إلى العلم الآخراري فالعلم في الإسلام يشمل الجانبيين علم المعاد وعلم المعاش ، وهذا الأمر من مميزات الإسلام وخصائص تربيتها الفريدة ، يقول آل سعود :

للتربيـة الإسلامية طابـع يميـزها عن المناهج غـير الإـسلامـية في التـربية والتـعلـيم ، وهذا الطابـع الإـسلامـي مصدرـه القرآنـ الكريم . ذلك أنـ القرآنـ يـاجـمـاعـ المسلمينـ فيـ الماضيـ والـحـاضـرـ والـمـسـتـقـبـلـ ، هوـ المـصـدرـ الـخـالـدـ لـعـقـائـدـ الإـسلامـ وـمـبـادـئـهـ وـأـخـلـاقـهـ وـثـقـافـتهـ ، وـهـوـ الـأـسـاسـ الـثـابـتـ لـلـنـظـمـ الإـسلامـيـةـ فيـ التـشـريعـ وـالـاجـتمـاعـ وـالـاقـتصـادـ وـالـتـرـبـيـةـ وـالـتـعـلـيمـ . هذا المنـهـجـ القرـآنـيـ يتمـيـزـ بـأـنـهـ يـرـبطـ العـلـومـ جـمـيعـهاـ بـالـمـبـادـئـ الـعـلـيـاـ الإـسلامـيـةـ ، فيـ العـقـائـدـ وـالـأـخـلـاقـ وـالـجـمـعـ وـالـاقـتصـادـ وـالـتـشـريعـ ، وـأـنـ نـظـمـ التـرـبـيـةـ وـالـتـعـلـيمـ القرـآنـيـ أـسـاسـهاـ أـنـ كلـ عـلـمـ نـافـعـ لـلـمـجـمـعـ وـضـرـوريـ لـهـ ، وـاجـبـ عـلـىـ الـأـمـةـ تـكـيـيـةـ أـسـبـابـ تـعـلـمـهـ لـجـمـيعـ أـفـرـادـهـ أـوـ الطـائـفـةـ مـنـهـمـ حـسـبـاـ تـقـضـيـهـ حـاجـةـ الزـمـانـ وـالـمـكـانـ ، وـأـنـ وجـودـ الـعـلـمـ الـمـتـخـصـصـينـ لـلـتوـسـعـ وـالـتـعمـقـ فيـ كـلـ فـرعـ مـنـ فـروعـ الـعـلـمـ فـرـضـ كـفـاـيـةـ عـلـىـ الـمـسـلـمـينـ ، يـأـمـونـ جـمـيعـاـ إـذـاـ لمـ تـوـجـدـ مـنـهـمـ طـائـفـةـ تـخـصـصـتـ فيـ أحـدـ فـرعـ الـعـلـمـ الـضـرـوريـ وـالـنـافـعـةـ لـلـأـمـةـ فيـ حـيـاـتـهـ الـدـنـيـوـيـ وـالـأـخـرـوـيـ ، وـأـنـ جـمـيعـ فـروعـ الـعـلـمـ تـخـضـعـ لـهـذـاـ الـمـبـدـأـ ، سـوـاءـ كـانـ مـنـ عـلـمـ الدـيـنـ أـوـ عـلـمـ الدـنـيـاـ ، وـسـوـاءـ كـانـ مـصـدرـهـ الـوـحـيـ الإـلـهـيـ أـوـ الـعـلـمـ الـمـكـتـبـ ^(٢) .

إنـ الإـسـلامـ بـهـذـهـ التـرـبـيـةـ الفـريـدةـ يـعـتـبرـ أـكـبـرـ مـناـصـرـ لـلـعـلـمـ وـأـعـظـمـ مـنـ حـثـ عـلـىـ اـكتـسـابـهـ حـيثـ اـسـطـاعـ أـنـ يـقـضـيـ عـلـىـ القـطـيـعـةـ الـمـوـهـومـةـ بـيـنـ الـدـيـنـ وـالـعـلـمـ حـيثـ "يـتـضـحـ"

الـفـرقـ بـيـنـ التـعـلـيمـ فيـ الإـسـلامـ وـغـيرـهـ مـنـ الـأـديـانـ الـأـخـرـىـ حـينـ نـرـىـ ماـ بـذـلـهـ رـجـالـ الـدـيـنـ

فيـ الـعـصـورـ الـقـدـيـمةـ وـالـوـسـطـىـ لـاستـبـقاءـ الـجـمـاهـيرـ فيـ أـغـلـالـ الـجـهـلـ حـينـ حـسـبـواـ أـنـ سـلـطـانـهـمـ

١ـ سابقـ ، سـيدـ وـعـدـلـانـ ، مـحمدـ عـمـانـ عـلـيـ : "الـتـرـبـيـةـ الـعـقـلـيـةـ فيـ الإـسـلامـ" ، بـحـوثـ نـدوـةـ خـرـاءـ أـسـسـ التـرـبـيـةـ الإـسـلامـيـةـ ، مـركـزـ الـبـحـوثـ التـرـبـيـةـ وـالـنـفـسـيـةـ ، طـ٢ـ ، الـمـلـكـةـ الـعـرـبـيـةـ السـعـوـدـيـةـ ، مـكـةـ الـمـكـرـمـةـ ، (١٩٧٧ـمـ) ، صـ ٤ـ ٥ـ .

٢ـ آلـ سـعـودـ ، مـحمدـ الـفـيـصلـ : "الـقـرـآنـ الـكـرـمـ أـسـسـ التـرـبـيـةـ الإـسـلامـيـةـ" ، سـلـسلـةـ بـحـوثـ الـمـؤـتـمـرـ الـعـالـيـ الـأـولـ لـلـتـعـلـيمـ الإـسـلامـيـ ، الـمـلـكـةـ الـعـرـبـيـةـ السـعـوـدـيـةـ ، مـكـةـ الـمـكـرـمـةـ ، (١٩٧٧ـمـ) ، صـ ٨ـ ٧ـ .

ينزول باستئناف العقول ، وأن ظلهم يتخلص بظلوع شمس العلم والمعرفة . وأما الإسلام فيرى زيادة العلم تؤدي إلى تقوى الله وخشائه وهي جوهر الإيمان وروحه ^(١) . وبعد هذا البيان لدعوة الإسلام إلى العلم على وجه الشمول والعموم لا بد من توضيح أن العلم في نظر الإسلام له مراتب متعددة ، تتفاوت في علو شأنه ورفة مقامه وسمو قيمته وأسبقية فضله ، تبعاً للموضوعات التي ينصب عليها ذلك العلم وغايته ووسيلته ، فلا شك ولا ريب أن أولى العلوم بالفضائل ورفة المكان وسمو المنزلة هو علم الدين الذي به يعرف الإنسان ربها ويعرف نفسه ويهتدى إلى غايتها ، ويكتشف طريقه ، ويعلم ما له وما عليه ثم بعد ذلك كل علم يكشف له عن حقيقة هدفه إلى الحق أو تقربه من خير ، أو تحقق له مصلحة أو تدرأ عنه مفسدة ولو كان هذا العلم علماً مادياً قائماً على المشاهدة الحسية والتجربة فإن هذا العلم قيمته كذلك وهو مطلوب للإنسان ولا شك ، ولكنه مطلوب طلب الوسائل لا طلب الغايات ، فهو يعين الإنسان على الحياة وييسر له سبلها ، ويختصر له الزمان ويقرب له المكان : فيقرب له البعيد ، ويلين الحديد ، ولكنه وحده لا يستطيع إسعاد البشرية . كما لا يمكنه بمفرده أن يضبط سير الحياة ، ويقاوم أناية الإنسان ونزعات نفسه الأمارة بالسوء بل لا بد معه من العلم الديني الذي ينمي الإيمان ويحيي الضمائر ، ويغرس الفضائل ويقي الإنسان شح نفسه وطغيان غرائزه على عقله ، وهوه على ضميره ، وهذا هو العلم الذي يعصم " العلم المادي " من الانحراف ، ويحول دون استخدامه في التدمير والعدوان ^(٢) .

مما سبق يمكن القول بأن أهم مراتب العلم ما يلي ^(٣) :

المرتبة الأولى : العلم المتعلق بالإيمان بوجود الله تعالى وبوحدانيته وبربوبيته ، وباتصافه بالكمال المطلق ، وهذا العلم السامي هو مصدر هداية الإنسان وأمنه وسلامته وسكتنته ، وطمأنينته واستقامته وخيره وبركته ، واستقلاله وعزته يقول

١— سابق : مرجع سابق ، ص ٥ .

٢— القرضاوي : " الرسول والعلم " ، مرجع سابق ، ص ص ٩ ، ١٥ .

٣— أنظر : الزناتي : مرجع سابق ، ص ص ٣٠٣ — ٣١٠ .

سبحانه : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقْلَبَكُمْ وَمَشْوِنَكُمْ﴾ [سورة محمد : آية ١٩]. فلا خير في علم لا يهدى صاحبه إلى معرفة خالقه وتوحيده وعبوديته الخالصة له ، واتباع شرعه الحكيم وصراطه المستقيم . وبمعرفة الإنسان لربه تزداد خشيته له ، وانقياده وتسليمها إليه وإخلاصه التام له في النية والقول والعمل والرضا بقضاءه وقدره ، واستشعاره لمعيته له ، فيستقيم في سلوكه ويتحلى بالخلق الفاضل والأداب الكريمة ، ويأمر بالمعروف ويلتزم به وينهى عن المنكر ويتجنبه ، ويشع بالهدى والتقوى والخير على كل من يتصل به .

المرتبة الثانية : وهي مرتبطة بالمرتبة الأولى ومنية عليها ألا وهي العلم بأحكام الشريعة من مسائل الحلال والحرام حيث أن هذا الأمر هو قوام سلامة العقيدة وصحمة العبادة ، واستقامة الخلق وطهارة الحياة وحفظ كيان الجماعة من عوامل الضلال والتفسخ الخلقي والانحلال الاجتماعي يقول صلى الله عليه وسلم : " من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين " ^(١). والعلم بالخلال لازم للأخذ به والاستمتاع بالطبيات التي أحلها الله لمنفعة الإنسان في دنياه وأخراء . والعلم بالحرام لازم لاجتنابه ، والوقاية من الخبائث التي حرمها الله لما فيها من مضره على الإنسان في دينه ودنياه .

المرتبة الثالثة : علم الإنسان بنفسه وذلك بإدراك وفهم أبعادها وقوتها واستعداداتها وقدراتها وموتها ومواهبها ، بغية تنميتها وصقلها واستثمارها في خير الدنيا لصالح الفرد والجماعة بالعلم والعمل النافع المنتج ، وإعدادها للآخرة بقيامها بما ألزمها الله من أمور العبادة ، وضبط غرائزها وتقدير سلوكها وتركيتها وترقية وجداها بالعقيدة والعبادة والاستقامة الأخلاقية الذاتية . يقول تعالى : ﴿وَقِنَفْسِكُمْ أَفَلَا تُبَصِّرُونَ﴾ [سورة النازول : آية ٢١] ، ويقول سبحانه : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّنَهَا فَأَلْهَمَهَا فُورَهَا وَنَقْوَلَهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّنَهَا كَذَبَتْ ثَمُودٌ بِطَغَوْنَهَا إِذَا أَنْبَعْتَ أَشْقَنَهَا فَقَالَ

هُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقِيَّهَا ﴿٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّهَا ﴿٣﴾ وَلَا سَخَافُ عَقْبَهَا ﴿٤﴾ [سورة الشمس : آية ٧ - ١٥]

المرتبة الرابعة : العلم بالحياة وما يتصل بها ويدخل تحت دائرة من المجتمع والكون الذي يعيش فيه الإنسان بمظاهره وظواهره وعناصره وتركيباته وأجزائه ، وذلك بغية فهم حقائق الأشياء ، وكنه الموجودات ، وإدراك القوانين التي تسيرها ومعرفة نظمها ومقاصدها من أجل تسخيرها لفائدة الإنسان ، واستثمارها لصالحه . يقول تعالى : ﴿وَفِي الْأَرْضِ أَيَّتُ لِلْمُوقِنِينَ﴾ [سورة النازيات : آية ٢٠] . ويقول سبحانه : ﴿وَإِيَّاهُ لَهُمُ الْأَلَيلُ نَسْلَخُ مِنْهُ الَّنَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾١﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقْرِرٍ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾٢﴿ وَالقَمَرُ قَدَرَنَّهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعَرْجُونِ الْقَدِيرُ ﴾٣﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرُ وَلَا الْأَلَيلُ سَابِقُ الَّنَّهَارِ وَكُلُّ فِلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾٤﴿ وَإِيَّاهُ هُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّهُمْ فِي الْفُلُكِ الْمَسْحُونِ ﴾٥﴿ وَخَلَقْنَاهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرَكُونَ﴾ [سورة البقرة : آية ٢١٩ - ٢٢٠] .

تلك من أهم مراتب العلم التي ترشد إليها النصوص الشرعية من كتاب وسنة ويع肯 تفريعها إلى عدة أقسام أخرى بحسب النظر والتأمل ، ولكن يجدر الإشارة هنا إلى أمرين : الأول : أن العلم والمعرفة مختلف فروعها في نظر التربية الإسلامية تعتبر متكاملة ومتدرجة مع بعضها البعض وهي كلها مسخرة لخدمة الإنسان وتحقيق سعادته في الدارين : في الدار الدنيا بالاستقامة والعمل الشمر وفي الدار الأخرى بالإيمان والعبادة والعمل الصالح ^(١) . والأمر الثاني : إن دعوة الإسلام للعلم اتصفت بالشمول ، وهذا الشمول يرمي إلى التوازن والتلاقي بين كافة العلوم المفيدة حتى تتحقق للمسلمين القوة التي قال عنها تعالى : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِيْبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَإِنَّمَا مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوفَ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [سورة الأنفال : آية ٦٠]

التطبيقات التربوية

إن التوجيهات والإرشادات إن لم توظف عملياً وتطبق بحيث تصبح واقعاً ملماً موسياً فلن يكون لها أي أثر يذكر أو فائدة ترجى لذلك كان لتوظيف التوجيهات التربوية بالغ الأهمية . وبالنسبة لما يتعلق بالتوجيهات التربوية في جانب فضل العلم ومتزلة العلماء فقبل ذكر التطبيقات التربوية في هذا الجانب يورد الباحث موقفين لل الخليفة الراشد والملهم الحديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حيث يظهر فيها كيف كان يوظف عملياً ما جاء في هذا الباب من نصوص شرعية تضمنت التوجيهات في هذا الباب :

الموقف الأول ذكر البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال : كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدر ، فكأن بعضهم وجد في نفسه ، فقال : لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ قال عمر : إنه من قد عَلِمْتُمْ ، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم ، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا لِيَرِهِمْ ، قال : ما تقولون في قول الله تعالى : «إِذَا جَاءَ نَصْرًا اللَّهُ وَالْفَتْحُ» .

قال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفر له إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً ، فقال لي : أكذاك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت : لا ، قال : فما تقول ؟ قلت : هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم له . قال : «إِذَا جَاءَ نَصْرًا اللَّهُ وَالْفَتْحُ» .

وذلك عالمة أجلك . «فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا» . قال عمر : ما أعلم منها إلا ما تقول ^(١) .

وال موقف الثاني جاء في صحيح مسلم عن عامر ابن وائلة ، أن نافع ابن عبد الحارث لقي عمر بعسفان ، وكان عمر يستعمله على مكة ، فقال : من استعملت على أهل الوادي ؟ فقال : ابن أبيزى . قال : ومن ابن أبيزى ؟ قال : مولى من موالينا . قال : فاستخلفت عليهم مولى ؟ قال : إنه قارئ لكتاب الله عز وجل ، وإنه عالم بالفرائض .

قال عمر : أما إن نبيكم - صلى الله عليه وسلم - قد قال ((إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين)) ^(٢) .

١- البخاري : " صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ح ٤٩٧٠ ، ص ٩٨٨ .

٢- النسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ٨١٧ ، ص ٣١٨ .

فيتضح من هاتين الحادثتين كيف كان السلف الصالح يُترِّبون التوجيهات الربانية وال تعاليم النبوية على أرض الواقع بحيث تكون جزءاً من حيائهم العملية فهـي ليست مغضـ كلام يقال ، بل هي دين يعتقد ، ومنهاج يُتبع ، وأوامر تطـاع ، وتعليمـات تنفذ ، ودعوة تـلي^(١) ، ولتوظيف ما جاءـ من توجـيهات تـربـوية في فـضلـ العـلـمـ وـمـرـنـةـ الـعـلـمـاءـ يـذـكـرـ الـبـاحـثـ بـعـضـ الـخـطـوـاتـ الـعـلـمـيـةـ فـيـ هـذـاـ الجـانـبـ :

أولاً في الأسرة :

- ١— أن يكون الوالدان قدوة لأولادـهما في الحرص على التزود من العـلـمـ وـمـرـنـةـ فـضـلـهـ وقدـرـهـ وـرـفـعةـ أـهـلـهـ .
- ٢— تـكـوـينـ مـكـتـبـةـ لـلـأـسـرـةـ يـسـتـفـيدـ مـنـهـاـ الصـغـيرـ وـالـكـبـيرـ مـتـوـعـةـ الـمـوـادـ تـشـتـمـلـ عـلـىـ ثـلـاثـةـ أـجـزـاءـ :ـ جـزـءـ لـلـمـقـرـوـءـ وـثـانـ لـلـمـسـمـوـعـ وـثـالـثـ لـلـمـرـئـيـ .
- ٣— اصـطـحـابـ الـأـوـلـادـ لـلـمـعـارـضـ الـعـلـمـيـةـ :ـ مـعـارـضـ الـكـتـابـ ،ـ مـعـارـضـ الـكـمـيـوـتـرـ ،ـ مـعـارـضـ الشـرـيـطـ .
- ٤— تـعـلـيمـ الـأـوـلـادـ تـقـنـيـةـ الـحـاسـبـ الـآـلـيـ وـالـاستـفـادـةـ مـنـهـاـ فـيـ جـانـبـ تـحـصـيلـ الـعـلـمـ .
- ٥— اصـطـحـابـ الـأـوـلـادـ لـلـمـحـاضـراتـ وـالـنـدـوـاتـ الـعـلـمـيـةـ ،ـ وـالـتـقـامـ فـيـ المـسـاجـدـ وـالـنـوـادـيـ أـثـنـاءـ الـإـجازـاتـ الـصـيفـيـةـ وـغـيـرـهـ .

ثانياً في المدرسة :

- ١— أن يكون المعلم قدوة لـلـتـلـامـيـذـهـ فـيـ هـذـاـ الجـانـبـ .
- ٢— أن تـهـيـأـ المـكـتـبـةـ المـدـرـسـيـةـ لـتـقـومـ بـدـورـهـاـ فـيـ هـذـاـ الجـانـبـ وـأنـ يـوـكـلـ الإـشـرافـ عـلـيـهـاـ إـلـىـ مـعـلـمـ ذـيـ كـفـاءـةـ عـلـمـيـةـ وـتـرـبـويـةـ عـالـيـةـ مـاـ يـسـاعـدـهـ عـلـىـ الـقـيـامـ بـعـمـلـهـ عـلـىـ أـكـمـلـ وـجـهـ .
- ٣— أن يـقـومـ النـشـاطـ الـمـدـرـسـيـ بـدـورـهـ فـيـ هـذـاـ الجـانـبـ مـنـ خـلـالـ الإـذـاعـةـ الـمـدـرـسـيـةـ وـإـقـامـةـ الـنـدـوـاتـ وـالـمـحـاضـراتـ الـعـلـمـيـةـ الـمـخـلـفـةـ وـكـذـلـكـ الـمـسـابـقـاتـ الـعـلـمـيـةـ الـمـخـلـفـةـ .ـ وـكـذـلـكـ

١— القرضاوي : " الرسول والعلم " ، مرجع سابق ، ص ١٥٥ .

اصطحاب التلاميذ لزيارة المكتبات العامة ومكتبات الجامعات والمعارض العلمية المختلفة .

ثالثاً في المجتمع :

- ١— أن يقوم المسجد بدوره في هذا الجانب من خلال خطب الجمعة وإقامة الاحاضرات والندوات العلمية التي يستضاف فيها العلماء في مختلف العلوم . وكذلك تكوين مكتبة علمية بالمسجد لخدمة أهل الحي .
- ٢— أن يقوم الإعلام بدوره في هذا الجانب كذلك من خلال البرامج العلمية المتنوعة وكذلك البرامج المباشرة بحيث يستضاف فيها أهل العلم في مختلف التخصصات .
- ٣— إنشاء المكتبات العامة الكبرى وتزويدها بمحظوظ التجهيزات المطلوبة لتقوم بدورها المطلوب في هذا الجانب لخدمة المجتمع .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين .

وبعد أن من الله تعالى على الباحث بوافر فضله وعظيم كرمه حيث يسر له إقام هذه الدراسة التي بين فيها أهم التوجيهات التربوية المتضمنة في سورة المجادلة حيث جاء الحديث أولاً عن التعريف بالسورة ثم أتبع بذكر التوجيهات التربوية المتضمنة في الجانب العقدي وتطبيقاتها التربوية وكانت في محورين : معية الله لعباده والموالاة والمعاداة، ثم التوجيهات التربوية المتضمنة في الجانب التبعدي وتطبيقاتها التربوية وكانت في محورين: مكانة النبي صلى الله عليه وسلم والكفارات في الشريعة ، ثم التوجيهات التربوية المتضمنة في الجانب الاجتماعي وتطبيقاتها التربوية وكانت في ثلاثة محاور : آداب النجوى وآداب التحية وآداب المجالس ، ثم التوجيهات التربوية المتضمنة في الجانب الفكري وتطبيقاتها التربوية وكانت في محورين : الحوار وفضل العلم ومكانة أهله ، وفي خاتمة هذه الدراسة يسر الباحث أن يلخص أبرز ما توصلت إليه الدراسة من نتائج ، ويذكر بأهم ما تحت عليه من توصيات على النحو التالي :

النتائج :

- ١— إن سورة المجادلة رغم قلة عدد آياتها إلا أن توجيهاتها اتصفـت بالتعـدد والشـمول لـجوانـب كـثيرة عـقدية وـتعـبدية واجـتمـاعـية وـفـكرـية وـهـذـا يـدـل عـلـى عـظـمـة هـذـا الـكـتـاب الفـرـيد وـبـرـكـةـهـ العمـيـمةـ وـأـنـهـ نـبـعـ سـخـيـ،ـ وـمـصـدـرـ ثـرـيـ دـائـمـ الـعـطـاءـ،ـ مـتـجـدـدـ النـفـعـ،ـ فـيـهـ التـشـرـيعـ وـفـيـهـ إـرـشـادـ الـفـكـرـ وـفـيـهـ تـوـجـيهـ السـلـوكـ وـفـيـهـ الـعـنـيـةـ بـالـإـنـسـانـ كـكـلـ مـنـ جـمـيعـ جـوـانـبـهـ فـهـوـ مـنهـجـ تـرـبـويـ كـامـلـ.
- ٢— إن سورة المجادلة تـعدـ منـ النـمـاذـجـ الـقـرـآنـيـةـ الـتـيـ تـعـرـضـتـ لـبـيـانـ تـرـيـيـةـ الجـيلـ الـأـوـلـ وـكـيـفـ كـانـ الـأـسـلـوبـ الـقـرـآنـيـ يـبـيـ النـفـوسـ الـمـؤـمـنةـ،ـ وـكـيـفـ كـانـ يـتـمـ عـلـاجـ الـأـحـدـاثـ وـالـزـوـراتـ وـالـعـادـاتـ.

- ٣— إن تحقيق العبد للعبودية التامة مرتبط بترسيخ حقيقة المعاية الالهية في نفسه .
- ٤— إن للموالة والمعاداة مكانة عظيمة في الإسلام فهي أوثق عرى الإيمان و معناها توثيق عرى الحبة والألفة بين المسلمين ومفاصلة أعداء الدين .
- ٥— إن تطبيق المدواة والمعاداة في الله من أهم العوامل المؤدية إلى تماست الأمة ووحدتها ، وما يتحقق لها ذاتيتها ، ويربطها بنابع أصالتها الكتاب والسنة ، ويحميها من الواقع في الولاءات الجاهلية من قومية وعرقية ووطنية وعالمية وغيرها .
- ٦— إن معرفة مكانة النبي صلى الله عليه وسلم والقيام بما تقتضيه هذه المكانة من التعظيم هو من مقتضيات ولوازم شهادة أن محمداً رسول الله حيث أن أساس تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وقادته التي يبني عليها هو تحقيق هذه الشهادة وما تقتضيه من الطاعة والتصديق والحبة وأن هذه الأمور محورها ومرتكزها هو الاتباع والتأسي .
- ٧— إن من عظمة هذا الدين حرصه على ما يمحو عن العباد خطاياهم وسيئاتهم ولذلك شرعت الكفارات التي تعتبر من المن العظيمة التي تفضل الله بها على عباده الخلطين ليزيل عنهم درن الذنوب والمعاصي .
- ٨— إن مفهوم العقوبة في الإسلام بشكل عام والكفارات الشرعية بشكل خاص يقوم على تقويم الغرائز والردع والذجر والجبر من أجل تركيبة النفووس لا كما يصوّره أعداء الدين من أنه يقوم على الانتقام والتكميل بالجحافل .
- ٩— إن التوجيهات الربانية والإرشادات النبوية المتضمنة في النصوص الشرعية من كتاب وسنة تربى المسلم على الآداب الكريمة ، والأخلاق الحميدة ، والأخلاق الفاضلة مما يقوي عرى الأخوة الإيمانية ، وينشر الأمن والطمأنينة بين أفراد المجتمع .
- ١٠— إن الحوار وسيلة تربوية لها بالغ الأهمية ؛ فعن طريقه يمكن علاج كثير من الأخطاء السلوكية والانحرافات الخلقية ، وعن طريقه أيضاً يتم تعزيز كثير من السلوكيات الصحيحة .

- ١٢ — إن الحوار لا تتحقق أهدافه إلا إذا كان قائماً على أصوله العلمية الصحيحة منضبطاً بآدابه الخلقية .
- ١٣ — إن سيرة المصطفى صلی الله عليه وسلم تحمل الأنماط التطبيقية لما جاء في القرآن الكريم من الآداب والتشريعات .
- ١٤ — إن من مميزات الإسلام وخصائص تربيته الفريدة دعوته إلى العلم بمفهومه الشامل الواسع في شتى مجالات الحياة حيث هيأ كل سبيل لإطلاق الطاقات والكفايات الإنسانية ، واستطاع أن يقضي على القطيعة الموهومة بين الدين والعلم ، ويصبح أكبر مناصر للعلم وأعظم من حث على اكتسابه .
- ١٥ — إن الإسلام مع دعوته للعلم بمفهومه الواسع الشامل إلا أن العلم في نظره له مراتب متعددة تتفاوت في علو شأن ورقة المكانة وسمو القيمة وأسبقية الفضل تبعاً للموضوعات التي ينصب عليها ذلك العلم وغايته ووسيلته .

التوصيات :

- ١ — تربية النشء على منهاج الكتاب والسنة لأن هذا هو الطريق الوحيد الذي به ترجع الأمة إلى رحها ودينه ويعود لها عزها ومجدها وتعود رائدة قائدة كما كانت وكما يجب أن تكون .
- ٢ — تكثيف البحوث والدراسات التربوية من خلال الكتاب والسنة ذلك أن هذا الجانب لا زال بحاجة إلى تأصيل وتنظير .
- ٣ — أهمية ترجمة التوجيهات التربوية المتضمنة في النصوص الشرعية إلى حياة ومعاملة وسلوك يظهر أثرها على أرض الواقع .
- ٤ — أهمية تعاون وتكامل وسائل التربية المختلفة فيما بينها من أجل تحقيق التربية المنشودة .

المقترحات :

إن هذه الدراسة المتواضعة لا تفي بحق هذه السورة العظيمة ولا زال أمام من أراد دراسة هذه السورة من التوجيهات الشيء الكثير فالقرآن الكريم بجميع سوره معين تربوي لا ينضب ومن الدراسات التي لم تشملها الدراسة الحالية ويقترح الباحث دراستها ما يلي :

١— دراسة التوجيهات التربوية للأسرة المسلمة(الجانب الأسري) من خلال سورة المجادلة .

٢— دراسة التربية القرآنية في العهد المدني من خلال سورة المجادلة .

٣— يمكن إفراد كل محور من محاور التوجيهات المستتبطة بدراسة خاصة .

هذا وسائل الله أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا إنه سميع مجيب . وصلى الله على نبينا محمد وآلـه وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : المصادر والمراجع العامة :

١. آل سعود ، سارة عبدالحسن عبدالله بن جلوى : ال المسلم المعاصر بين المعاية والمسؤولية ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٩هـ) .
٢. إبراهيم ، الصادق بن محمد : خصائص المصطفى - صلى الله عليه وسلم - بين الغلو والجفاء ، مكتبة الرشد ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢١هـ) .
٣. أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي : تفسير أبي السعود ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان ، بيروت ، (د.ت) .
٤. أبو حيان ، أثير الدين محمد بن يوسف : التفسير الكبير المسمى بالبحر الخيط ، دار إحياء التراث العربي ، ط٢ ، لبنان ، بيروت ، (١٤١١هـ) .
٥. أبو خليل ، شوقي : من ضياع القرآن ، دار الفكر المعاصر ، ط٣ ، لبنان ، بيروت ، (١٤١٨هـ) .
٦. أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني : سنن أبي داود ، بيت الأفكار الدولية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (د.ت) .
٧. أبو زهرة ، محمد : الشكافل الاجتماعي في الإسلام ، دار الفكر العربي (د.ت) .
٨. الأرمي ، محمد الأمين بن عبدالله : حدائق الروح والريحان في روایی علوم القرآن ، دار طوق النجاة ، ط١ ، لبنان ، بيروت ، (١٤٢١هـ) .
٩. الأزهري ، محمد بن أحمد : تذبيب اللغة ، مطابع سجل العرب ، مصر ، القاهرة ، تحقيق : علي حسن هلاي ، (د.ت) .
١٠. الأصبهاني ، أبو نعيم : دلائل النبوة ، دار الباز ، المملكة العربية السعودية ، مكتبة المكرمة ، (د.ت) .

١١. الألباني ، محمد ناصر الدين : صحيح الجامع الصغير وزيادته ، المكتب الإسلامي ، ط٣ ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٨هـ) .
١٢. ————— : صحيف سنن ابن ماجه باختصار السندي ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ط٣ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٠٨هـ) .
١٣. ————— : صحيف سنن أبي داود ، مكتب التربية العربي ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٠٩هـ) .
١٤. ————— : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، مكتبة المعارف ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٥هـ) .
١٥. ————— : صحيف الأدب المفرد ، مكتبة الدليل ، ط٤ ، المملكة العربية السعودية ، الجبيل ، (١٤١٨هـ) .
١٦. ————— : صحيف سنن الترمذى ، مكتبة المعارف ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢٠هـ) .
١٧. ————— : صحيف الترغيب والترهيب ، مكتبة المعرف ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢١هـ) .
١٨. الألبي ، زاهر عواض : مناهج الجدل في القرآن الكريم ، مطابع الفرزدق التجارية ، ط٣ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٠٤هـ) .
١٩. الألوسي ، شهاب الدين السيد محمود : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار أحياء التراث العربي ، ط٤ ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٥هـ) .
٢٠. الأمدي ، أبي الحسن : الإحکام في أصول الأحكام ، المكتب الإسلامي ، لبنان ، بيروت ، تحقيق : الشيخ عبد الرزاق عفيفي ، (١٤٠٢هـ) .
٢١. الأندلسی ، أبي عمرو الداتي : البيان في عد آی القرآن ، مركز المخطوطات والتراث والوثائق ، ط١ ، الكويت ، (١٤١٤هـ) .

٢٢. أنيس ، إبراهيم ، وآخرون : المعجم الوسيط ، دار احياء التراث العربي ، ط ٢ ؛
مطبع دار المعارف ، مصر ، (١٣٩٣هـ) .
٢٣. الأهدل ، عبدالله أحمد قادری : المؤلية في الإسلام ، دار العمير ، ط ٢ ، المملكة
العربية السعودية ، جدة ، (١٤٦٢هـ) .
٢٤. ابن الأثير ، مجد الدين أبي السعادات : النهاية في غريب الحديث والأثر ، المكتبة
العلمية ، لبنان ، بيروت ، (د. ت) .
٢٥. ابن الجوزي ، أبي الفرج جمال الدين عبدالحمن بن علي : زاد المسير في علم
التفسير ، المكتب الإسلامي ، لبنان ، بيروت ، (د.ت) .
٢٦. ابن القيم ، محمد بن أبي بكر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك
نستعين ، دار الكتاب العربي ، ط ٢ ، لبنان ، بيروت ، تحقيق : محمد
حامد الفقي ، (١٣٩٣هـ) .
٢٧. ————— : إجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة
والجهمية ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٤هـ) .
٢٨. ————— : جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام ،
دار العروبة ، ط ٢ ، الكويت ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط عبد القادر
الأرناؤوط ، (١٤٠٧هـ) .
٢٩. ————— : زاد المعاد في هدى خير العباد ، مؤسسة الرسالة ،
ط ١٤ ، لبنان ، بيروت ، حققه : شعيب الأرناؤوط عبد القادر الأرناؤوط ،
(١٤١٠هـ) .
٣٠. ————— : بدائع الفوائد ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، ط ١ ،
المملكة العربية السعودية ، مكة المكرمة ، (١٤١٦هـ) .
٣١. ————— : بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم
الجوزية ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية ، الدمام ، (د.ت) ، جمعه
ووثق نصوصه وخرج أحاديثه : يسري السيد محمد .

٣٢. ————— : مفتاح دار السعادة ، دار الكتب العلمية ، لبنان ،
بيروت ، (د. ت) .
٣٣. ابن تيمية ، أبو العباس تقى الدين أحمد بن عبد الخليل : الصارم المسلول على شاتم الرسول ، دار بن حزم ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٧هـ) .
٣٤. ————— : الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، دار الكتاب العربي ، ط١ ، لبنان ، بيروت ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي ،
(١٤١٥هـ) .
٣٥. ————— : اقتضاء الصراط المستقيم ، دار العاصمة ، ط٦ ،
المملكة العربية السعودية ، الرياض . تحقيق العقل . ناصر عبد الكريم ،
(١٤١٩هـ) .
٣٦. ————— : مجموع الفتاوى ، جمع وترتيب : ابن قاسم ،
عبدالرحمن ابن محمد . مكتبة المعارف ، المغرب ، الرباط ، (د.ت) .
٣٧. ابن جزي ، محمد بن أحمد : كتاب التسهيل لعلوم الترتيل ، دار الكتاب العربي ،
ط٢ ، لبنان ، بيروت ، (١٣٩٣هـ) .
٣٨. ابن جماعة ، بدر الدين بن إبراهيم بن سعد الله : تذكرة السامع والمتكلم في آداب
العالم والمتعلم ، دار المعلى ، ط٣ ، الأردن ، عمان ، (١٤١٩هـ) .
٣٩. ابن حجر ، أحمد بن علي : تغليق التعليق على صحيح البخاري : المكتب
الإسلامي ، ط١ ، لبنان ، بيروت ، (١٤١٥هـ) .
٤٠. ————— : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار المعرفة ،
لبنان ، بيروت ، (د.ت) .
٤١. ابن حنبل ، أحمد : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، عالم الكتب ، لبنان ، بيروت ،
(١٤١٩هـ) .
٤٢. ابن رجب ، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين : جامع العلوم
والحكم ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط٢ ، لبنان ، (١٤١٠هـ) .

٤٣. ابن عاشور ، محمد الطاهر : تفسير التحرير والتووير ، الدار التونسية ، تونس ، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) .
٤٤. ابن عبد البر ، أبي عمر يوسف بن عبد الله : التمهيد لما في الموطأ من المعاي وألسانيد ، مطبعة فضالة ، ط٢ ، المغرب ، تحقيق : سعيد أحمد اعراب ، (١٤٠٢هـ) .
٤٥. ————— : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، دار الجليل ، لبنان ، بيروت ، (١٤١٢هـ) .
٤٦. ————— : جامع بيان العلم وفضله ، دار ابن الجوزي ، ط٤ ، المملكة العربية السعودية ، الدمام ، تحقيق : أبي الأشبال الزهيري ، (١٤١٩هـ) .
٤٧. ابن عبد السلام ، العز : بداية السول في تفضيل الرسول صلى الله عليه وسلم ، المكتب الإسلامي ، لبنان ، بيروت ، تحقيق : الألباني ، (١٤٠٦هـ) .
٤٨. ابن عبد الهادي ، شمس الدين محمد بن أحمد : الصارم النكبي في الرد على السبكي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٥هـ) .
٤٩. ابن قاسم ، عبد الرحمن : الدرر السننية في الأجوبة النجدية ، مطبوعات دار الإفتاء السعودية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٣٥٨هـ) .
٥٠. ابن كثير ، أبي الفداء اسماعيل : البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، ط٤ ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠١هـ) .
٥١. ————— : تفسير القرآن العظيم ، دار المعرفة ، ط٣ ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٩هـ) .
٥٢. ————— : الفصول في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، دار بن كثير ، سوريا ، دمشق ، (١٤١٣هـ) .
٥٣. ابن ماجة ، أبي عبدالله محمد بن يزيد : سنن ابن ماجه ، بيت الأفكار الدولية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (د. ت) .

٤٥. ابن مفلح ، عبدالله محمد : الأداب الشرعية ، مؤسسة الرسالة ، ط٣ ، لبنان ، بيروت ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وعمر القيام ، (١٤١٩هـ) .
٤٥. ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الأننصاري : لسان العرب ، الدار المصرية ، مصر ، القاهرة ، (د.ت) .
٤٦. الالكائى ، هبة الله بن الحسن بن منصور الطبرى : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، تحقيق : أحمد سعد الغامدي ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، الرياض .
٤٧. با شيل ، أحمد محمد : غزوة بدر الكبرى ، شركة الطبع والنشر اللبنانية ، لبنان ، بيروت ، (١٣٦٨هـ) .
٤٨. البخاري ، محمد بن إسماعيل : الأدب المفرد ، دار مكتبة الحياة ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٠ - ١٩٨٠م) .
٤٩. —————— : صحيح البخاري ، بيت الأفكار الدولية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٩هـ) .
٥٠. البستاني ، بطرس : حيط المحيط ، مكتبة لبنان ، لبنان ، بيروت ، (د. ت) .
٥١. البقاعي ، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، دار الكتاب الإسلامي ، ط٢، مصر ، القاهرة (١٤١٣هـ) .
٥٢. بكار ، عبدالكريم : دليل التربية الإسلامية ، دار الأعلام ، ط١ ، الأردن ، عمان ، (١٤٢٢هـ) .
٥٣. البهوي ، منصور بن يونس إدريس : كشف النقاب عن متن الإقناع ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٢هـ) .
٥٤. الترمذى ، أبي عيسى محمد بن عيسى : جامع الترمذى ، بيت الأفكار الدولية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (د. ت) .

٦٥. التميمي ، محمد بن خليفة : حقوق النبي - صلى الله عليه وسلم - على أمته ، مكتبة أضواء السلف ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٨هـ) .
٦٦. الجار الله ، عبدالله بن جار الله : إنحاف الأمة بفوائد مهمة ، مكتبة دار السلام ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٢هـ) .
٦٧. الجزائري ، أبو بكر جابر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، ط٢ ، المملكة العربية السعودية ، المدينة المنورة ، (١٤٠٧هـ) .
٦٨. ————— : نداءات الرحمن لأهل الإيمان ، مكتبة لينة ، ط١ ، مصر ، دمنهور ، (١٤١٤هـ) .
٦٩. ————— : منهاج المسلم ، مكتبة العلوم والحكم ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، المدينة المنورة ، (١٤٢٠هـ) .
٧٠. الجلعود ، محماس بن عبدالله : الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض، (١٤٠٧هـ) .
٧١. الجليل ، عبد العزيز ناصر : وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم ، دار طيبة ، ط٢ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٩هـ) .
٧٢. الجمل ، سليمان بن عمر العجيلي : الفتوحات الأهلية بتوضيح تفسير الجلالين للدّائق الخفيفي ، مطبعة عيسى البابي ، مصر ، (د.ت) .
٧٣. الحبيب ، طارق بن علي : كيف تعاور دليل عملي للحوار ، توزيع مؤسسة الجريسي ، ط٣ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢١هـ) .
٧٤. الخليمي ، أبي عبدالله الحسن بن الحسين : المنهج في شعب الإيمان ، بتحقيق حلمي فودة ، دار الفكر ، لبنان : بيروت ، (د.ت) .
٧٥. الحمدان ، أحمد بن عبدالعزيز : نيل الأرب من أدب الطلب ، دار الأندلس الخضراء ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، جدة ، (١٤١٩هـ) .

٧٦. الحميد ، عبدالله بن سالم : التشريع الجنائي الإسلامي ، طويق للخدمات الإعلامية والنشر والتوزيع ، ط٤ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٣هـ) .
٧٧. الخطيب ، أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت : الجامع لأخلاق السراوي وآدابه ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، لبنان ، بيروت ، (١٤١٧هـ) .
٧٨. الخطيب ، عبد الكريم : التفسير القرآني للقرآن ، دار الفكر العربي ، لبنان ، بيروت ، (د.ت) .
٧٩. دوكوري ، عثمان : التدابير الواقعية من التشبه بالكفار ، مكتبة الرشد ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢١هـ) .
٨٠. ديماس ، محمد : فنون الحوار والإقناع ، دار ابن حزم ، ط١ ، لبنان ، بيروت ، (١٤٢٠هـ) .
٨١. الرازي ، الفخر محمد بن عمر : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، (١٣١٠هـ) .
٨٢. الرازي ، محمد بن أبي بكر : مختر الصاحب ، دار المعارف ، مصر ، القاهرة ، (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م) .
٨٣. رضا ، محمد رشيد : تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ، دار المعرفة ، ط٢ ، لبنان ، بيروت ، (د.ت) .
٨٤. الرومي ، فهد بن عبدالرحمن بن سليمان : خصائص القرآن الكريم ، مكتبة العيكان ، ط٩ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٧هـ) .
٨٥. الزاوي ، الطاهر أحمد : مختر القاموس ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، (د.ت) .
٨٦. الرحيلي ، وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، دار الفكر المعاصر ، ط١ ، لبنان ، بيروت ، (١٤١١هـ) .
٨٧. الزرقاني ، محمد عبدالعظيم : مناهل العرفان في علوم القرآن ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٨هـ) .

٨٨. الزركشي ، محمد بن هادر بن عبد الله : البرهان في علوم القرآن ، دار المعرفة ، لبنان ، بيروت ، (د.ت) .
٨٩. زمزمي ، يحيى بن محمد حسن بن أحمد : الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة ، دار التربية والتراجم ، ط ١ ، المملكة العربية السعودية ، مكة المكرمة ، (١٤١٤هـ) .
٩٠. الزنتاني ، عبد الحميد الصيد : فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة ، الدار العربية للكتاب ، ط ١ ، ليبيا ، طرابلس ، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) .
٩١. السجيمي ، صالح بن سعد : منهج السلف في العقيدة وأثره في وحدة المسلمين ، المملكة العربية السعودية ، المدينة المنورة ، (د.ت) .
٩٢. السعدي ، عبدالرحمن بن ناصر : الرياض الناضرة والمحائق النيرة الظاهرة في العقائد والفنون المتعددة الفاخرة ، مكتبة المعارف ، ط ٣ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٠٠هـ) .
٩٣. ————— : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، مؤسسة الرسالة ، ط ٩ ، لبنان ، بيروت ، (١٤١٨هـ) .
٩٤. السلمان ، عبدالعزيز الحمد : مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ، مطبع المدينة ، ط ١٣ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢١هـ) .
٩٥. السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن : الاتقان في علوم القرآن ، دار المعرفة ، لبنان ، بيروت ، (١٣٩٨هـ) .
٩٦. ————— : تفسير الدر المشور في التفسير بamacior ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، (د. ت) .
٩٧. الشلهوب ، فؤاد بن عبد العزيز : كتاب الآداب ، دار القاسم ، ط ١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢٠هـ) .

٩٨. الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد المختار : أصوات البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، عالم الكتب ، لبنان ، بيروت ، (د.ت) .
٩٩. الشوكاني ، محمد بن علي : إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط٢ ، لبنان ، بيروت ، تحقيق : أبي مصعب محمد سعيد البدرى ، (١٤١٣هـ) .
١٠٠. ————— : فتح القدير ، دار المعرفة ، لبنان ، بيروت ، (د. ت) .
١٠١. الصباغ ، محمد بن لطفي : لتحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير ، المكتب الإسلامي ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٦هـ) .
١٠٢. صقر ، عطية : توجيهات دينية واجتماعية ، دار نشر الشفافة ، مصر ، القاهرة ، (١٤٠٠هـ) .
١٠٣. الصويان ، أحمد بن عبد الرحمن : الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية ، دار الوطن ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٣هـ) .
١٠٤. ضميرة ، عثمان بن جمعة : أثر العقيدة الإسلامية في اختفاء الجريمة ، دار الأندلس الخضراء ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، جدة ، (١٤٢١هـ) .
١٠٥. الطبرى ، أبي جعفر محمد بن جرير : جامع البيان عن تأويل القرآن ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، (١٤١٥هـ) .
١٠٦. طرهونى ، محمد بن رزق : موسوعة فضائل سور وآيات القرآن (القسم الصحيح) ، مكتبة العلم ، ط٢ ، المملكة العربية السعودية ، جدة ، (١٤١٤هـ) .
١٠٧. عبد الخالق : عبد الرحمن . الحد الفاصل بين الإيمان والكفر ، الدار السلفية ، (د.ت) .
١٠٨. عبدالباقي ، محمد فؤاد : المعجم الفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الحديث ، مصر ، (د. ت) .

١٠٩. عبدالعال ، عبدالعال أحمد : التكافل الاجتماعي في الإسلام ، الشركة العربية للنشر والتوزيع ، مصر ، القاهرة ، (١٤١٨ هـ) .
١١٠. عثمان ، عبد الرؤوف : محبة الرسول صلى الله عليه وسلم بين الاتباع والابتداع ، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء ، ط٢ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٤ هـ) .
١١١. العشيمين ، محمد بن صالح : كتاب العلم ، دار الثريا ، ط٢ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، إعداد : فهد بن ناصر السليمان ، (١٤١٧ هـ) .
١١٢. ————— : شرح العقيدة الواسطية ، دار ابن الجوزي ، ط٥ ، المملكة العربية السعودية ، الدمام ، (١٤١٩ هـ) .
١١٣. ————— : شرح ثلاثة الأصول ، دار الثريا ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢١ هـ) .
١١٤. ————— : الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع ، دار الوطن ، ط٢ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (د.ت) .
١١٥. العدوi ، مصطفى : فقه الأخلاق والمعاملات مع المؤمنين ، دار ابن رجب ، ط١ ، (١٤١٨ هـ) .
١١٦. العظيم أبادى ، أبي الطيب محمد شمس الحق : عون المعبد شرح سنن أبي داود ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، لبنان ، بيروت ، (١٤١٩ هـ) .
١١٧. العقيلي ، يحيى بن سليمان : الغفة ومنهج الاستغفار ، دار الدعوة ، ط٢ ، الكويت ، (١٤١٢ هـ) .
١١٨. العلي ، عبدالكريم عبدالله : حالتنا مع القرآن ، دار الوطن للنشر ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢٠ هـ) .
١١٩. العمري ، أكرم ضياء : التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام ، دار اشبيليا ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٧ هـ) .

١٢٠. العيد ، سليمان بن قاسم : المنهج النبوي في دعوة الشباب ، دار العاصمة ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٥هـ) .
١٢١. الفلاح ، مساعد قاسم : فتح السلام في أحكام السلام ، مكتبة العبيكان ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٦هـ) .
١٢٢. فودة، حلمي محمد، وآخر : المرشد في كتابة الأبحاث ، دار الشروق ، ط٦ ، المملكة العربية السعودية ، جدة ، (١٤١٠هـ) .
١٢٣. الفيروز آبادي ، محمد الدين محمد بن يعقوب : القاموس المحيط ، مؤسسة الرسلة ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٧هـ) .
١٢٤. القاسمي ، محمد جمال الدين : محاسن التأويل ، دار الفكر ، ط١ ، لبنان ، بيروت ، (١٣٩٨هـ) .
١٢٥. القاضي ، علي : أضواء على التربية الإسلامية ، دار الأنصار ، ط١ ، مصر ، القاهرة ، (١٤٠٠هـ) .
١٢٦. القحطاني ، محمد سعيد : الولاء والبراء في الإسلام ، دار طيبة ، ط٤ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١١هـ) .
١٢٧. القرضاوي : يوسف : الحل الإسلامي فريضة وضرورة ، دار وهبة ، مصر ، القاهرة ، (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) .
١٢٨. ————— : الإيمان والحياة ، مؤسسة الرسالة ، ط٤ ، لبنان ، بيروت ، (١٣٩٩هـ) .
١٢٩. ————— : الرسول والعلم ، مؤسسة الرسالة ، ط٥ ، بيروت ، (١٤١١هـ) .
١٣٠. ————— : ملامح المجتمع الذي نشده ، مكتبة وهبة ، ط١ ، مصر ، القاهرة ، (١٤١٤هـ) .
١٣١. القرطي ، أبي عبدالله محمد بن أحمد : الجامع لأحكام القرآن ، دار احياء التراث العربي ، لبنان ، بيروت ، (١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م) .

١٣٢. قطب ، سيد : معالم في الطريق ، مكتبة وهبة ، مصر ، (١٣٨٤هـ) .
١٣٣. ————— : في ظلال القرآن ، دار الشروق ، ط١٧ ، مصر ، القاهرة ، (١٤١٢هـ) .
١٣٤. قطب ، محمد : شبهات حول الإسلام ، دار الشرق ، ط١٤ ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠١هـ) .
١٣٥. ————— : رؤيه إسلامية لأحوال العالم المعاصر ، دار الوطن للنشر ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١١هـ) .
١٣٦. ————— : لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة . دار الوطن ، المملكة العربية السعودية ، الرياض (١٤١٣هـ) .
١٣٧. الفنوجي ، صديق حسن علي الحسين : فتح البيان في مقاصد القرآن ، المكتبة العصرية ، لبنان ، بيروت ، (١٤١٠هـ) .
١٣٨. الماوري ، أبي الحسن علي بن محمد : أدب الدنيا والدين ، السدار المصرية اللبنانية ، ط١ ، مصر ، القاهرة ، تحقيق : محمد فتحي ، (١٤٠٨هـ) .
١٣٩. متولي ، مصطفى محمد ، وآخرون : أصول التربية الإسلامية ، دار الخريجي للنشر والتوزيع ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٥هـ) .
١٤٠. مسلم ، مصطفى : مباحث في التفسير الموضوعي ، دار القلم ، ط٣ ، سوريا ، دمشق ، (١٤٢١هـ) .
١٤١. النحلاوي ، عبد الرحمن : أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، دار الفكر ، ط١ ، سوريا ، دمشق ، (١٣٩٩هـ) .
١٤٢. الندوة العالمية للمشباب الإسلامي : في أصول الحوار ، ط٣ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٠٨هـ) .
١٤٣. الندوبي ، أبو الحسن علي الحسني : العقيدة والعبادة والسلوك في ضوء الكتاب والسنة والسيرة النبوية ، ط٢ ، دار القلم ، الكويت ، (١٤٠٣هـ) .

١٤٤. النسفي ، أبي البركات عبد الله بن أحمد : تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التزيل وحقائق التأويل ، المكتبة الأموية ، لبنان ، بيروت ، (د. ت) .
١٤٥. النمر ، عبد النعم : القرآن والحياة ، دار الأندلس للإعلام ، ط١ ، مصر ، القاهرة ، (١٤٠٧هـ) .
١٤٦. النووي ، محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف : الأذكار النووية ، دار الفكر ، ط١ ، سوريا ، دمشق ، تحقيق : أحمد راتب حموش ، (١٤٠٣هـ) .
١٤٧. ————— : المجموع شرح المذهب ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، (د.ت) .
١٤٨. ————— : رياض الصالحين ، دار الجيل ، لبنان ، بيروت ، (د.ت) .
١٤٩. نياز ، رقية نصر الله محمد : الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة ، دار اشبيليا ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢٠هـ) .
١٥٠. النيسابوري ، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم : المستدرك على الصحيحين ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، لبنان ، بيروت ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، (١٤١١هـ) .
١٥١. النيسابوري ، مسلم بن الحجاج القشيري : صحيح مسلم ، بيت الأفكار الدولية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٩هـ) .
١٥٢. الواحدي ، علي بن أحمد : أسباب نزول القرآن ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، ط٢ ، تحقيق : السيد أحمد صفر ، (١٤٤٠هـ) .
١٥٣. الورداي ، مصطفى محمد : النهي عن الاستعانة والاستئصال في أمور المسلمين بأهل الذمة والكافر . دار النصر ، مصر . تحقيق : العلواني ، طه جابر فياض ، (د.ت) .
١٥٤. وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد : كتاب أصول الإيمان ، مجمع الملك فهد ، المملكة العربية السعودية ، المدينة المنورة ، (١٤٢١هـ) .

١٥٥. وزارة المعارف : دليل المعلم في التعبير والإنشاء ، الإدارة العامة للتعليم بمنطقة مكة المكرمة ، تعليم جدة ، إدارة الإشراف التربوي ، شعبة اللغة العربية ، ط١ ، (١٤٢٢هـ) .

١٥٦. وزارة المعارف : المختصر النفيس في مهارات وطرق التدريس ، الإدارة العامة للتعليم بمنطقة مكة المكرمة ، تعليم جدة ، إدارة الإشراف التربوي ، شعبة اللغة العربية ، ط١ ، (١٤٢٣هـ) .

١٥٧. بالجن ، مقداد : مناهج البحث وتطبيقاتها في التربية الإسلامية ، دار عالم الكتب ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٩هـ) .

١٥٨. البحصي ، القاضي أبي الفضل عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، (١٣٩٩هـ) .

ثالثاً : الرسائل العلمية والبحوث

١٥٩. آل سعود ، محمد الفيصل : " القرآن الكريم أساس التربية الإسلامية " ، سلسلة بحوث المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي ، المملكة العربية السعودية ، مكة المكرمة ، (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) .

١٦٠. جبار ، سالم سعيد بن مسفر : الإقناع في التربية الإسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، مكة المكرمة ، كلية التربية ، قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، (١٤١٦هـ) .

١٦١. الحميدان ، ابراهيم بن صالح : الحوار والمناقشة والجدل في الدعوة الإسلامية ، بحث ضمن مجموعة بحوث ودراسات في الدعوة الإسلامية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٣هـ) .

١٦٢. الراشد ، فلوه ناصر بن حمد : سورة المجادلة دراسة موضوعية تحليلية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الرئاسة العامة لتعليم البنات ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، كلية التربية ، قسم الدراسات الإسلامية ، (١٤٠٩هـ) .

١٦٣. سابق ، سيد وعدلان ، محمد عثمان علي : " التربية العقلية في الإسلام " ، بحوث ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية ، مركز البحوث التربوية والنفسية ، ط ٢ ، المملكة العربية السعودية ، مكة المكرمة ، (١٤٠٠ هـ) .
١٦٤. العقا ، علي بن فراج بن علي : الخلاف وتأصيل آدابه في التربية الإسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، مكة المكرمة ، كلية التربية ، قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، (١٤١٥ هـ) .
١٦٥. عوض ، محمد محبي الدين محمد : سورة الجادلة : تفسيرها وأهدافها ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الأزهر ، مصر ، القاهرة ، كلية أصول الدين ، (١٣٩٧ - ١٩٧٧ م) .
١٦٦. فرج ، محفوظ إبراهيم : بحث مقارن في الكفار ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الأزهر ، مصر ، القاهرة ، كلية الشريعة والقانون ، (١٣٩١ هـ) .
١٦٧. لاوند ، محمد رمضان : الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية ، بحث مقدم للندوة العالمية للشباب الإسلامي ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٣٩٦ هـ) .
١٦٨. المطري ، رجا عابد : الكافارات في الفقه الإسلامي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الإسلامية ، المملكة العربية السعودية ، المدينة المنورة ، شعبة الفقه ، (١٤٠٥ هـ) .
- رابعاً: الدوريات والمجلاط**
١٦٩. البعداني ، فيصل بن علي : "تابع النبي - صلى الله عليه وسلم - في ضوء الوحيين" ، كتاب المنتدى ٣٥ ، "حقوق النبي - صلى الله عليه وسلم - بين الإجلال والإخلال" ، مطبوع أضواء البيان ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢٢ هـ) .
١٧٠. البيومي ، محمد رجب : "التناجي في سورة الجادلة" ، التضامن الإسلامي ، السنة ٤٦ ، الجزء ٣ ، (رمضان ١٤١١ هـ) .

١٧١. الحسن ، عبداللطيف بن محمد : "محبة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه" ،
كتاب المنتدى ٣٥ ، حقوق النبي صلى الله عليه وسلم بين الإجلال والإخلال ،
مطبع أضواء البيان ، ط ١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ،
(١٤٢٢هـ) .
١٧٢. شلبي ، عبد الجليل : "مع سورة المجادلة" ، الأزهر ، السنة ٦٧ ، الجزء ٧ ،
(رجب ١٤١٥هـ) .